الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

كلية الادارة والاقتصاد

دور الإسلام في دعم قضايا التنمية

(نموذج المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مملكة البحرين)

أطروحة تقدم بها

مجيد محسن محمد العصفور

الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد بالأكاديمية العربية في الدنمارك استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه في ادارة التنمية البشرية

إشراف

الأستاذ الدكتور صباح قاسم الامامي

كوبنهاجن

٢٠١٤م- ١٤٣٥ هـ

قال تعالى:

" .. يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " ١١/ المجادلة.

اقرار المشرف

اشهد بان اعداد اطروحة الدكتوراه الموسومة ب(دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين) والمقدمة من الطالب مجيد محسن محمد العصفور، قد جرى تحت اشرافي في الأكاديمية العربية في الدنمارك، كلية الادارة والاقتصاد، وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الاقتصاد.

التوقيع:

المشرف: أ. د. صباح قاسم الامامي.

التاريخ: ٢/ ٦ / ٢٠١٤

توصية القسم

بناء على توصية الاستاذ الدكتور صباح قاسم الامامي ارشح هذه الاطروحة الموسومة ب (دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين).

التوقيع:

رئيس قسم الاقتصاد:

التاريخ: ٢/ ٦/ ٢٠١٤م

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن اعضاء لجنة مناقشة طالب الدكتوراه مجيد محسن محمد العصفور، عن اطروحته الموسومة ب (دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين) بأننا قد اطلعنا على هذه الاطروحة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، وذلك بتاريخ: ٢/ ٦ / ٢٠١٤ ونشهد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه في ادارة التنمية البشرية.

اعضاء لجنة المناقشة:

الاسم	الصفة	التوقيع
١- أ.م. د انعام ناجي الحيالي	رئيسا للجنة	
٢- أ. د رشيد عباس الجزراوي	عضوا	
٣- الدكتور محمد الجبوري	عضوا	
٤- أد. صباح قاسم الامامي	عضوا ومشرفا	

مصادقة مجلس الكلية

بناء على قرار لجنة المناقشة بقبول الاطروحة الموسومة ب (دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين) المقدمة من قبل الطالب مجيد محسن محمد العصفور، فقد تمت المصادقة من قبل مجلس كلية الادارة والاقتصاد في الاكاديمية العربية في الدنمارك.

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. عبد الاله النعمة

عميد كلية الادارة والاقتصاد

التاريخ: ٦/٢ / ٢٠١٤

التفويض

انا مجيد محسن محمد العصفور، افوض الاكاديمية العربية في الدنمارك بتزويد نسخ من اطروحتي الموسومة ب (دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في مملكة البحرين) ورقيا والكترونيا للمكتبات او المنظمات او الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

التوقيع:

الاسم: مجيد محسن محمد العصفور

التاريخ: ٢ / ٦ / ٢٠١٤

الى الاكاديمية العربية في الدنمارك

الاستاذ الدكتور صباح قاسم الامامي المحترم

السادة اعضاء لجنة المناقشة الاكارم

م / اقرار الخبير اللغوي

اقر بأني قد قمت بالمراجعة اللغوية لاطروحة الدكتوراه الموسومة ب (دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الأعلى للشئون الاسلاميّة في مملكة البحرين) والمقدمة من قبل الطالب مجيد محسن محمد العصفور.

فتم تصحيح ما وجد من اخطاء تتعلق بلغة الطالب الباحث، وبهذا فالأطروحة تعد الان جاهزة بمعايير الضبط اللغوي.

ولأجله وقعت ادناه.

اسم الخبير اللغوي: محمد محسن محمد محسن ال عصفور (عالم دين والمدير المساعد بالمعهد الديني الجعفري في مملكة البحرين)

العنوان: منزل ٤٠٨ طريق ٣٣١٣ مجمع ٦٣٣ - المعامير - مملكة البحرين.

التوقيع:

التاريخ: ١٣/ ٣ / ٢٠١٤م.

شكر وتقدير

يسرني ان اتقدم بالشكر والتقدير والامتنان لكل من اعانني على انجاز هذه الاطروحة، واخص بالذكر الاستاذ الدكتور وليد الحيالي، رئيس الاكاديمية العربية في الدنمارك، والاستاذ الدكتور صباح قاسم الامامي حيث كان لهما الدور الكبير في الارشاد والتوجيه العلمي لأبحاث هذه الاطروحة، وللمجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ممثلا في رئيسه صاحب السمو الشيخ عبد الله بن خالد ال خليفة الذي شجع ودعم انجاز هذه الاطروحة وكذلك نائبه واعضاء المجلس والامانة العامة في المجلس الذين كان لهم الدعم المباشر في العمل عليها، واشكر كذلك كل من ساعدني في توفير المصادر التي تخدم الاطروحة، سيما مركز عيسى الثقافي في مملكة البحرين، والامين العام المساعد في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الاستاذ شفيق خلف، ومسئول البرامج التنموية في بيت الامم المتحدة في مملكة البحرين الاستاذ علي سلمان، واخي سماحة الشيخ محمد محسن العصفور الذي دقق الاطروحة لغويا، ولا انسى الشكر لكل فرد من افراد اسرتي الذين تحملوني طيلة فترة انجاز هذه الاطروحة.

الباحث: مجيد محسن محمد العصفور

التوقيع:

التاريخ: ٢ / ٦ / ٢٠١٤

ر

اهداء

اهدي هذا الجهد للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية، عسى أن يجد فيه ما ينفع لصالح التنمية في مملكتنا الغالية، مملكة البحرين.

قائمة المحتويات

اقرار المشرف..... ت
توصية القسم..... ث
قرار لجنة المناقشة..... ج
مصادقة مجلس الكلية..... ح
التفويض..... خ
م / اقرار الخبير اللغوي..... د
شكر وتقدير..... ذ
اهداء..... ر
قائمة المحتويات..... ز
ملخص الاطروحة..... ط
ABSTRACT..... ع
المقدمة..... ق
مشكلة الدراسة ..... ك
أهمية الدراسة ..... ل
أهداف الدراسة ..... ل
فرضيات الدراسة ..... م
منهجية الدراسة ..... م
خطة الدراسة ..... ن
الفصل الاول : التنمية والتخلف ، مفاهيم ودلالات..... ١
المبحث الأول : التنمية معنا ومفهوما ٢
المحور الأول: في معنى التنمية ٢
المحور الثاني: مفهوم التنمية ٤
المحور الثالث: مفهوم التنمية في سياقه التاريخي ٦
المحور الرابع: مفهوم التنمية في الدراسات الإسلامية ١٥
المحور الخامس: ألفاظ ذات دلالات تنموية في القرآن الكريم ٢١
المبحث الثاني : التخلف والتنمية ٣٢
المحور الأول: التخلف معنى ومفهوما ٣٢
المحور الثاني: هل التخلف اقتصادي فقط؟؟ ٣٥
المحور الثالث: النظريات العامة للتخلف ٣٦

المحور الرابع: نظريات التخلف الاقتصادي ٣٨
المحور الخامس: دور الإسلام في مكافحة التخلف ٣٩
المبحث الثالث : الدراسات السابقة ٤١
المحور الأول : الإسلام والتنمية ٤١
المحور الثاني : الإسلام والتنمية الاقتصادية ٤٢
المحور الثالث : الإسلام والتنمية البشرية ٤٦
الفصل الثاني : مقدمات التنمية..... ٥٠
المبحث الأول : مجتمع التنمية ٥١
تمهيد ٥١
المحور الأول: الظاهرة السكانية ٥٢
المحور الثاني:الطبقات الاجتماعية ٥٦
المحور الثالث: السلم الاجتماعي والتنمية ٥٨
المحور الرابع: الأمن الاجتماعي والتنمية ٦١
المحور الخامس: المجتمع المدني. ٦٣
المحور السادس: مجتمع المعرفة ٦٥
المحور السابع: المجتمع الاسلامي والتنمية ٦٧
المبحث الثاني : اقتصاد التنمية ٧١
تمهيد ٧١
المحور الأول: المشكلة الاقتصادية ٧٢
المحور الثاني: النظم الاقتصادية ٧٥
أولا : النظام الرأسمالي ٧٧
ثانيا: النظام الاشتراكي ٧٧
ثالثا: النظام الاقتصادي المختلط ٧٨
رابعا: دولة الرفاهية ٧٨
المحور الثالث: دور الدولة في الاقتصاد ٧٩
المحور الرابع: الاقتصاد التقليدي والاقتصاد المعرفي ٨١
المحور الخامس: الاسلام والاقتصاد نظرة عامة ٨٣
المبحث الثالث : التنمية والسياسة ٨٧
تمهيد ٨٧
المحور الأول: التنمية و شرعية الحكم ٨٧
المحور الثاني: البيئة السياسية والتنمية ٩٠
المحور الثالث: الاسلام والديمقراطية ٩٢

الفصل الثالث : التنمية : مفاهيم وابعاد ٩٧

المبحث الأول : النمو الاقتصادي ٩٨
المحور الأول: مفهوم النمو الاقتصادي وقياسه ٩٨
المحور الثاني: الاسلام والنمو الاقتصادي ١٠١
أولا : التحريض على الانتاج ١٠٢
ثانيا : الدعوة للمشاركة العامة في الانتاج ١٠٣
ثالثا : الدفع باتجاه الانفاق ١٠٥
رابعا : التشجيع على الادخار الاستثماري ١٠٦
خامسا : ادانة الكسب غير المنتج ١٠٧
المحور الثالث: النمو الاقتصادي وفلسفة الرزق في الاسلام ١٠٨
المبحث الثاني : التنمية الاقتصادية ١١٠
تمهيد ١١٠
المحور الأول: مفهوم ونظريات التنمية الاقتصادية ١١١
المحور الثاني: التنمية الاقتصادية بين اخفاق ونجاح ١١٣
المحور الثالث: الاسلام والتنمية الاقتصادية ١١٧
الأولى : العدالة الاجتماعية في التوزيع ١١٨
الثانية : الدخل الفردي ١٢٠
الثالثة : التعليم ١٢٢
الرابعة : الحفاظ على الصحة ١٢٢
الخامسة : مكافحة الفقر ١٢٣
المبحث الثالث : التنمية السياسية ١٢٥
المحور الأول: التصورات النظرية للتنمية السياسية ١٢٥
المحور الثاني: التنمية السياسية والحكم الرشيد ١٣٠
المحور الثالث: الاسلام والتنمية السياسية ١٣٢
المبحث الرابع : التنمية الاجتماعية ١٣٧
المحور الأول: تعريف التنمية الاجتماعية ١٣٧
المحور الثاني: دور الاسرة والاطر المجتمعية الأخرى في التنمية الاجتماعية ١٣٩
المحور الثالث: دعم الاسلام للتنمية الاجتماعية ١٤١
المبحث الخامس : التنمية الشاملة والمستدامة ١٤٣
المحور الأول: التنمية الشاملة ١٤٣
المحور الثاني: التنمية المستدامة ١٤٤
المحور الثالث: الاسلام والتنمية الشاملة والمستدامة ١٤٧
المبحث السادس : التنمية البشرية ١٥٠
المحور الأول: مفهوم التنمية البشرية ١٥٠

المحور الثاني: دليل التنمية البشرية ١٥٣
المحور الثالث: الاسلام والتنمية البشرية ١٥٥
المبحث السابع : تنميات أخرى ١٥٧
المحور الأول: التنمية الثقافية ١٥٧
المحور الثاني: التنمية المستقلة ١٥٩
المحور الثالث: التنمية الادارية ١٦٢
المحور الرابع: التنمية الشخصية ١٦٤
المحور الخامس: التنمية الاسرية ١٦٦
الفصل الرابع : التنمية في الاسلام..... ١٧٠
المبحث الأول: اي تنمية يريدها الاسلام ١٧١
المحور الأول: تنمية بشرية ام انسانية ١٧١
المحور الثاني: الحياة في مفهوم الاسلام ١٧٧
المحور الثالث: دور الرؤية في التنمية ١٨١
المبحث الثاني : نظرة عامة للرؤية التنموية في الاسلام ١٨٦
المحور الأول: سلم التنمية في ضوء الرؤية القرآنية ١٨٦
المحور الثاني: معوقات التنمية ١٩٣
اولا : لا تنمية مع الظلم ١٩٤
ثانيا : لا تنمية مع الاجرام ١٩٦
ثالثا : لا تنمية مع الكفر ١٩٧
رابعا : لا تنمية مع السحر (الحيلة والخداع) ١٩٩
خامسا : لا تنمية مع الكذب ٢٠١
المحور الثالث: الطريق الى التنمية ٢٠٣
المحور الرابع: المتصاعدون مع التنمية ٢٢٣
المحور الخامس: المحققون للتنمية ٢٤٠
المبحث الثالث : متممات الرؤية التنموية ٢٤٨
المحور الأول: دور التقوى في الرؤية التنموية ٢٤٨
المحور الثاني: دور الصلاة في الرؤية التنموية ٢٥٦
المحور الثالث: دور الزكاة في الرؤية التنموية ٢٦١
المحور الرابع: دور فعل الخير والصالحات في الرؤية التنموية ٢٦٤

الفصل الخامس : النتائج والتوصيات ٢٦٩

اولا : النتائج ٢٧٠
ثانيا : التوصيات ٢٧٥

الملاحق ٢٨٤

الأول: قانون رقم (20) لسنة 2005 ..... ٢٨٥
في شأن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٨٥
الثاني:الرؤية الاقتصادية لمملكة البحرين عام 2030 ..... ٢٩٢

مراجع الاطروحة ٢٩٣

ملخص الاطروحة

العنوان: دور الاسلام في دعم قضايا التنمية – نموذج المجلس الاعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين.

المشرف: الاستاذ الدكتور صباح قاسم الامامي

الطالب: مجيد محسن محمد العصفور.

اعتبر الباحث ان عدم اخذ مشاريع التنمية سواء على مستوى عالمي أو محلي بدور الاديان في التنمية بعين الاعتبار، مشكلة علمية، حيث تفقد هذه المشاريع قوة دفع كبيرة وقد تكون ضرورية وملحة كما في البلدان التي تنص دساتيرها على كون النصوص الدينية مصدرا أساسيا أو رئيسيا للتشريع، بل إن بعض المشاريع التنموية قد تفشل نظرا لاصطدامها مع عقيدة دينية سائدة في المجتمع الذي يراد تنميته، ورأى ان من الضرورة بمكان كشف دور الاديان في دعم قضايا التنمية، والاطروحة محاولة لكشف هذا الدور في الاسلام بشكل خاص.

وتنبع أهمية البحث في دور الأديان في التنمية (والإسلام بشكل خاص)،حيث أنها تساهم في إشراك قطاعات واسعة من الناس في مشاريع التنمية، وتزداد قيمة هذا البحث مع تعطيل حركات التطرف الديني لمشاريع التنمية و تشكيل انطباع لدى الناس بان الديانات السماوية لا علاقة لها بالتنمية.

و قد كشف الباحث في هذه الاطروحة عن الإمكانيات التي تتوفر في الاسلام كدين سماوي داعم لقضايا التنمية، وبذلك تعطي الاطروحة قضايا التنمية بعدا دينيا، بمعنى ان قضايا التنمية تتحول من مشاريع تستهدف تطوير الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا الى جزاء اخروي يحقق الفوز بالجنة التي اعدها الله عز وجل للمتقين.

ففي الفصل الاول من هذه الدراسة عالج الباحث مفهوم التنمية في سياقه التاريخي والالفاظ القرآنية ذات الدلالات التنموية، وقابله بمفهوم التخلف، واستعرض الدراسات السابقة التي عالجت موضوع التنمية لدى المفكرين المسلمين، واختار مفهوما للتنمية من كل ذلك.

وفي الفصل الثاني تعرض لمقدمات عدها ضرورية للتنمية وكشف عن نظرة الاسلام لها وهي البناء المجتمعي والنظام الاقتصادي السائد والبنية السياسية.

اما الفصل الثالث فقد تم الكشف فيه عن دعم الاسلام لكل تسمية و بعد ومجال من مجالات التنمية، فقد اكد فيه الباحث على دعم الاسلام للنمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكذلك التنمية الشاملة والمستدامة والتنمية البشرية وغيرها.

وركز في الفصل الرابع عن المفهوم الخاص للتنمية في الاسلام والرؤية التي تقوم عليها، وهي تنمية بشرية انسانية في الحياة الدنيا ولها علاقة بالأخرة، ورؤيتها اطلق عليها القرآن الكريم لفظة الفلاح.

وجاء الفصل الخامس وهو النتائج والتوصيات لهذه الدراسة موجها لجهة مرجعية يمكن لها ان تحول النتائج والتوصيات الى استراتيجيات يدعم بها الاسلام مشاريع التنمية في مملكة البحرين، وهذه الجهة هي المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين باعتباره المرجعية الدينية على الصعيد الرسمي.

وبذلك أرجو ان تكون الدراسة قد حققت الاهداف التي قامت من اجلها، ممثلة في :

اولا: الكشف عن دور الاسلام في دعم قضايا التنمية.

ثانيا: وضع نتائج هذه الدراسة بين يدي جهة مرجعية يمكنها تفعيلها، وهي المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين.

ثالثا: فتح المجال للجهات المرجعية وللمهتمين بقضايا التنمية للاستفادة من دور الاسلام في دعم قضايا التنمية بمختلف ابعادها ومسمياتها.

Abstract

Title: The role of Islam in the support of development issues - A case of the Higher Council of Islamic Affairs in the Kingdom of Bahrain

Supervisor: Doctor Sabah Qasem Al-Imami

Student: Majeed Mohsen Mohamed Al-Asfoor

The researcher sees it a scientific problem that development projects, both at the global and local levels, do not take into consideration the role of religions in development, resulting in a loss of a huge driving force that might be deemed necessary specifically in countries that emphasize in their constitutions the legislative role of religious texts. Moreover, some developmental projects fail due to their contrariety with religious beliefs of the society to be developed. The researcher therefore sees it important to expose the supportive role of religions in development matters, and this thesis is an attempt of outlining the role of Islam in particular.

The importance of research on the role of religions - particularly Islam - on development issues is due to religions contribution of involving large segments of people in development projects. The value of this research increases due to the obstruction of development projects by

religious extremist movements and the formation of an impression that monotheistic religions are not related to development.

In this thesis, the researcher outlines the opportunities in Islam, a monotheistic religion that supports development issues. Hence, the thesis gives development matters a religious dimension, meaning that development issues are transformed from being projects targeting the development of human wellbeing in this life, to also include a reward in the afterlife by achieving paradise, which God has made for the pious.

In the first chapter of this study, the researcher defines the term of development by dealing with the definition of development from an historic and a Quranic perspective, by looking into verses with developmental connotations, including outlining previous studies by Muslim scholars regarding development and opposing these to the definition of underdevelopment.

The second chapter relates to main topics that are found important to development and an outline of Islam's perspective on these. The areas are: social development, economical structure, and infrastructure.

The third chapter reveals that Islam supports all terms and aspects of development, since the researcher emphasizes in this chapter Islam's

support to economic growth; economic, social, and political development; in addition to comprehensive, sustainable and human developments etc.

The fourth chapter emphasizes on Islam's own definition of development and its vision in this regard, which is a human and humane development that is extended from this life to the hereafter. In the Quran this definition is referred to by using the term 'Falaah', meaning success.

The fifth chapter contains the conclusions and recommendations for the Higher Council of Islamic Affairs on how to use the thesis' conclusions in strategies where Islam supports development projects in the Kingdom of Bahrain. By this, the thesis has achieved its purpose of:

Firstly: Clarifying Islam's role in supporting development issues

Secondly: Presenting the conclusion of the thesis to Higher Council of Islamic Affairs, Kingdom of Bahrain, which is the case of the thesis

Lastly: Giving the opportunity to relevant authorities and interested in the field of development to benefit from Islam's support to different aspects of development.

المقدمة

تمهيد

تعتبر قضية التنمية اليوم قضية كل بلد يتطلع للتقدم، وتعد مقاييسها ومؤشراتها علامات على صعود هذا البلد في مضمار التقدم والرقي والتحضر أو تراجعه،وقد أصبحت هذه المقاييس والمؤشرات هما اميا توليه الامم المتحدة اهتماما خاصا وتعده دليلا سنويا لكل بلد،ورغم الجهود الكبيرة التي بذلت على مستويات امية ومحلية في سبيل تطوير قضايا التنمية، غير ان هذه الجهود لم تتنبه لما يمكن للاديان بشكل عام والاسلام بشكل خاص سيما بالنسبة للبلدان الاسلامية ان تساهم به من دفع نحو قضايا التنمية.

ان دراسة دور الأديان "ويهمنا هنا الإسلام" في التنمية بشكل علمي يمكن لها ان تضاعف من عوائد مشاريع التنمية بما ينعكس بصورة كبيرة على الارتقاء بحياة الناس سواء في الاقطار التي تتبنى الاستفادة من نتائج هذا البحث او الباحثين بهذا الشأن.

وسيجد القارئ لهذه الدراسة دعم الدين الاسلامي لكافة ابعاد التنمية بمختلف مسمياتها، اضافة للنظرة الشاملة الجامعة لقضية التنمية من منظور اسلامي، بحسب ما توصل اليه الباحث من نتائج.

ونظرا لكون التنمية قضية ميدانية عملية فلابد من وجود جهة مرجعية دينية تفعل التصورات النظرية الداعمة للتنمية من قبل الاسلام، وهنا يأتي دور المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين التنموي.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في ان مشاريع التنمية سواء على مستوى عالمي او محلي لم تأخذ بدور الاديان في التنمية بعين الاعتبار، وهذا يفقد هذه المشاريع قوة دفع كبيرة وقد تكون ضرورية وملحة كما في البلدان التي تنص دساتيرها على كون الدين المعين (كالإسلام) مصدرا أساسا أو رئيسيا للتشريع، بل إن بعض المشاريع التنموية قد تفشل نظرا لاصطدامها مع عقيدة دينية سائدة في المجتمع الذي يراد تنميته.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية دراسة دور الأديان في التنمية (والإسلام بشكل خاص)، أنها تساهم في إشراك قطاعات واسعة من الناس في مشاريع التنمية،لان الناس بفطرتهم يتفاعلون مع المشاريع التي يرون دياناتهم تحث عليها، وتدفعهم إليها، وهذا راجع لما للأديان من تأثير خاص على الإنسان.

وان قيمة هذه الدراسة تزداد مع تعطيل حركات التطرف الديني لمشاريع التنمية ومساهمتها في تشكيل انطباع غاية في الخطورة يتنافى و سماحة الاديان السماوية وتميز قادتها الدينين من الانبياء والرسل والأوصياء بالشفقة والرحمة على الناس أجمعين، وتحملهم للهم ألمعاشي للناس كافة واعتبار ذلك من صميم رسالتهم الإلهية ووظيفتهم الدينية.

ان هذه الدراسة ستساهم بشكل جوهري في تعظيم نتائج المشاريع التنموية وستعمل على تجنيبها المعوقات وتبديد الطاقات والامكانيات.

أهداف الدراسة

اولا: الكشف عن الإمكانيات التي تتوفر في الاسلام كدين سماوي داعم لقضايا التنمية.

ثانيا: تفعيل الدور التنموي للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمملكة البحرين.

ثالثا: فتح المجال للجهات المرجعية وللمهتمين بقضايا التنمية للاستفادة من دور الاسلام في دعم قضايا التنمية بمختلف ابعادها ومسمياتها.

فرضيات الدراسة

تقوم الدراسة على عدد من الفرضيات:

الأولى: ان الاديان السماوية والاسلام بشكل خاص يولي التنمية اهتماما كبيرا ويعتبرها من وظائف القادة الدينيين ومهام المجتمعات المتدينة.

الثانية: ان التنمية بمختلف مسمياتها المتداولة تجد دعما واضحا وصريحا من قبل الاسلام.

الثالثة: يهتم الاسلام بمؤشرات التنمية ويقدم التوجيه العملي للارتقاء بها، كالتعليم والصحة والدخل القومي والفردي كأبرز مؤشرات التنمية البشرية.

الرابعة: ان للإسلام رؤية تنموية واضحة في الحياة الدنيا ولها علاقة بالأخرة.

منهجية الدراسة

سيكون المنهج المتبع في هذه الاطروحة مزاوجة بين المنهج الوصفي التحليلي وعدم اغفال للمنهج التاريخي السردي في تطور مفهوم التنمية ومنهج الاستنباط الديني التقليدي المتبع في الدراسات الدينية ، فالأول للتعرف على مفهوم التنمية بكافة أبعادها والتطور الذي حدث لهذا المفهوم ومتضمنات التنمية البشرية الأساسية كالتعليم والصحة والدخل واهميتها في تحسين القدرات البشرية، والمنهج الثاني لاستنباط البصيرة الدينية في قضايا التنمية بكل أبعادها مع التركيز ومحاولة مقاربة المصطلحات الحديثة في قضايا التنمية والالفاظ التي وردت في النصوص القرآنية باعتباره المصدر الجامع لكافة المذاهب الإسلامية.

ومع ان هذه المزاوجة قد لا تكون معهودة في مجال الابحاث الاكاديمية، الا ان هدف الدراسة يتطلب ذلك، اذ الغاية النهائية من هذه الدراسة وامثالها التوصل الى استثمار امثل لصالح قضايا التنمية، للحصول على قيمة مضافة لا تستنكف علوم الادارة عن الاخذ بها، فما الادارة الا الاستثمار الأمثل للموارد لتحقيق نتائج أفضل.

خطة الدراسة

لتحقيق الاهداف المرجوة من الدراسة، قامت خطتها على اساس ان تشتمل على خمسة فصول بالإضافة الى هذه المقدمة.

وقد تمت مناقشة الفصول وفق الآتي:

الفصل الأول: التنمية والتخلف مفاهيم ودلالات، تمت فيه مناقشة ثلاثة ابحاث.

المبحث الأول تحت عنوان التنمية معنىً ومفهوما، وتضمن العناوين التالية: في معنى التنمية، مفهوم التنمية، مفهوم التنمية في السياق التاريخي، مفهوم التنمية في الدراسات الاسلامية، الفاظ ذات دلالات تنموية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني ليقابل المبحث الأول وهو: التنمية والتخلف، وقد تمت المناقشة فيه وفق العناوين التالية: التخلف معنا ومفهوما، هل التخلف اقتصادي فقط، الدولة المتخلفة، النظريات العامة للتخلف، نظريات التخلف الاقتصادي، دور الاسلام في مكافحة التخلف.

المبحث الثالث فهو استعراض لملخص الدراسات السابقة مع التأكيد على ما تتفق وتختلف فيه الدراسة عنها.

الفصل الثاني: مقدمات التنمية، ونوقش فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مجتمع التنمية، وقد تضمن عددا من العناوين، وهي: الظاهرة السكانية، الطبقات الاجتماعية، السلم الاجتماعي والتنمية، الامن الاجتماعي والتنمية، المجتمع المدني، مجتمع المعرفة، المجتمع الاسلامي والتنمية.

المبحث الثاني: اقتصاد التنمية، وقد تضمن عددا من العناوين، وهي: المشكلة الاقتصادية، النظم الاقتصادية، دور الدولة في الاقتصاد، الاقتصاد التقليدي والاقتصاد المعرفي، الاسلام والاقتصاد نظرة عامة.

المبحث الثالث: التنمية والسياسة، وقد نوقش في ثلاثة عناوين، وهي: التنمية وشرعية الحكم، البيئة السياسية والتنمية، الاسلام والديمقراطية.

الفصل الثالث: التنمية مفاهيم وابعاد، وقد تمت مناقشته في سبعة مباحث:

المبحث الأول: النمو الاقتصادي، وقد اشتمل على ثلاثة عناوين وهي: مفهوم النمو الاقتصادي، الاسلام والنمو الاقتصادي، النمو الاقتصادي وفلسفة الرزق في الاسلام.

المبحث الثاني: التنمية الاقتصادية، وتضمنت ثلاثة عناوين، وهي: مفهوم ونظريات التنمية الاقتصادية، التنمية الاقتصادية بين اخفاق ونجاح، الاسلام والتنمية الاقتصادية.

المبحث الثالث: التنمية السياسية، وقد نوقش في ثلاثة عناوين، وهي: التصورات النظرية للتنمية السياسية، التنمية السياسية والحكم الرشيد، الاسلام والتنمية السياسية.

المبحث الرابع: التنمية الاجتماعية، وتضمن ثلاثة عناوين، وهي: تعريف التنمية الاجتماعية، دور الاسرة والاطر المجتمعية في التنمية الاجتماعية، الاسلام كداعم للتنمية الاجتماعية.

المبحث الخامس: التنمية الشاملة والمستدامة، وقد احتوى على ثلاثة عناوين، وهي: التنمية الشاملة، التنمية المستدامة، الاسلام والتنمية الشاملة والمستدامة.

المبحث السادس: التنمية البشرية، تمت مناقشتها في ثلاثة عناوين، وهي: مفهوم التنمية البشرية، دليل التنمية البشرية، الاسلام والتنمية البشرية.

المبحث السابع: تنميات اخرى، وهي اقل شيوعا في الدراسات، وقد نوقش ضمن خمسة عناوين، وهي: التنمية الثقافية، التنمية المستقلة، التنمية الادارية، التنمية الشخصية، التنمية الاسرية.

الفصل الرابع: التنمية في الاسلام، وقد تمت مناقشته ضمن ثلاثة ابحاث:

المبحث الأول: اي تنمية يريدها الاسلام، وقد تضمن ثلاثة عناوين، وهي: تنمية بشرية ام انسانية، الحياة في مفهوم الاسلام، دور الرؤية في التنمية.

المبحث الثاني: نظرة عامة للرؤية التنموية في الاسلام، وتمت مناقشتها في خمسة عناوين، وهي: سلم التنمية في ضوء الرؤية القرآنية، معوقات التنمية، الطريق الى التنمية، المتصاعدون مع التنمية، المحققون للتنمية.

المبحث الثالث: متممات الرؤية التنموية، وقد نوقشت في عدد من العناوين، وهي: دور التقوى غي الرؤية التنموية، دور الصلاة في الرؤية التنموية، دور الزكاة في الرؤية التنموية، دور فعل الخير والصالحات في الرؤية التنموية.

الفصل الخامس: وهو يتضمن نتائج وتوصيات الدراسة، وهي تخص المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمملكة البحرين، كونه المرجعية الدينية المعنية بتفعيل هذه النتائج والتوصيات في مملكة البحرين.

الفصل الاول : التنمية والتخلف ، مفاهيم ودلالات

المبحث الاول : التنمية معنا ومفهوما .

المبحث الثاني : التنمية والتخلف .

المبحث الثالث : الدراسات السابقة .

المبحث الأول : التنمية معنا ومفهوما

يقصد بالتنمية الزيادة والارتفاع ، غير أن الزيادة قد تكون تلقائية فتسير على غير هدى، فتخرج عن كونها تنمية مخططة تساهم في ارتقاء المجتمعات وتقدمها، وهي بذلك لا تعدو كونها نموا، أما التنمية التي نؤكد عليها في هذا المبحث ونجد دعما لها في تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فهي التنمية التي تتطلب تدخلا بشريا وتخطيطا إداريا شاملا يأخذ بعين الاعتبار كافة الأبعاد، لتنتج صورة حضارية للمجتمع الذي يرومها، ولسوف تعكس المحاور القادمة المفهوم الذي تعتمده الاطروحة للتنمية باعتبارها خلاصة الأداء الحضاري في لحظة تاريخية محددة .

المحور الأول: في معنى التنمية

جاء في قاموس العرب النماء الزيادة، نمى ينمي نماء، أي زاد وكثر، وجاء في مقاييس اللغة نمى المال أي زاد، وحسب لسان العرب لابن منظور النماء الزيادة، نمى ينمي نميا ونميا، ونماءا زاد وكثر، وربما قالوا ينمو ناميا، وأنميت الشيء ونميته جعلته ناميا، ونما الخضاب ازداد حمرة وسوادا، ونمى الإنسان سمن، ويقال نمت الناقة إذا سمنت، ونميته جعلته ناميا[1].

وعليه فان التنمية تعني الزيادة والارتفاع ، سواء أكانت هذه الزيادة والارتفاع في أمر مادي قابل للقياس أم معنوي يمكن ملاحظته بالتأمل والمقايسة ، وهي تفيد معنى تفعيل النماء بمعنى التدخل لتحقيق النمو، وهذا يفيد في فهم التنمية كحالة تستلزم التدخل البشري ، بخلاف النمو الذي قد يكون تلقائيا .

[1] ابن منظور،محمد بن مكرم،لسان العرب،تحقيق احمد فارس،دار صادر،بيروت،١٩٩٣م،باب نمى،ج١٥،ص٣٤١.

ولم ترد لفظة التنمية أو مشتقاتها في الذكر الحكيم ، غير أننا يمكننا التعرف على جذر لغوي في القرآن الكريم ، تتضمن الألفاظ المشتقة منه معنى التنمية اللغوي ، وينسجم مع ما هو سائد في المقصود بالتنمية في الدراسات المعاصرة ، وهو الجذر " زكى " ولفظة " تزكية " و " يزكيهم " ، حيث تكرر في تعابير المفسرين على مختلف مشاربهم ، ما يؤدي إلى ذات المعنى المقصود بالتنمية ، وان لم يركزوا على معنى التنمية كمصطلح كما هو سائد اليوم ، لعدم بلورة معنى التنمية الحالي في عصور سابقة ، لكن لفظة التنمية كأي لفظة أخرى لها سياقات تاريخية معينة يمكن تتبعها لدى أهل اللغة والاختصاص .

وهنا لابد من الإشارة للفرق بين لفظتي النمو والتنمية في دراسات التنمية ، فالنمو ينظر اليه باعتباره الزيادة والارتفاع التلقائي في الدخل العام ، بينما التنمية هو الارتفاع المخطط للدخل العام .

ويستلزم الأمر كذلك ، الإشارة إلى لفظة استخدمت في الأدب العربي بهدف التعبير عن التنمية ، وهي لفظة النهضة ، حيث جاءت عدد من الدراسات والأطروحات والتنظيرات بعنوان النهضة ، والمقصود بها ذات المقصود بالتنمية، وهذا ما دعا الدكتور الجابري ، للقول أن التنمية هي النهضة.

كذلك هنالك لفظة اعتبرها المفكرون المسلمون ذات دلالة على معنى التنمية وهي الاعمار، كما وردت " استعمركم " في القرآن الكريم ، وبعض المؤلفات القديمة ، كما في مقدمة ابن خلدون، غير أن الباحث لا يرى كفاية دلالة هذه اللفظة على التنمية بمعناها الاصطلاحي، كما سيتضح في الأبحاث القادمة .

المحور الثاني: مفهوم التنمية

التنمية مسألة حضارية تتصل بالارتقاء بكافة أبعاد الحياة الإنسانية ، والانتقال بها إلى مستويات متقدمة تتناسب والتطورات التي وصلت إليها البشرية في الوقت الراهن ، والمتوقعة في المستقبل المنظور ، في مختلف الأصعدة والمجالات .

ومفهوم الحضارة " يتضمن سعي الإنسان نحو ما يحقق رفاهيته وسعادته وارتقاءه بحيث يشمل جوانب عديدة كإشباع حاجاته المادية وتكوين معرفته بنفسه وبما حوله وإرضاء أحاسيسه الروحية وتهذيب تذوقه الفني ، وغيره.. " [١] .

و " تظهر الحضارة في كل لحظة يجسد فيها الإنسان قدرته في التغلب على مصاعب الوجود ، ومدى التوازن الذي يقيمه مع الطبيعة ، وهي ظاهرة عامة رافقت الإنسان في تاريخه الطويل ، ومنذ العصر الحجري وصولا إلى العصر النووي ، كان الإنسان يصنع حضارته في كل مرة كان يعيد فيها صياغة نفسه بما يتلاءم وحاجاته المتجددة والمتطورة ، بحيث تعبر الحضارة عن خاصية الإنسان في سعيه الدؤوب لتجاوز الواقع ورفض ما هو كائن بهدف الوصول إلى ما هو أفضل " [٢] .

فالتنمية اذن عملية حضارية ، تشتمل على مختلف النشاط في المجتمع ، لغاية تحقيق رفاهية الإنسان وكرامته ، بما في ذلك تنشئته وتربيته على الحرية والكرامة والابداع وتطوير كفاءاته وإطلاق قدراته ، كفرد ومجتمع.

وعلى أساس من ذلك ، تضم التنمية بمعناها الشامل" جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية فهي ليست عملية اقتصادية وليست عملية اجتماعية وليست عملية سياسية فقط وليست ثقافية ولكنها مزيج من هذه كلها وغيرها "[٣].

---

[١] محمد علي، فرهاد،التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي،ص١٠٦،مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر،القاهرة،الطبعة الأولى،١٩٩٤م.

[٢] الشامي، علي،الحضارة والنظام العالمي الجديد أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب،دار الإنسانية،بيروت،١٩٩٥م.

[٣] عبد الرحمن،أسامة،البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية،ص١٨،دار الشباب،قبرص ،الطبعة الثانية،١٩٨٧م.

وهي قضية أخلاقية إنسانية تستهدف تحسين نوعية الحياة ، و مصيرية يكون للوقت والمستقبل دور كبير فيها، وهي " تتطلب اهتمام الجميع ، أفرادا ومؤسسات وحكومات ، بإرادة واعية وتخطيط جديد لاستغلال الموارد الطبيعية وقيام عدالة اجتماعية ضمن التوازن البيئي "[١].

لكن هذا الفهم للتنمية لم يتضح بهذه الصورة إلا بعد أن مر بسياق تاريخي يلزم الرجوع إليه ليكون المفهوم المختار من الوضوح والنضج بما يدعم ما سيترتب عليه من تصورات ومفاهيم إستراتيجية وجزئية.

[١] القبيسي، درويش محمد خميس القبيسي،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،ج٤،ص٢٨، الدار العربية للعلوم-ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧م.

المحور الثالث: مفهوم التنمية في سياقه التاريخي

لقد أشار البعض إلى أن مفهوم التنمية بدأ أساسا من خلال الصراع الذي كان محتدما إبان الحرب الباردة ، حيث أرادت الولايات المتحدة تقويض الجاذبية المتنامية للنموذج السوفيتي ، وهو ما أشار إليه الاقتصادي العالمي البنغالي " أنيس الرحمن ، حين ذكر أن التنمية كانت من الأساس وعدا غربيا للجنوب ، صمم لمقاومة الاشتراكية "[١].

وحسب محمد محفوظ دياب[٢] " ظهرت أولى المفاهيم العالمية عن التنمية ، من خلال عمل اللجنة الاقتصادية لدول أميركا اللاتينية والكريب (ECLAC) حين صاغ الاقتصادي الأرجنتيني راؤول بريبتش أولى وثائقها التأسيسية عام ١٩٤٨، وبدأ المفهوم حال ظهوره ، وكأنه ينتصر للغة العصر ، لغة العلم والدقة الرياضية ، بأدواته الإجرائية من أرقام وجداول وإحصائيات ، وتزامن مع صعود قوى طبقية جديدة إلى سدة الحكم في اغلب بلدان العالم "[٣].

لكن مفهوم التنمية بدأ يبلوره علماء الاقتصاد خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي ، لاعتقاد القائمين على قضايا التنمية أن المدخل الاقتصادي يمكن له تطوير الحياة العامة للناس ، وتركزت محاولات الارتقاء بنوعية الحياة على مفهومي النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية .

حيث ان النمو الاقتصادي يتحقق عبر زيادة في الدخل القومي أو الناتج القومي الحقيقي عبر الزمن ، وهناك العديد من العوامل التي تساهم في النمو الاقتصادي ، منها حجم رأس المال المادي ، ورأس المال البشري ، وتوافر الموارد الطبيعية ، وتخصيص وتقسيم العمل والحجم الكبير للإنتاج ، والتقدم الفني والتكنولوجي ، وهو لا يتحقق إلا في إطار تحمل لبعض الأعباء والتضحيات والتي منها ، زيادة السلع الرأسمالية وتوجيه الموارد والاستثمارات إليها ، وزيادة الاستثمار في التعليم والتدريب ، لكن التركيز على النمو الاقتصادي لوحده أدى إلى زيادة التلوث البيئي والقضاء على الثروات الطبيعية وازدحام المدن ، وتراجع الجوانب الروحية في المجتمع لصالح القيم المادية.

---

[١] دياب، محمد محفوظ،التنمية الاجتماعية،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،ج٣،ص٧٢،الدار العربية للعلوم-ناشرون،الطبعة الأولى،بيروت٢٠٠٧م.

[٢] أستاذ علم الاجتماع في جامعة بنها- مصر،حسب الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،ج3،ص82.

[٣] المرجع السابق، ص٧٢.

من هنا جاءت الحاجة لتطوير مفهوم النمو الاقتصادي بما ينظر إلى ما هو ابعد من قضية ازدياد الدخل القومي ، فجاء مفهوم التنمية الاقتصادية التي تعني تغيرات هيكلية في الاقتصاد القومي بأبعادها المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنظيمية من اجل تحسين نوعية الحياة وتوفير حياة كريمة لجميع أفراد المجتمع ، وهي مقدمة لتنمية اشمل ، حيث لم يعد كافيا تحقيق زيادة في متوسط دخل الفرد الحقيقي ومعدل النمو الاقتصادي بل أصبح من الضروري تحسين نوعية الحياة في المستوى الصحي والتعليمي والخدمي ، وتحسين البيئة وغيرها من الخدمات.

وبذلك تكون التنمية الاقتصادية مقدمة للانتقال من حالة التخلف الاقتصادي بكل إبعاده إلى حالة التقدم الاقتصادي بمفهومه الشامل ، وهنا يختلف مفهوم التنمية الاقتصادية عن مفهوم النمو الاقتصادي التلقائي ، حيث أنها تنطوي على إجراءات معينة وتعمل على تغيير البنيان والهيكل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتشمل جميع أبعاد المجتمع ، ومن ثم فان معدل التنمية الاقتصادية هو معدل متعمد تحقيقه بمنظور شامل ، أما معدل النمو الاقتصادي التلقائي فهو زيادة معينة في معدل نمو الدخل القومي الحقيقي عبر الزمن دون إجراءات متعمدة لكي يتحقق هذا المعدل بصورة معينة ، والاهم من النمو المجرد هو استثمار هذا النمو لتنمية شاملة .

" وقد ميز الاقتصاديون بين النمو والتنمية الاقتصادية على أساس أن المفهوم الأول يعني زيادة كمية في مستوى الدخل بدون أن يصاحبها تغير في هيكل الإنتاج والاقتصاد القومي ، أما التنمية الاقتصادية فتعني إلى جانب نمو الدخل حدوث تحولات أخرى ، مثل التغيير في هيكل الاقتصاد بحيث يتقلص النصيب النسبي للزراعة في الناتج المحلي الإجمالي لصالح إسهام قطاع الصناعة فيه ، وتزيد نسبة السكان في الحضر بمعدل اكبر من نظيرها في الريف ، وتدخل أساليب حديثة في مجال الإنتاج ، ويزيد الاعتماد على النقود كوسيط للتبادل بدلا من المقايضة،وتزداد نسبة الإنتاج المسوق بدلا من الإنتاج المعيشيين ، وهكذا "[1].

[1] أبو علي، محمد سلطان،نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،،ج4،ص49،الطبعة الأولى،الدار العربية للعلوم-ناشرون،بيروت،٢٠٠٧م.

كما فرقوا بين مفهوم التنمية الاقتصادية ومفهوم النمو الاقتصادي حيث اعتبروا النمو الاقتصادي ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام محسوبا بالأسعار الثابتة أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي ، وهذا النمو الذي قد يكون سريعا وقصير الأجل قد لا يؤدي بالضرورة إلى تنمية اقتصادية ، تنعكس على شتى مجالات المجتمع ، لكنه يعتبر شرطا مهما ولكنه غير كاف لعملية التنمية التي لابد أن ترافقها تحولات نوعية (اجتماعية وسياسية) تدعم مسيرة التنمية ، إذ أن التنمية الاقتصادية ليست تغيير كمالي مؤقت ، بل هي خطة معقدة متشابكة تستهدف تغييرا جوهريا في البنيان الاقتصادي يقود إلى رفع معدل الإنتاجية بقدر كفاءة استخدام الموارد القومية والعالمية والمستوى التكنولوجي المتاح .

وقد ثبت من تجارب التنمية الاقتصادية في معظم البلدان النامية (وبخاصة في أمريكا اللاتينية) أن الكثير من هذه البلدان استطاعت أن تحقق معدلات نمو مرتفعة في الناتج القومي الإجمالي ، إلا أن مستويات المعيشة بالنسبة لغالبية السكان بقيت منخفضة ، بل ومتدهورة إلى مستويات متدنية .

وهذا يكشف أن حصر التنمية في ارتفاع مجمل الدخل القومي ، دون النظر إلى التحولات الهيكلية في البلدان المراد تنميتها ، بما ينمي الأبعاد المختلفة إلى جانب ارتفاع الدخل العام، نظرة قاصرة عن الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية .

كان ينظر إلى عملية التنمية طيلة عقد الخمسينات وأوائل عقد الستينات من القرن الماضي بأنها سلسلة متتالية من النمو الاقتصادي لابد لجميع البلدان من المرور من بها .

وجاء عقد السبعينات والثمانينات ليعزز مقاربات لاختصاصات ومعارف أخرى كالتاريخ والجغرافيا والحقوق وعلم الاجتماع وعلوم أخرى إلى جانب علم الاقتصاد الذي يرجع له الفضل في الاهتمام بقضايا التنمية وتطوير مفهومها ، وقد أصبح من الواضح انه من الممكن لدولة أن تشهد نموا سريعا في الجانب الاقتصادي لكنها تظل متخلفة ، مما عزز القناعة أن التنمية الاقتصادية لوحدها غير كافية للنهوض بالواقع البشري ، ومن هنا أتت ضرورة إجراء مقاربات متعددة الاختصاصات تأخذ في الحسبان الأبعاد الثقافية والاجتماعية للخروج من اختزال التنمية في نمو الثروة المادية .

وبرز بهذا الصدد مفهوم التنمية المستدامة ، الذي يجمع بين بعدين أساسيين ، هما التنمية كعملية للتغيير والاستدامة كبعد زمني ، والدافع وراء ظهور هذا المفهوم ادارك أن عملية النمو في حد ذاتها لا تكفي لتحسين مستوى معيشة الأفراد على نحو يتسم بقدر من العدالة في توزيع ثمار التنمية ، كما أن التركيز على البعد المادي لعملية النمو قد تراجع ، ليحل بدلا منه الاهتمام بالعنصر البشري ، على أساس أن الإنسان هو هدف عملية التنمية وأداتها في الوقت نفسه .

وقد تزايد الاهتمام الحقيقي بمفهوم التنمية المستدامة في بداية السبعينات من خلال مجموعة من الدراسات التي تناولت قضايا سوء استغلال الإنسان للبيئة وركزت أيضا على القيود البيئية والربط بين الاهتمام بالبيئة والتنمية .

و " حظي مفهوم التنمية المستدامة باهتمام دولي خلال عقد السبعينات في مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية البشرية عام ١٩٧٢ والذي ركز أساسا على قضايا البيئة التي كانت واضحة بصورة كبيرة في الشمال وارتبطت بالتنمية الصناعية والنمو المتسارع لمعدلات الاستهلاك ، ولم تستأثر القضايا التي تهم الدول الأقل نموا بالاهتمام الكافي وخصوصا حاجتها إلى اقتصاديات أكثر استقرارا وكذلك تحسين أوضاع البيئة فيها ، إلا أن الحاجة إلى الربط بين أهداف البيئة والتنمية أصبحت أكثر وضوحا ، ولفت الانتباه إلى القيود التي تفرض على النمو نتيجة النقص في الموارد الطبيعية مثل الثروات المعدنية ومصادر الطاقة "[١].

أما مفهوم التنمية الشاملة ، فقد جاء للتأكيد على ضرورة أن تكون التنمية شاملة لكل الأبعاد ، فلا تكون زراعية فقط ولا صناعية فحسب ولا في منطقة دون أخرى ، " بمعنى أنها يجب أن تكون اقتصادية واجتماعية في الوقت عينه ، وأنها يجب أن تتناول الزراعة والصناعة معا ، وتحقق التوازن في التنمية المكانية،وان يفرد اهتمام خاص لقضايا توزيع الدخل والقضاء على الفقر "[٢].

ومع ازدياد التأكيد على عدم النظر إلى التنمية من بعد اقتصادي وعدم حصرها في متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي كمؤشر للتنمية ، والتأكيد على العناية بالعنصر البشري بصفته المحدد

---

[١] الخواجة، علا محمد،العولمة والتنمية المستدامة،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،المجلد الأول،الدار العربية للعلوم،ناشرون،بيروت،2006م.

[٢] ابو علي، محمد سلطان،نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،ج٤،ص٥٢،الدار العربية للعلوم- ناشرون،بيروت،٢٠٠٧م.

الرئيسي لكفاءة أداء الاقتصاد الوطني ، تم وضع " مؤشر مركب ، أطلق عليه اسم مؤشر " التنمية البشرية " ، وقد " وضعت الأمم المتحدة دليلا للتنمية البشرية في العام ١٩٩٠، يقاس من

خلاله مستوى التنمية البشرية في كل بلد سنويا ، وهو يتركب من ثلاثة مكونات تتمثل في الصحة والتعليم والدخل ، وأربعة مؤشرات تابعة لهذه المكونات " [1] وهي كما يلي :

١- المكونة الصحية، ومؤشرها العمر المتوقع عند الولادة.

٢- مكونة التعليم، ولها مؤشران :

الأول : وهو معرفة القراءة والكتابة.

الثاني : معدل التمدرس للمراحل الدراسية الثلاث.

٣- مكونة الدخل، ومؤشرها الدخل المحلي الإجمالي للفرد.

وعليه جاء مفهوم التنمية البشرية ليقدم تطورا في مفهوم التنمية ، كما تطورت مؤشرات التنمية وتعددت مكوناتها واهتماماتها من مجرد مؤشرات النمو الاقتصادي إلى حركة المؤشرات الاجتماعية ومؤشرات الحاجات الأساسية ومن ثم مؤشرات التنمية المستدامة والتنمية البشرية وأهداف الألفية الإنمائية .

وقد استخدمت عدة تعابير للدلالة على مفهوم التنمية البشرية قبل أن يتبلور في صيغته النهائية ، إذا هو ليس بالمفهوم الجديد ، منها تنمية العنصر البشري ، أو تنمية الرأسمال البشري ، أو تنمية الموارد البشرية أو التنمية الاجتماعية أو الإنسانية كما تعبر عنها بعض الكتابات العربية، مثل تقرير التنمية الانسانية الصادر عن الامم المتحدة،وكان مفهوم التنمية البشرية يختلف باختلاف التسميات المعتمدة .

فقد أطلق عليها في الخمسينات من القرن الماضي بمسائل الرفاه الاجتماعي ، وانتقل بعد ذلك للتركيز على التعليم والتدريب ومن ثم إشباع الحاجات الأساسية ، وأصبح اليوم يركز على تطوير القدرات البشرية وكذلك تمتع البشر بقدراتهم المكتسبة في جو من الحرية السياسية واحترام حقوق الإنسان .

---

[1] وديع، محمد عدنان،المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية للتنمية المستدامة،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ،ج1،ص477،الدار العربية للعلوم – ناشرون،بيروت،2006م.

وعرف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي " التنمية البشرية " في أول تقرير أصدره حول التنمية البشرية عام ١٩٩٠م ، أنها : " عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس " ، ولخص إبراهيم الدعمة مفهوم التنمية البشرية بالقول : " إن التنمية البشرية هي عملية تنموية مستدامة تهدف إلى الاستثمار في قدرات البشر من خلال تحسين مستواهم التعليمي والصحي والغذائي بهدف تحسين قدراتهم ومهاراتهم لزيادة الإنتاجية وتحقيق النمو الاقتصادي وتوزيع عوائده على أفراد المجتمع على نحو عادل يضمن رفع مستوى رفاهيتهم وتمكينهم من المشاركة في هذه العملية التنموية في إطار الموارد الاقتصادية المتاحة وفي ظل السياسات المعتمدة في هذا الشأن " [١].

لكن مفهوم التنمية البشرية تطور إلى ما هو ابعد من ذلك ، في ضوء التحديات التي برزت في سبيل الوصول إليها في مختلف دول العالم ، ما حدا بمناقشة الأمر على مستوى أممي في المؤتمر الذي عقدته الأمم المتحدة في سنة ٢٠٠٠ لملاحظة التفاوتات الصارخة القائمة في العالم بالنسبة للتنمية البشرية ، وصاغوا إعلانا يعرف بإعلان الألفية ويتكون من ثمانية أهداف يلزم تحقيقها بحلول ٢٠١٥ من اجل التقدم بالتنمية البشرية ، وقد حددت سنة ٢٠١٥ بالتاريخ الأقصى لبلوغ كل هدف من هذه الأهداف وحددت سنة ١٩٩٠ بالسنة المرجعية لقياس التقدم .

والأهداف الثمانية هي كما يلي :

١- القضاء على الفقر المدقع وعلى الجوع.
٢- تأمين التعليم الابتدائي للجميع.
٣- تطوير المساواة بين الجنسين واستقلالية النساء.
٤- تخفيض وفيات الرضع.
٥- تحسين صحة الأم.
٦- مكافحة فيروس فقدان المناعة.
٧- تأمين استدامة الموارد البيئية.
٨- إنشاء الشراكة من أجل التنمية.

[١] الدعمة، ابراهيم،التنمية البشرية والنمو الاقتصادي،ص17،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان.

وجاء في تقرير للأمم المتحدة بشأن التنمية البشرية صدر عام ٢٠١١م ، تحت عنوان الاستدامة والإنصاف مستقبل أفضل للجميع ، " فبعد الأهداف الإنمائية للألفية سيحتاج العالم بعد عام ٢٠١٥ إلى إطار إنمائي من مقوماته الاستدامة والإنصاف " [١].

وشدد على ما ذكره تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠م ، عن مفهوم التنمية ، الذي أكد : " على أهمية مفهوم التنمية البشرية ، فركز على الإنصاف والتمكين والاستدامة في توسيع الخيارات المتاحة للإنسان " ، ورأى تقرير ٢٠١١م للتنمية البشرية ، أن مفهوم التنمية البشرية : " هي توسيع لحريات البشر تفترض وجود موارد طبيعية مشتركة يستفيد منها الجميع ، وهي لا تتحقق فعلا ما لم يتحقق مبدأ الاستدامة على الصعيد المحلي والوطني والعالمي "[٢] وقال : " يركز تعريفنا على أن الهدف من التنمية هو إدامة الحريات والإمكانات التي تفسح المجال أمام الناس ليعيشوا حياة لائقة ، وتعريفنا للتنمية البشرية المستدامة هو تعريف معياري ، فنحن لا ننشد الاستدامة لأي حالة من الحالات ، بل لتلك التي توسع الحريات الحقيقية ، وهذا يعني أن التنمية التي تفتقر إلى الإنصاف لا يمكن أبدا أن تكون تنمية بشرية مستدامة "[٣].

وهذا يكشف أن مفهوم التنمية قد مر بسياق تاريخي إلى أن أصبح اليوم بالنسبة إلى كل مجتمع قضية حضارية ، ينبغي أن تعالج استراتيجيا ، وهو ما يميل إليه الباحث في فهمه لقضية التنمية ، فهي ليست مجرد تطور اقتصادي أو سياسي أو ثقافي ، أو تطور في بعد حياتي محدد ، بل تطور يأخذ كافة الأبعاد بعين الاعتبار ، واضعا نصب عينيه المستقبل القريب والبعيد ، وهو ما يلزم القادة التنمويين الأخذ به ، وهو أيضا ما ترشدنا إليه التعاليم الدينية المتصلة بموضوع التنمية كما سيتضح في تضاعيف هذه الدراسة .

---

[١] تقرير التنمية البشرية 2011م،المقدمة،صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،عام 2011.

[٢] المرجع السابق، ص1.

[٣] المرجع السابق، ص18.

المحور الرابع: مفهوم التنمية في الدراسات الإسلامية

سنتوقف في المبحث الثالث من هذا الفصل مع الدراسات الإسلامية التي نشرت عن موضوع التنمية وسنجد انها تنقسم إلى ثلاثة أقسام،قسم يهتم بموضوع التنمية بشكل عام ، وقسم يهتم بموضوع التنمية الاقتصادية ، والثالث بالتنمية البشرية ، وهنا نحاول تسليط الضوء على مفهوم التنمية في هذه الدراسات ، بغية الانطلاق منها لوضع تصورنا عن إمكانيات الإسلام في دعم قضايا التنمية مع ما نتبناه من رأي حول مفهوم التنمية الذي عرض له المحور الثاني من هذا المبحث.

فمع الغلبة في النظرة للتنمية في الدراسات الإسلامية للبعد الاقتصادي ، جريا مع الدراسات الاقتصادية أساسا التي انبثق منها مفهوم التنمية ابتداء ، إلا أن المفهوم الذي ساد في هذه الدارسات كان ينظر للتنمية على أساس أنها نشاط متعدد الأبعاد ، يهدف إلى إحداث التوازن بين مختلف العوامل والاتجاهات والمجالات ، بهدف توفير متطلبات الإنسان المادية والثقافية والاجتماعية ، في سبيل أن يعيش حياة كريمة طيبة .

و " يقوم التصور الإسلامي للتنمية على أساس أن الله عز وجل قد خلق الكون واستخلف الإنسان في الأرض ليقوم بعمارتها ، وفق منهج الله وشريعته ، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان متميزا عن سائر المخلوقات ليكون قادرا على أداء هذه المهمة ، وهيأ له بفضله وكرمه كل ما يمكنه من أدائها ، وانه على ضوء قيام الإنسان بهذه المهمة يتقرر مصيره ويتحدد مستقبله في الدنيا والآخرة "[١].

ونظرا لكون التنمية عملية حضارية حسب هذا الفهم ، " فهي تتطلب تفعيل الوجود التاريخي ، وإعادة ربط ما انقطع ، لتأمين التواصل التاريخي والحضاري ، ما يقتضي ضرورة تأكيد النظرة الإسلامية للكون والحياة والإنسان ، وتفعيل الولاء لله سبحانه وتعالى "[٢].

---

[١] العسل، إبراهيم،التنمية في الإسلام مفاهيم مناهج وتطبيقات،ص٦٣الطبعة الأولى،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،١٩٩٦م.

[٢] المرجع السابق، ص٦٧.

كما نظر للتنمية في هذا التصور على : " أنها عملية شمولية يقوم بها الفرد والمجتمع من اجل النهوض بواجب الخلافة وعمارة الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام "[١].

ويعتبر التصور الإسلامي التنمية وسيلة لتحقيق عبادة الله عز وجل، فهي في الإسلام استجابة لدعوة القرآن ، إلى بذل الجهود العلمية والعملية من اجل بناء الإنسان بناء روحيا ، وهذا البناء يتطلب تلبية حاجات البدن "[٢].

وقد بني مفهوم التنمية في الفكر الإسلامي على أساس فكرة الاستخلاف والاعمار ، " والخلافة تتطلب إقامة الحق ، حيث قال تعالى : " يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق "[٣] وتتطلب أيضا عمارة الأرض ، فقد قال سبحانه : " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها "[٤] وقد استدل بأقوال مفسرين على هذا المعنى "[٥].

من ذلك ما نقل عن القرطبي : " قال زيد بن اسلم : أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار ، وقيل المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها ، قال ابن عربي : قال بعض علماء الشافعية : الاستعمار طلب العمارة ، والطلب المطلق من الله تعالى ، على الوجوب .. استعمركم فيها : خلقكم لعمارتها . ويقول البيضاوي : " أقدركم على عمارتها وأمركم بها ".

وحسب أسامة عبد الحميد العاني[٦] ، فيما نقله عن الجصاص في كتابه أحكام القرآن في تفسير الآية ٦١ من سورة هود : " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " ، أي أمركم في عمارتها بما تحتاجون إليه، وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغرس والأبنية ، أي

---

[١] العاني، أسامة عبد المجيد،المنظور الإسلامي للتنمية البشرية،ص٣٣،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،الطبعة الأولى،ابوظبي،الإمارات العربية المتحدة،٢٠٠٢م.

[٢] شهاب،السيد عباس هاشم علوي،معالم الفكر التنموي الإسلامي،الإمام علي بن أبي طالب نموذجا،ص١٠٢،دار العصمة،البحرين،٢٠٠٧م.

[٣] ص / ٢٦

[٤] هود / ٦١

[٥] شهاب، السيد عباس هاشم علوي، معالم الفكر التنموي الاسلامي،ص١٠٤، مرجع مذكور.

[٦] العاني، أسامة عبد المجيد،المنظور الإسلامي للتنمية البشرية،ص٤٢،مصدر مذكور.

أن الدين لم يجعل عمارة الأرض من النوافل أو المندوبات ، بل جعلها من الشعائر الواجبة التي فاعلها يثاب عليها ويعاقب تاركها ويحكم بالفسق على منكرها .

وتركز مفهوم التنمية في هذا التصور الإسلامي ، أنها " تتحرك من رؤية شاملة للإنسان ودوره في الأرض ، منطلقة من فكرة الاستخلاف في قوله تعالى " إني جاعلك في الأرض خليفة" فالسعي لتحقيقها بما يكفل للإنسان إشباع الحاجات المادية من توفر المعاش والأمن وغيرهما ، يعد من صلب وظائف الإنسان في الأرض ، ومن المهمات الرئيسية التي خلقه الله من اجل انجازها، وللخليفة كل الصلاحيات التي خولها الله تعالى كونه المستخلف ، وكل شي تصل يد الإنسان إليه ويمتد عليه نفوذه ، فهو مستخلف عليه ، وقد هيأ الله تعالى له كل ما يقود لتحقيق الخلافة عنه "[١].

و هذه التنمية التي تركز على البعد الاقتصادي" تمارس دورا أساسيا في تعزيز التنمية البشرية ، إلا أنها غير كافية لتحقيقها ، ففي الوقت الذي تسعى فيه الأولى إلى إحداث تغييرات كمية ونوعية في المتغيرات الاقتصادية الكلية أو الجزئية ، تعطي الثانية اهتماما بالغا للمتغيرات الاجتماعية المتعلقة بخيارات الناس في العيش بمستوى لائق واكتساب المعرفة والارتقاء بالمستوى الصحي ، فضلا عن المتغيرات الاقتصادية المذكورة آنفا ، مع إعطاء اهتمام خاص لتوزيع ثمار التنمية "[٢].

وقد مال بعض الباحثين في موضوع التنمية الاقتصادية حسب التصور الإسلامي[٣] ، إلى أن التنمية جزء من كل ، لابد من تحقق الكل ليتحقق الجزء ، وهو يعني بذلك تطبيق الإسلام في كافة أبعاده ليمكن تحقيق التنمية التي هي إحدى ثماره ، لكن هذه الفرضية غير دقيقة، ويمكن القول أن التنمية قد لاتصل بأفضل نتائجها في حالة عدم وجود التطبيق الكامل للنظام الإسلامي ، لكنها بكل تأكيد تأتي بثمار كبيرة لو استفيد من نظرة الإسلام في المجال الاقتصادي ، أما الحصول على النتيجة الأفضل ، والاستثمار الأقصى لتحقيق التنمية ، فهو بالفعل يتطلب الأخذ بنظرة الإسلام في كافة الأبعاد ، غير أن الواقع المعاش في العالم الإسلامي ، والسياق التاريخي عند المسلمين لم يعكس تفاعلا تاما مع الدين الإسلامي ، وهذا ما يجعلنا اليوم غير متوفرين على تجربة تنموية يمكن

---

[١] شهاب،السيد عباس هاشم علوي،التنمية الاقتصادية في ضوء الفكر الإسلامي- دراسة مقارنة،ص ٢٤،أطروحة دكتوراه عن كلية الإمام الاوزاعي،بيروت،٢٠١٠م.

[٢] العاني، أسامة عبد المجيد،المنظور الإسلامي للتنمية البشرية،ص١٩،مصدر مذكور.

[٣] ذهب إلى هذا الرأي فرهاد محمد علي في كتابه التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي،مصدر مذكور.

اعتبارها دليلا تنمويا قابلا للتكرار والمحاكاة ، مع التأكيد بالطبع أن تاريخ المسلمين لم يخل من تنظير للتنمية ، وتجارب جديرة بالتأمل .

ومن الأهمية بمكان التوقف لفحص مفهوم التنمية حسب التصور الإسلامي المذكور أعلاه ، حيث أن هذا المفهوم استنبط من ألفاظ الاستخلاف والاعمار والتسخير كما وردت في القرآن الكريم ، حسبما رأينا لدى المهتمين بقضايا التنمية من المفكرين المسلمين ، ورتبوا عليها أبحاثهم في مجال التنمية ، حسب ما وجده الباحث فيما بين يديه من أبحاث ، وهو غير كاف للانطباق على مفهوم التنمية في صيغته الأخيرة التي وصل إليها بعد تطوره في سياقه التاريخي ، وعليه فان الباحث يرى أن في القرآن الكريم ألفاظا يمكن لها أن تعكس مفهوم التنمية " كعملية " بأقرب مما أشارت له الألفاظ الثلاثة أعلاه ، كلفظتي التزكية ومشتقاتها ، و الفلاح ومشتقاتها.

وقيمة هذا التفريق ، تكمن في مردوده على التفكير الإداري ، حيث أن الباحث يرى أن لفظتي التزكية والفلاح تؤديان إلى تصور استراتيجي لقضايا التنمية ، اشمل وأعمق وابعد مما لو اقتصر مفهوم التنمية على مفاهيم الاستخلاف والاعمار والتسخير ، وان كانت هذه الألفاظ مفيدة في إعطاء دفع تنموي من قبل الدين الإسلامي ، في كافة مجالات التنمية .

لكن قبل البحث في دلالات الألفاظ التنموية في القرآن الكريم ، نتعرض إلى ما أستدل به من فكر تنموي في الإسلام لدى القادة والمفكرين المسلمين في ما مضى من الزمن ، وهو ما اعتبر نماذج يمكن الأخذ بها ، وهو ما يمكن إدراجه في النقاط التالية :

اولا: العصر النبوي[1].

يعتبر العصر النبوي من النماذج المميزة في التنمية ، وهي فترة زمنية جديرة بالدراسة من ناحية تنموية ، ولم يقع الباحث على دراسة مختصة بذلك ، غير أن الدكتور عبد الحميد العاني أشار إلى ملامح تنموية في العصر النبوي ، حيث لفت النظر إلى أن النبي (ص) عمد إلى مجموعة من الإجراءات التي ترتقي بالمجتمع في جانبه الاقتصادي والاجتماعي والديني ، ويسجل في هذا الصدد قيام النبي ببناء المسجد أولا ثم البحث عن موقع يكون سوقا للمسلمين ، وقال : " هذا سوقكم لا تتحجروا ولا يضرب عليه الخراج "[2] ، وحث المهاجرين للمجتمع الجديد على التجارة لكي لا يعتمدوا

[1] لخص العاني ملامح العمل التنموي في العصر النبوي،المنظور الإسلامي للتنمية البشرية،ص ٦٧ فما فوق.مصدر مذكور.

[2] المصدر،ص٦٨.

على الأنصار الذين هاجروا إليهم ، وعمل على تحطيم الحواجز النفسية بينهم بالمؤاخاة ، وأعلى من قيمة العمل ، وشنع على البطالة ولم يسمح بها ، وفي الإدارة المالية حرم الربا ، لمنع استغلال حاجة الناس ، وشرع الزكاة ليأخذ من فائض الميسورين للإنفاق على المعسرين ، كما شيد حلفا بين المهاجرين والأنصار، ووضع وثيقة بين كافة المقيمين في المدينة ، وهذه الوثيقة والحلف تكشفان عن نظرة تنموية في كافة الأبعاد ، بما في ذلك الإشارة للتكامل والضمان الاجتماعي .

ويقدر البحث أن تجربة النبي محمد (ص) تجربة غنية في جانبها التنموي ، حيث استطاع رجل يتيم الأبوين ، أن يهاجر موطن مولده ويؤسس دولة في بلد المهجر ، ويفجر الطاقات الإنسانية تحت عقيدة عظيمة " التوحيد " تكون قادرة على جذب الأمم الأخرى لتبنيها والقبول بها.

ثانيا: عهد الخلفاء الراشدين.

اهتمت الدراسات التنموية الإسلامية ، بالعهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الاشتر النخعي ، حيث عد هذا العهد مثالا للوظائف التنموية للوالي، الذي افتتحه بقوله : " هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الاشتر في عهده إليه ، حين ولاه مصر : جبوة " جباية " خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها "[1].

وقد أفردت دراسات لهذا العهد وهي مهمة في فهم الفكر التنموي في الإسلام[2] ، وتزداد أهميتها لكونها صادرة عن موقعية مرجعية هامة في تاريخ المسلمين ، فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين ، وهو احد الأئمة والصحابة الذين يعتبر كلامهم حجة يؤخذ بها في التشريعات الدينية ، كما أن صدور هذه الوثيقة عنه وهو على رأس الدولة تعتبر خطة تنموية تحدد المسار لمصر في تلك الفترة التاريخية .

ومع أهمية هذه الوثيقة يرى الباحث أن هنالك نصوصا أخرى للإمام علي بن أبي طالب يمكن الإفادة منها لاكتشاف دور الدولة في النهوض بالمشاريع التنموية وحض الناس على التفاعل معها، مع ما تميز به عهده من حروب متلاحقة.

---

[1] الملاح، نادر،النظام الإداري الإسلامي،قراءة في عهد الإمام علي بن أبي طالب(ع)لمالك بن الحارث الأشتر المعروف ب"عهد الأشتر"أطروحة دكتوراه،ص٧٥،الطبعة الأولى،نشر الباحث نفسه،٢٠٠٨م.

[2] الملاح، والسيد عباس السيد هاشم شهاب.

ثالثا: لدى الفقهاء والمفكرين.

تذهب الدراسات الإسلامية المهتمة بموضوع التنمية إلى أن الفكر التنموي نجده لدى مفسري القرآن الكريم ، حيث يتعرضون في تفسير الآيات ذات الصلة بقضايا التنمية إلى مختلف الأبعاد التنموية ، كما نجده كذلك لدى الفقهاء حيث يتوقفون في شرح بعض الأحكام الفقهية عند مردودها التنموي ، كما يشيرون إلى أن المفكرين المسلمين منذ فجر الإسلام لم يغفلوا البعد التنموي ، لكن هذه الدراسات لا تشير إلى مؤلفات مستقلة في موضوع التنمية ، ولعل ذلك راجع إلى عدم تبلور مفهوم التنمية كما هو عليه اليوم ، لكنهم أشاروا إلى بعض الأسماء التي ركزت الضوء بشكل اكبر على موضوع التنمية ، ولعل ابرز من أشارت إليه الدراسات ، ابن خلدون ، والقاضي أبي يوسف.

فقد " تناول ابن خلدون الشروط الضرورية الممكنة لبداية التنمية،فجعل أهمها وجود حكومة عادلة ذات سيادة رشيدة وقوانين مرعية تمنع الظلم وتحفظ للمواطنين حقوقهم وتفسح المجال لآمالهم... وتحدث عن قيام المدن وعمرانها بوصفها من أهم إجراءات تحقيق النهضة والتقدم ، وشرح علاقة السكان بالتنمية مبينا أن زيادة السكان يؤدي إلى تقسيم العمل ، وان تقسيم العمل يؤدي إلى زيادة الإنتاج ، وزيادة الإنتاج تؤدي إلى زيادة السكان مرة أخرى بحيث يحدث تقسيم العمل من جديد يعقبه زيادة في الإنتاج ، وهكذا يكثر العمران وتتحقق التنمية "[1].

أما أبو يوسف وهو يعقوب بن إبراهيم قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد ، وهو من أئمة المذهب الحنفي ، فقد قدم خطة تنموية في كتابه " الخراج " بناء على طلب من الخليفة ، وتناول في هذا الكتاب الإصلاح الاقتصادي والإداري وأهدافه والأسس والإجراءات التي تقوم عليها التنمية ، إذ اعتبر أن سيادة العدل وتحقيق الإنصاف والمحافظة على الملكية الخاصة وتدعيمها ، وتدخل الدولة وقيامها بالدور الايجابي مبادئ ضرورية للتنمية ، كما أن من الأهمية بمكان إقامة شبكات الطرق ومنشآت الري وإدخال الموارد في نطاق الإنتاج كإجراءات ضرورية للنهوض بمشاريع التنمية .

[1] العسل، إبراهيم،التنمية في الإسلام،مفاهيم مناهج وتطبيقات،ص ٨٥-٨٦،مصدر مذكور.

المحور الخامس: ألفاظ ذات دلالات تنموية في القرآن الكريم

ركزت الدراسات الاسلامية السابقة لموضوع التنمية على ثلاثة ألفاظ قرآنية واعتبرتها ذات دلالات تنموية ، وهي خليفة واستعمر وسخر ، ويرى الباحث أن هنالك الفاظا اخرى قد تكون دلالاتها التنموية اشد وضوحا، كلفظة فلح وزكى وحي. وهي الفاظ ذات تأثير كبير على الاستراتيجيات التنموية ومختلف قضايا التنمية.

وهنا استعراض للايات التي وردت فيها هذه الالفاظ، مع ما ذكره بعض المفسرين بشأنها، مع تركيز أعمق بالنسبة للفظتي التزكية والفلاح لاستكشاف مدلولاتها التنموية ، ثم نقوم بموازنة بينها لوضعها في علاقة ترتيبية بالنسبة لتأثيرها في قضايا التنمية وانعكاس ذلك على استراتيجياتها ، مع التأكيد أن هنالك ألفاظا أخرى في القرآن الكريم يمكن استنباط بصائر تنموية منها ، غير أننا سنقتصر التركيز خلال هذه الأطروحة على هذه الألفاظ الستة وإذا لزمت الحاجة إلى الاستفادة من لفظة أخرى فسوف نشير إليها اختصارا .

أولا: لفظة خليفة :

وردت لفظة خليفة في آيتين في القرآن الكريم ، الأولى في الآية ٣٠ من سورة البقرة ، والثانية في الآية ٢٦ من سورة ص ، أما الألفاظ المشتقة من الجذر خلف فهي عديدة في القرآن الكريم ، وهنا نركز الضوء على الآيتين اللتين وردت فيهما لفظة خليفة:

الأولى : قوله تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني اعلم ما لا تعلمون "[١]

الثانية قوله تعالى : " يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب "[٢]

الآية الأولى تنقل حوارا جرى بين الله عز وجل وملائكته ، حيث انه جل شأنه اخبر الملائكة بخلقة لخليفة يقوم مقامه في الأرض ، فاستغرب الملائكة من هذا الخليفة الذي قد يسفك الدماء ويفسد في الأرض كيف يمكن له أن يخلف الله عز وجل فيها ، فجاءهم الرد بان هنالك ما

---

[١] البقرة/30

[٢] ص / 26

خفي عليهم من سمات يتمتع بها هذا الخليفة ، ويؤكد المفسرون هنا أن الخليفة الذي دار عليه الحوار هو الإنسان ، سواء في صورته الفردية المتمثلة في آدم عليه السلام ، أم في صورته الجمعية المتمثلة في كافة أفراد البشر ، ويميل اغلب المفسرين إلى أن المقصود بالخليفة هو خلافة البشرية بوجه عام لله عز وجل ، وهذا تشريف عظيم للإنسان ، فاق به بقية المخلوقات العظيمة التي خلقها الله عز وجل .

أما الآية الثانية التي تخص داوود بالخلافة ففيها توجيه خاص لأحد الأنبياء بالحكم بين الناس ، وربما المح هذا الاختصاص أن الحاكم هو الذي يقود الناس في المجتمعات البشرية، وعليه فهو يتحمل قيادة عمليات التنمية فيها.

ويمكن أن نفهم من خلال ما أورده المفسرون بشأن هاتين الآيتين ، أن الله عز وجل شرف البشرية عامة بخلافته ، مما يوجب عليها أن تعكس ما أراده عز وجل من غايات من وراء هذا الخلق ، والتنمية احد هذه الغايات ، كما انه عز وجل اختص بعض أنبيائه بالخلافة الخاصة التي تتمثل في الحكم بين الناس ، وألزمهم الحق ومجانبة الهوى في الحكم ، وهذا يشير إلى دور الحكم بالحق في تحقيق التنمية ، والذي يعني وجود تشريعات واضحة تبين الصلاحيات والحدود ، لكي لا يفسر الحاكم الأمور حسب هواه ، وهو ما تشير له أبحاث الحكم الرشيد ودوره في تنمية شاملة ومستدامة .

ثانيا: لفظة استعمر :

هذه اللفظة لم ترد في القرآن الكريم إلا في مكان واحد فقط ، وهي الآية الكريمة: " والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب " [1].

وهي ضمن دعوة نبي الله صالح لقومه ثمود لعبادة الله عز وجل دون غيره ، وبرر لهم أهمية اقتصار العبادة لله عز وجل دون سواه ، انه جل اسمه خلقهم من التراب وأعطاهم العمر و القدرة على الاعمار فيها ، وهو تفضل من الله عز وجل عليهم .

لكن المفسرين استفادوا من هذه الدعوة أنها غير محصورة بقوم ثمود بل هي تشمل كل الناس ، فالله عز وجل هو من أنشأهم واستعمرهم في هذه الأرض .

---

[1] هود/61

وخلاصة الفهم لهذه اللفظة أن الله عز وجل فوض للإنسان عمارة الأرض ، بشتى أنواع العمارة التي لا تصطدم مع ما أراده الله عز وجل ، حيث أن خلافة الإنسان لله عز وجل كما استفدنا ذلك من لفظة خليفة ، تجعل عمارتها في ذات المساق ولا تخرج عنه ، وأي خروج عنه يعد خرابا لا اعمارا .

لكن هذه اللفظة لا تحمل ذات المعنى الذي يعنيه مفهوم التنمية حسب تطوره التاريخي ، فهو مقتصر على الاعمار المادي كما تشير له التفاسير ، كالأبنية والزراعة والطرق وما شابه ، وهذا ما يجعلنا نبحث عن لفظة مكملة للفظة الاعمار، لتكتمل دلالتها على مفهوم التنمية، واللفظة المكملة هي لفظة الإحياء ، حيث أن إضافتها إلى بقية الألفاظ تكمل الصورة لمفهوم التنمية كما تطورت في سياقها التاريخي .

ثالثا: لفظة الإحياء.

نستفيد من مقاربة معنى الإحياء ، ودلالتها على مواضيع التنمية من خلال ما ذكره الطباطبائي ، في تفسيره لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " [1] حيث ذكر أن " الحياة أنعم نعمة وأعلى سلعة يعتقدها الموجود الحي لنفسه، وأثرها الذي هو الشعور والإرادة هو الذي ترام لأجله الحياة ويرتاح إليه الإنسان ولا يزال يفر من الجهل وافتقاد حرية الإرادة والاختيار، وأنه يدرك بفطرته ما هو حق الاعتقاد والعمل ، وهذه الأمور التي تدعو إليها الفطرة الإنسانية من حق العلم والعمل لوازم الحياة السعيدة الإنسانية وهي الحياة الحقيقية التي بالحري أن تختص باسم الحياة ، والحياة السعيدة تستتبعها كما أنها تستلزم الحياة وتستتبعها "[2].

وهكذا يشير مفسر القرآن الكريم ، وهو ما يهمنا في هذا البحث ، أن معنى يحييكم واسع يتصل بكل ما يؤدي لسعادة الانسان من علم وعمل، وهو ما يعنيه مفهوم التنمية ، وعليه فان الاستجابة لله ولرسوله تتضمن العمل على التنمية الشاملة والمستدامة في هذه الحياة بما لا يخسر الإنسان حياته الأخرى التي وعد بها بعد الموت ، وهي الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، التي لا يمكن الحصول عليها في حالة تضييع فرصة الاعمار " الإحياء " في هذه الحياة .

---

[1] الانفال / 24

[2] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، المجلد التاسع، ص43، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

رابعا: لفظة سخر:

وردت لفظة سخر ومشتقاتها في القرآن الكريم ٤١ مرة ، وفي اغلبها تعبير عن قهر الله عز وجل مخلوقاته للقيام بوظيفة محددة لمنافع الإنسان ، أو جعلها طيعة في خدمة الإنسان يتصرف بها لتنمية حياته والارتقاء بها ، " و التسخير قهر الفاعل في فعله بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر و يريده كتسخير الكاتب القلم للكتابة و كما يسخر المولى عبده و المخدوم خادمه في أن يفعل باختياره و إرادته ما يختاره و يريده المولى و المخدوم و الأسباب الكونية كائنة ما كانت تفعل بسببيتها الخاصة ما يريده الله من نظام يدبر به العالم الإنساني "[١].

ويكفي استعراض الآية الثالثة عشر من سورة الجاثية ، وبعض أقوال المفسرين فيها، لأدراك أن الله عز وجل أراد للإنسان تنمية حياته في هذه الدنيا،من خلال جعل كل شي مسخر لأجله .

يقول تعالى: " سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه.."[٢]

قال الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن : " يقول تعالى ذكره : { وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّمَوَاتِ } من شمس وقمر ونجوم { وَما فِي الأرْضِ } من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم { جَمِيعاً منه } . يقول تعالى ذكره : جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم ، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم ، وفضل منه تفضّل به عليكم ، فإياه فاحمدوا لا غيره ، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك ، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه ، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة ، وأخلصوا له الألوهة ، فإنه لا إله لكم سواه "[٣].

---

[١] المرجع السابق،تفسير الآية 20 من سورة لقمان.

[٢] الجاثية /13

[٣] ابي جعفر محمد بن جرير، الطبري،جامع البيان في تفسير القرآن، ج25، ص168، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

أما الطبرسي فيقول في مجمع البيان : " (و سخر لكم ما في السماوات و ما في الأرض) أي سخر لكم مع ذلك معاشر الخلق ما في السماوات من الشمس و القمر و النجوم و المطر و الثلج و البرد و ما في الأرض من الدواب و الأشجار و النبات و الأثمار و الأنهار و معنى تسخيرها لنا أنه تعالى خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهي مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها على الوجه الذي نريده ، و قوله « جميعا منه » قال ابن عباس أي كل ذلك رحمة منه لكم قال الزجاج كل ذلك منه تفضل و إحسان و يحسن الوقف على قوله « جميعا » ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله و إحسانه "[1].

وقال الشوكاني : " والمعنى : أن كل ذلك رحمة منه لعباده (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) المذكور من التسخير (لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وخصّ المتفكرين؛ لأنه لا ينتفع بها إلاّ من تفكر فيها ، فإنه ينتقل من التفكر إلى الاستدلال بها على التوحيد "[2].

وأقول : بين الانتقال من التفكر إلى التوحيد ، اكتشاف الإمكانيات التنموية الهائلة في هذا الكون المسخر من اجل تطوير حياة الإنسان لمستويات متقدمة ، وهذا الذي تكشف عنه الاكتشافات والاختراعات يوما بعد يوم ، وكل ذلك مما يدعم قضايا التنمية ويؤصلها دينيا .

خامسا: لفظة يزكيهم :

جاء في تفسير الآية المباركة : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين "[3]

لدى اغلب المفسرين : أصل الزكاة نماء المال وتثميره وزيادته ، ومن ذلك قيل زكا الزرع إذا كثر ما اخرج الله منه ، وزكت النفقة إذا كثرت ، وقيل زكا الفرد إذا صار زوجا بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعا .

---

[1] الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج5، ص74، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1379ه.

[2] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ج5، ص5، دار احياء التراث العربي، بيروت، من دون تاريخ.

[3] البقرة /43

وحسب الطبري (ت: ٣١٠ هـ) في تفسيره "وإنما قيل للزكاة زكاة وهي مال يخرج من مال لتثمير الله بإخراجها مما أخرجت منه ما بقي عند رب المال من ماله ، وقد يحتمل أن تكون سميت زكاة لأنها تطهير لما بقي من مال الرجل ، وتخليص له من أن يكون فيه مظلمة. "[١].

[١] الطبري،جامع البيان في تفسير القرآن،مصدر مذكور.

وقال الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في تفسير نفس الآية : " فالزكاة والنماء والزيادة نظائر في اللغة ، ويقال : زكا يزكو زكاء وتزكى ، قال صاحب العين : الزكاة زكاة المال وهو تطهيره ، ومنه زكى يزكي تزكية ، والزكاة : زكاة الصلاح ، تقول : رجل تقي زكي ، ورجال أتقياء أزكياء ، والزرع زكا زكاء ممدود.. وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء ، وتقول هذا لا يزكو بفلان أي لا يليق به "[١].

ويرى الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) : " أما الزكاة فهي في اللغة عبارة عن النماء ، يقال زكا الزرع إذا نما ، وعن التطهير.. " فالزكاة عند الفخر الرازي نماء وتطهير"[٢].

وأضاف القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) على ما سبق من معنى الزكاة : " وقيل أصلها الثناء الجميل ، ومنه زكى القاضي الشاهد ، فكأن من يخرج الزكاة يحصل لنفسه الثناء الجميل ، وقيل الزكاة مأخوذة من التطهير"[٣].

ويرى البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) : " الزكاة من زكا الزرع ، إذا نما ، فان إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم ، أو من الزكاة بمعنى الطهارة ، فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل "[٤] وقال الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ) في فتح القدير : " ورجل زكي أي زائد الخير.. "[٥].

ورأى الطباطبائي أن : " التزكية هي التطهير ، وهو إزالة الأدناس والقذارات ، فيشمل إزالة الاعتقادات الفاسدة ، وإزالة الملكات الرذيلة من الأخلاق ، وإزالة الأعمال والأفعال الشنيعة كالقتل " . ذكر ذلك في معرض تفسيره للآية ١٥١ من سورة البقرة ، أما في تفسيره لسورة الجمعة للآية الثانية فقد قال : " التزكية تفعيل من الزكاة بمعنى النمو الصالح الذي يلازم الخير والبركة ، فتزكيته - النبي محمد (ص) - لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والأعمال

---

[١] الطوسي،تفسير الآية ٤٣ من سورة البقرة،مصدر مذكور.

[٢] فخر الدين، محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي، مفاتح الغيب او التفسير الكبير، ج١، ص٥٥٠، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

[٣] القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثالثة، ج١، ص ٣٤٣، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

[٤] البيضاوي،أنوار التنزيل وأسرار التأويل،تفسير الآية٤٣ من سورة البقرة.مصدر مذكور.

[٥] الشوكاني،فتح القدير،تفسير الآية٤٣ البقرة،مصدر مذكور.

الصالحة فيكملون بذلك إنسانيتهم فيستقيم حالهم في دنياهم وآخرتهم ، يعيشون سعداء ويموتون سعداء "[1].

ونستنتج من مجموع ما نقلناه هنا عن التفاسير ، وما ذكره المفسرون في بقية الآيات التي تأتي فيها لفظة مشتقة من الجذر زكى ، أن التزكية تكون في الموارد المختلفة ومن أبرزها الزرع والأموال والناس ، وهذا الذي تعنى به التنمية كعملية في قضاياها ومشاريعها .

وعليه يمكن لنا القول أن التنمية ، التي هي التزكية هي احد الوظائف الكبرى للأنبياء الذين ختموا بنبينا محمد (ص) ، حسب ما جاء في قوله تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين "[2]

ومن بعد الأنبياء سائر الناس باعتبارهم خلفاء لله في الأرض ، وهذا الفهم هو ما يعطي مشاريع التنمية وقضاياها دفعا قويا ، ويسبغ عليه مسحة من القداسة ، حيث يتحول العمل في مشاريع التنمية إلى عمل عبادي لا يقل في قيمته الدينية عن العبادة في محاريب المساجد ، وهو أيضا ما نجده في بعض الأحاديث والروايات .

سادسا: لفظة فلح :

من المناسب أن نذكر هنا أن لفظة الفلاح كانت تشكل رؤية بالنسبة للمسلمين في بداية انطلاقتهم ، وكان ينادى بها في أوقات الصلاة ، خمس مرات كل يوم ، وهذه الرؤية انبثقت عنها الأنشطة والبرامج والأهداف لتحقيق ما يمكن تسميته بالتنمية في العصر الإسلامي الأول ، يمكن لنا هذا القول من خلال ما ورد في بعض المصادر بان النبي (ص) كان يلح على قومه بقول كلمة لا اله إلا الله ، والمقصود من ذلك ابعد من التلفظ ، إنما جعلها رؤية للحياة ، ليصبحوا من خلال هذه الرؤية ملوكا للدنيا والآخرة ، وهي رؤية عميقة تحققت بعض ملامحها في فترات تاريخية قريبة من عهد رسول الله (ص) ، واستطاع المسلمون الأقل عددا وعدة وخبرة تنظيمية وإدارية واقتصادية من التوسع الحضاري إلى درجة استيعاب الحضارة الفارسية، والدخول في المجال الحيوي للحضارة الرومانية .

---

[1] الطباطبائي،تفسير الميزان في تفسير القرآن ،للآيتين ١٥١ البقرة،و٢ الجمعة،مصدر مذكور.

[2] الجمعة / 2

فقد " وصل المسلمون ، في غضون سنوات قليلة ، إلى ثغور الغرب واستقروا في بعض مدنه ، وفي سنة ٧١٥ ميلادية سيطر المسلمون على جميع المدن الاسبانية الهامة وعلى شمال شبه الجزيرة الايبيرية وصولا إلى الحدود الجنوبية لفرنسا "[١].

وتتبين لنا هذه الرؤية من خلال ما نقله مختصر زاد المعاد،عن الترمذي ، أن رسول الله (ص) كان يدعو القبائل ، وكان يقول لهم : " يا أيها الناس قولوا لا اله إلا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة " ومثله جاء في سبيل الرشاد ، لكنه استبدل كلمة تدين بكلمة تذل ، وفي تقديري إن الأولى اصح ، فليس هناك من إذلال يستهدف الأقوام الذين يدخلون الإسلام ، وتكرر هذا الحديث في مصادر أخرى[٢] .

وحين نراجع أقوال المفسرين عن لفظة الفلاح ، تراهم يشيرون إلى انه هو النجاح الفردي والمجتمعي في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة ، ويرون أن الفلاح والفوز والنجاح والظفر والسعادة ألفاظ قريبة المعنى .

يقول الراغب الأصفهاني في غريب مفردات القرآن : " الفلاح الظفر وإدراك بغية ، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي ، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز ، وفلاح أخروي وذلك أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل "[٣] وبهذا المعنى يكون الفلاح في الدنيا هو النجاح الشخصي والتنمية المجتمعية أي التنمية الشاملة والمستدامة لكل المجتمع ، والفلاح في الآخرة هو الفوز بالدخول إلى الجنة الموعودة.

يقول الطبري في قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"[٤][أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنان.. ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنه : أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا .

---

[١] الشامي، علي ،الحضارة والنظام العالمي،أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب،ص130،دار الإنسانية،بيروت،1995م.

[٢] لاستخراج الحديث يمكن الرجوع إلى مختصر زاد المعاد ج1 ص 237،وسبيل الرشاد ج2ص451،وزاد المعاد ج3ص38،ومختصر سيرة الرسول ج1ص113،والطبقات الكبرى لابن سعد ج1ص216،وقد رجع لها الباحث في نسختها الكمبيوترية الصادر عن الحرس الوطني بمملكة البحرين،2009م).

[٣] الاصفهاني، الراغب، مفردات الفاظ القرآن في غريب القرآن، ص 385، المكتبة المرتضوية، قم، ايران، 1373ه.

[٤] البقرة / 5

وفي تفسير ابن كثير " أولئك هم المفلحون " أي المنجحون ، ويقول الطبري في تفسير الآية من سورة آل عمران " واتقوا الله لعلكم تفلحون " أي تنجحون .

وقال القرطبي في جامع أحكام القرآن في تفسير الآية الخامسة من سورة البقرة : " والفَلْح أصله في اللغة الشق والقطع" . وقال الطوسي (ت: 460 هـ) في التبيان الجامع لعلوم القرآن : و (المفلحون) هم المنجحون الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم وإيمانهم . والفلاح : النجاح .

وقال الطباطبائي : " قوله تعالى : (إنه لا يفلح الظالمون) الفلاح والفوز والنجاح والظفر والسعادة ألفاظ قريبة المعنى.

وبناء على ذلك فان أية لفظة في القرآن الكريم تتحدث عن الفلاح فإنها تعني النجاح الشخصي حين تأتي بصيغة الإفراد ، والتنمية المجتمعية حين تكون بصيغة الجمع ، وهنا يمكن لنا أن نجد التوجيه الديني في مواضيع التنمية .

وقد وجد الباحث في تتبعه لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الفلاح ، أنها ترسم سلما متدرجا بالنسبة للفلاح في حياة الناس ، وهو ما يمكن اعتباره سلم التنمية في المجتمعات والبلدان كما هو سلم للتطوير الذاتي والاسري والمؤسساتي، هذا السلم نجده من خلال أربعين كلمة مشتقة من لفظة فلح وردت في القرآن الكريم.

وخلاصة القول بعد هذا الاستعراض للألفاظ الستة ذات الدلالات التنموية في القرآن الكريم انها يمكن أن تعطينا تصورا متدرجا للمفهوم التنموي:

اولا: أن الله عز وجل جعل الإنسان خليفته في الأرض ليعكس كافة مظاهر عظمته ورحمته وقدراته الخلاقة.

ثانيا: انه وجه للإنسان أمرا صريحا بالاعمار والإحياء لمختلف أوجه الحياة على هذه الأرض.

ثالثا: وفي سبيل ذلك وفر له كافة الإمكانيات وسخر له كل هذا الكون لإنجاح عمليات التنمية والاعمار والإحياء.

رابعا: جعل له رؤية واضحة ينبغي لحياته أن تصرف لتحقيقها وهي النجاح الفردي والتنمية الشاملة والمستدامة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

خامسا: أكد له بشكل دقيق وواضح أن تحقيق هذه الرؤية يتطلب منه القيام بتزكية نفسه وماله ومجتمعه، وهي عملية او مجموعة عمليات تحقق التنمية التي تنشدها الدول والمنظمات والمؤسسات الدولية والحكومات والأفراد.

المبحث الثاني : التخلف والتنمية

تقابل التنمية بالتخلف ، فإذا ما كانت التنمية تعكس الأداء الحضاري لأي مجتمع في لحظة تاريخية ، فان التخلف على العكس من ذلك يعكس العجز الذي يكبل المجتمعات والبلدان عن الانطلاق ، وان من الأهمية بمكان وضع اليد على مكمن الداء بالنسبة للتخلف في أي مجتمع للانطلاق إلى أفق التنمية الواسع ، وسنجد في هذا المبحث أن الإسلام يدفع كثيرا للتغلب على عوامل التخلف ومسبباته ، لكن من الأهمية بمكان أن نقارب بين معنى ومفهوم التخلف السائد في الدراسات التنموية ، وما يقابلها من ألفاظ في مصادر الإسلام، لنستعين بها في مجابهة قضايا التخلف وممارساته.

المحور الأول: التخلف معنى ومفهوما

قال ابن منظور في معنى لفظة خلف وتخلف : " خلف:الخلف ضد التقدم، وخلف نقيض قدام، والتخلف التأخر"[1]، وقد يعني القعود أو العجز عن مسايرة الركب ، وفي المعنى الاصطلاحي ، هو التأخر الزمني والقيمي والسلوكي عن ركب الحضارة .

والتخلف إذا قصد منه الاسم فهو قد يوضع في قبال التقدم ، فهنالك متقدم ويقابله متأخر أو متخلف ، أما إذا قصد بالتخلف كعملية فهو يقابل التنمية ، فإذا كانت التنمية هي عملية الانتقال من الاسوء إلى الأفضل ، فان التخلف على العكس منها ، فهو يشكل فعاليات الانتقال من التقدم إلى التأخر ، وربما إلى ذلك أشار البعض بمصطلح تنمية التخلف .

وعليه فإن " مفهوم التخلف يتضمن أو يفترض وجود نموذج يجسد التقدم وآخر متخلف عنه ، فمشيت خلف فلان يعني أنني تخلفت عنه ، وتخلفت عن الركب يعني أن تخلفي يقاس بالموقع الذي يحتله ذلك الركب في المسار الذي يفترض السير فيه "[2]

---

[1] ابن منظور،لسان العرب المحيط،الجزء الأول، ص٨٨٢ و٨٨٣،دار لسان العرب،بيروت،غير مؤرخ.

[2] مسعود، عبد المجيد، أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري أسباب ومظاهر الأزمة،منشورة على الموقع الكتروني: (www.islamweb.net).

ومن هذا المنطلق نجد كثيرًا من الكتاب والباحثين الذين أثاروا قضية تخلف المجتمع العربي المسلم ، يرون أن هذا المجتمع متخلف بالنسبة للمجتمع الغربي وقد خضعوا في نظرتهم تلك ، للمقياس الذي أشاعه الغرب للتقدم والتخلف ، وهو "اعتبار نموذجه ممثلاً للتقدم ، واعتبار نماذج بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نماذج التخلف ، ولم يقتصر ذلك على الجوانب التقنية والعلمية والصناعية ومستويات المعيشة ، وإنما مدها إلى القيم والأخلاق ومكونات الشخصية ، فاعتبر نموذجه معيار التقدم وأخذ يقيس عليه النماذج الأخرى ، التي ستعتبر متخلفة بالضرورة ما دامت وحدة القياس هي النموذج الغربي."[١]

وما يهمنا في هذه الأطروحة إيجاد الألفاظ التي تعبر عن التخلف حسب البيئة الإسلامية الأولى ، حيث أن معالجة تلك الألفاظ تعين في مجابهة التخلف الذي يعاش اليوم ، ولعل ابرز لفظة يمكن الوقوف عندها ذات دلالة على التخلف هي لفظة الجاهلية ، سيما أن أي تراجع لدى المسلمين كان يعالج بالتذكير بمقولة " أجاهلية بعد الإسلام " ، وهو ما يعني أن الإسلام يعتبر التخلف عودة للجاهلية .

فقد قال النبي محمد (ص) لأبي ذر رحمه الله وقد عير رجلا بأمه : " انك امرؤ فيك جاهلية " وقال للمسلمين حين عودته بهم من غزوة بني المصطلق : " أدعوى الجاهلية وأنا فيكم " يريد بذلك أن ما جرى بينهم من هتاف كل فريق منهم بقبيلته وتشاجرهم خلق يتصل بنظام الجاهلية الذي ألغاه الإسلام جملة وتفصيلا."[٢]

ويحسن بنا هنا أن نراجع ما قاله شمس الدين[٣] حول لفظة الجاهلية باعتبارها اقرب لفظة يمكن اعتباره كمعبر عن حالة التخلف، حيث قال " هذا اللفظ من الألفاظ التي ادخلها الإسلام في اللغة العربية وضمنها مفهوما إسلاميا ، ووردت في الكتاب والسنة ، وقد أطلق اللفظ صفة للعرب الذي عاشوا قبل ظهور الإسلام ، أو عاصروا ظهور الإسلام ولم يسلموا ، ومن هنا ارتبط معناه إلى حد كبير في كتب الأدب والتفسير بفترة ما قبل الإسلام . " [٤]لكنه يرى أن " فهم الجاهلية على

---

[١] المرجع السابق.

[٢] شمس الدين،الشيخ محمد مهدي،بين الجاهلية والإسلام،ص٢٥٥،الطبعة الرابعة،المؤسسة الدولية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان،١٩٩٥م.

[٣] الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.

[٤] شمس الدين،محمد مهدي،بين الجاهلية والإسلام،ص٢٣٥،مرجع مذكور.

أنها فترة تاريخية سابقة تخص العرب فهم خاطئ ، وإنما هي نظام ومنهاج يمكن أن يوجد في كل وقت ، ويمكن أن يمثله كل شعب "[١].

لقد وردت لفظة الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات، واستنبط شمس الدين من هذه المواضع الأربعة كليات أربع تريد لفظة الجاهلية التركيز عليها وتوضيحها[٢] ، وهي : علاقة الإنسان بالله وعلاقة الله بالأحداث من خلال العمل البشري، والمركز القانوني للإنسان بالنسبة لإنسان أخر، وعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع، وأسلوب التعامل:قيادات وأتباعا،في القضايا العامة.

وقد أعطى الجاهلية معنى " منهج في الحياة مقابل ومضاد لمنهج الإسلام " اختار ذلك بعد أن استعرض ما أعطاه الباحثون من معنى للفظة الجاهلية ، وذكر أن استعمال مادة (ج.ه.ل) في كتاب الله يراد به ما يقابل كلمة الإسلام.

وقال: " الجاهلية طريقة ومنهاج في الحياة يقضي على ملتزمه بألوان معينة من السلوك والمواقف والعواطف والعلاقات الإنسانية،فالجاهلية ليست صفة لهذا الموقف والعواطف والعلاقات ، إنما هي منبع لها وقاعدة تنطلق منه... إنها النظام من حيث هي طريقة حياة "[٣].

وربما قارب هذا المعنى ما أعطاه مصطفى حجازي من معنى للتخلف، حيث اعتبره بنية نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، فذكر أن التخلف : " يعاش على المستوى الإنساني كنمط وجود مميز ، له ديناميكاته النفسية والعقلية والعلائقية النوعية ، والإنسان المتخلف منذ أن ينشأ تبعا لبنية اجتماعية معينة ، يصبح قوة فاعلة ومؤثرة فيها،فهو يعزز هذه البنية ويدعم استقرارها بمقاومة تغييرها،نظرا لارتباطها ببنيته النفسية "[٤].

---

[١] المرجع السابق، ص٢٥٦.

[٢] المرجع السابق، ص247.

[٣] المرجع السابق، ص٢٤٦.

[٤] حجازي، مصطفى،التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،ص٩،المركز الثقافي العربي،الطبعة التاسعة،الدار البيضاء،المغرب،٢٠٠٥م.

ويضيف : " التخلف هو ظاهرة كلية ذات جوانب متعددة ، تتفاعل فيما بينها بشكل جدلي ، تتبادل التحديد والتعزيز ، مما يعطي الظاهرة قوة وتماسكا كبيرين ، ويمدها بصلابة ذات خطر كبير في مقاومة عمليات التغيير "[1].

وخلاصة مفهوم التخلف ، انه المفاعيل التي تعوق التنمية والتطوير على الصعيد الفردي والمجتمعي ، وتعمل على البقاء في حالة التراجع الإنساني عن المستويات الحضارية التي تقدمت نحوها البشرية في الفترة الراهنة .

وإذا ما اتفقنا مع حجازي ، أن التخلف بنية نفسية واجتماعية ، يدعم كل منهما الأخر،فان التغيير المطلوب للانطلاق في أفاق التنمية الواسعة ، لابد أن يشتمل على أهداف وبرامج وتطلعات على الصعيدين ، الفردي والمجتمعي ، وفي تقدير الباحث أن هذا ما تتميز به التعاليم الدينية في الإسلام ، حيث أنها تعمل على التغييرين في آن واحد .

وهذا أيضا ما يدفعنا للقول أن التنمية التي تحظى بتركيز اشد في الإسلام هي التنمية البشرية ، إذ الإنسان هو قائد التنميات المختلفة ومحركها ومستهدفها .

المحور الثاني: هل التخلف اقتصادي فقط؟؟

اهتمت الدراسات المعنية بقضايا التنمية بموضوع التخلف ، لكن اغلبها نظر إليه من زاوية اقتصادية ، فهو تخلف في الموارد، وهذا نابع من نظرة قاصرة لموضوع التنمية أساسا ، تحصرها في الجانب الاقتصادي ، وسادت فترة من الزمن لم تكن فيها النظرة للتنمية تتجاوز هذا البعد من حياة المجتمعات ، وان كنا نتفق مع المعنيين بدراسات التنمية في أهمية النهوض الاقتصادي في تنمية المجتمعات ، غير أن جعل الاقتصاد هو سر النهوض والتخلف مسألة لم تعد مأخوذا بها ، وهي ما تسببت في اختلال في مشاريع وقضايا التنمية في المجتمعات الإنسانية.

وقد كشفت التجارب التنموية في العالم ، أن التنمية الاقتصادية لوحدها لا تكفي للنهوض بالمجتمعات ، بل تطلب الأمر إعادة نظر في موضوع التنمية لتكون النظرة اشمل وابعد من الفترة الحاضرة ، حتى وصل الأمر بدراسات التنمية إلى ما نجده اليوم من رفع شعار التنمية الشاملة والمستدامة ، والتي لم يخلو بعد حياتي له علاقة بالإنسان إلا واخضع للبحث والدراسة ، لضمان

[1] المرجع السابق، ص٣٢.

حياة أفضل لبني البشر فوق سطح هذا الكوكب ، ومن المتوقع أن تتسع مجالات دراسة التنمية إلى ما هو ابعد من ذلك ، وربما شهدنا اهتماما بدراسات ما وراء الطبيعة بغية تحقيق حياة أفضل .

هذا الأمر يقودنا إلى النظر لموضوع التخلف إلى ما هو ابعد من التخلف الاقتصادي، إن أردنا اكتشاف العلاقة بين التنمية والتخلف ، فكما أن قضايا التنمية لا يمكن حصرها بالجانب الاقتصادي فقط كما دلت على ذلك الدراسات النظرية والتجارب التنموية ، وكما عالجنا ذلك في القسم الأول من هذا الفصل في مفهوم التنمية ، كذلك التخلف والذي يأتي بالضد من معني التنمية لا يمكن حصره في الجانب الاقتصادي فقط، وبمثل ما نحتاج بذله من جهد للتغلب على التخلف الاقتصادي لتحقيق التنمية الاقتصادية والشاملة والمستدامة والتنمية البشرية ، نحتاج إلى جهد مماثل للتغلب على التخلف في المجالات الأخرى .

فليس التخلف المعرفي بأقل خطورة من التخلف الاقتصادي ، وكذلك التخلف السياسي والثقافي والديني والاجتماعي والتقاني ، وربما أمكن لنا القول أيضا بالتخلف البيئي ، بمعنى عدم التوفر على بيئة صالحة للحياة ، أو عدم امتلاك الإنسان لمعرفة صحيحة للبيئة .

ان التخلف حالة تعكس عجز المجتمعات عن الوقوف بوجه التحديات التي تعترض طريق تنميتها في اي مجال من المجالات، اجاءت هذه التحديات من داخل او خارج المجتمع.

المحور الثالث: النظريات العامة للتخلف

إذا كان النظر للتخلف بما هو أوسع من التخلف الاقتصادي ، فإننا نجد النظريات بهذا الصدد تنقسم إلى قسمين:

الأول منها ينظر إلى التخلف باعتباره وليدا لنفس المجتمع،بما يحتويه من قيم وتقاليد وثقافات ودين وعلاقات اجتماعية.

الثاني يرى على العكس من ذلك أن التخلف وليد الخارج بما يشكله من استعمار ومؤامرات وضغوطات دولية ومصالح اقتصادية وسياسية،" وقد نشأت مدرسة ونظرية اصطلح على تسميتها بالتبعية وهي نظرية نشأت في بدايتها في أمريكا اللاتينية ، وفكرتها الأساسية أن التخلف لا يمثل

الحالة الأصلية في العالم الثالث ، بل نشأ التخلف وتطور من خلال أساليب الخضوع للنفوذ الرأسمالي. "[1]

ومن خلال هاتين النظريتين تولدت نظرية تجمع بينهما وترى أن التخلف وليد العاملين معا ، فهو عبارة عن استعداد داخلي سمي بالقابلية للاستعمار ، كما لدى مالك بن نبي[2] ، وتسلل خارجي يستثمر القابلية للاستعمار بأقصى درجاته لتحقيق مصالح ترتبط به .

وأيا كانت أسباب التخلف ، داخلية أم خارجية أم مشتركة فإنها بلا ريب تؤثر على التنمية بشكل عام ، وتساهم في تعويق وتعطيل برامجها ومشاريعها ، فتصبح معالجة التخلف بمعناه العام ، مسألة ملحة لإنجاح برامج التنمية ، ولعل التطور التكنولوجي المعاصر وتضخم دور الإعلام في حياة الناس وتجاوز الحدود الجغرافية فضائيا ، جعل من حالة التخلف قضية يمكن معالجتها بأيسر مما كان في القرون الماضية ، نظرا لإمكانية التغيير البنيوي للمكونات المعرفية والنفسية عند الشعوب التي تعتبر متخلفة ، بما يساهم بدرجة كبيرة في التفاعل مع مشاريع التنمية وإنجاح مخططاتها.

وفي تقدير البحث أن الإسلام يدعم كثيرا أي عمل أو جهد في سبيل تطوير حياة البشر في أي منطقة من العالم ، بغض النظر عن دينهم ، وان كان يفضل لهم الإيمان بالله عز وجل عبر بوابة الإسلام ، وان قراءة التاريخ الديني لنبي الإسلام محمد (ص) ومن سبقه من الأنبياء تكشف عن حس إنساني رفيع عندهم لنقل حياة الإنسان لمستويات معيشية أفضل .

---

[1] محفوظ، محمد، نظريات التخلف في الفكر العربي المعاصر: قراءة نقدية، ملف التنمية قراءات وابعاد، مجلة الكلمة، العدد 11، السنة الثالثة، ربيع 1996/1416، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والابحاث.

[2] مفكر جزائري اهتم بمعالجة موضوع التخلف في عدد من الكتب.

المحور الرابع: نظريات التخلف الاقتصادي[1]

تعددت نظريات التخلف الاقتصادي منذ منتصف القرن الماضي ، فمنها النظرية الجغرافية ، التي تنظر إلى أن ظاهرة التخلف الاقتصادي يرجع إلى طبيعة المناخ الاستوائي الذي تعيش فيه غالبية الدول المتخلفة والفقيرة ، فقد كان سائد قبل الحرب العالمية الثانية ، أن المناطق الاستوائية تتميز بارتفاع شديد في الحرارة وغزارة في الأمطار ، ما يؤدي إلى انتشار الأوبئة والأمراض وخاصة الملاريا ، وربما وجد هذا الرأي سندا له حيث أن النشاط الأساسي الموجود في هذه المناطق هو الزراعة المنخفضة الإنتاجية التي تعتمد أساليب تكنولوجية متخلفة ، لكن التطور المعرفي كشف زيف هذه النظرية ، وهي لا تخلو عن ميول عنصرية .

وهنالك نظرية الثنائية الاجتماعية التي تؤدي للتخلف الاقتصادي ، حيث يسود المجتمعات المتخلفة ، نظامان احدهما مستورد من الخارج والأخر أصيل في المجتمع ، حيث أن الأول يتسم بالرقي والتقدم والثاني بالتخلف وعدم التنظيم والقابلية للتطوير ، ويقترح أصحاب هذه النظرية ترك المجتمعات المتخلفة لأنها غير قابلة للتنمية .

وتماثل هذه النظرية نظرية الثنائية التكنولوجية ، حيث أن في هذه المجتمعات قسم يعتمد الوسائل التكنولوجية القديمة والبالية ويصر على استخدامها ، وقسم أخر وهو الراغب في التطوير يستخدم التكنولوجيا الحديثة ، مما أدى إلى ارتفاع عدد السكان مع عجز الدولة المتخلفة عن الوفاء لمتطلبات هذا العدد المتزايد ، فيؤدي الأمر إلى مزيد من التخلف الاقتصادي .

وتأتي نظرية عرض العمل الغير محدد لترى أن التخلف الاقتصادي يرجع إلى وجود العمالة الفائضة لدى القطاع العام في هذه الدول مما يؤدي إلى عرض أعمال غير محددة ، وان التنمية تكمن في التخلص من هذه الأعداد الفائضة ، لكن الدول المتخلفة غير قادرة على ذلك لأسباب أخرى بعيدة عن الجانب الاقتصادي ، مما يكرس التخلف فيها على حد نظر أصحاب هذه النظرية .

---

[1] بتصرف عن، أبو علي، محمد سلطان،نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها،الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،ج٤،ص٤٠-٤٧، مرجع مذكور.

وهناك نظرية ترجع التخلف إلى أسباب ثقافية ونفسية واجتماعية ، وعدم إمكان حدوث التنمية الاقتصادية في دولة ما إلا بعد إدخال تعديلات على الإطار الثقافي القديم الذي يميزها ،

ويتمثل التغيير في تولد حاجات جديدة ودوافع جديدة ووسائل إنتاج حديثة ومؤسسات مختلفة عن تلك السائدة في الدولة المتخلفة .

وقد ينظر للتخلف الاقتصادي بسبب الآثار السلبية التي تنتجها التجارة الدولية على الاقتصاد الوطني من حيث تعميق الثنائية في المجتمع ومن ثم إبطاء معدل التغيير فيه ، أي أن الآثار السلبية للتجارة الدولية تزيد على الآثار الايجابية التي قد تنتجها ، من حيث توسيع نطاق السوق وإتاحة المجال للإفادة من المزايا النسبية للدولة . ومن ناحية أخرى فان وجود الاتجاه طويل الأجل نحو تدهور شروط التبادل الدولي في غير صالح الدول التي تصدر المواد الخام والسلع الغذائية ، ما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالدول المتخلفة .

المحور الخامس: دور الإسلام في مكافحة التخلف

خلاصة ما ذكر أعلاه أن هنالك علاقة كبيرة بين التخلف والتنمية ، وان التنمية والتخلف تقفان على طرفي نقيض وهو ما يعني الحاجة الماسة إلى التغلب على أسباب التخلف ، أيا كانت النظرية التي يتبناه المجتمع ، قبل الشروع في برامج التنمية ، لكن المبالغة في رمي بعض العوامل بأنها أساس التخلف تحتاج إلى مراجعة شديدة وعدم الركون إلى التحيز الحضاري في تشخيص مشاكل التنمية ، وبعد معالجة مشاكل التخلف يمكن الانطلاق في برامج التنمية ، سواء التنمية الاقتصادية أو التنمية الشاملة والمستدامة أو التنمية البشرية .

أما وضع هذه البرامج في غفلة تامة عن حالة التخلف التي تسود المجتمع ، فإنها قد تؤدي إلى انتكاسة كبيرة في مشاريع التنمية وبرامجها ، مما يؤدي إلى ضياع جهود كبيرة وموارد تحتاجها البلدان بشكل ملح .

وهذا الذي قام به الإسلام في معالجته لحالة التخلف ودفعه الناس للتنمية الفردية والمجتمعية ، فما الحرب التي شنها الإسلام على ما اسماه بالجاهلية، إلا مقدمة للانطلاق بمشاريع التنمية ، فالدعوة الأولى التي يرتكز عليها الدين تتمثل في نفي الآلهة ، والإيمان بالله وحده لا شريك له ، وهي تعني الخضوع لسلطانه فقط، وعدم الخضوع لأي سلطة أخرى تتعارض مع الخضوع له .

وهذه الفكرة رغم أن بعض الدعاة حصرها في جانب الطقوس العبادية ، إلاأنها ترمز إلى التحرر من كل سلطة أخرى على الإنسان تحجر عليه الإبداع والابتكار، وهو ما يعني أن أي فكرة أو عادة أو سلطة تعوق الإنسان عن الإبداع والابتكار ، هي حالة جاهلية متخلفة ، وهي بالضد مما يدعو إليه الإسلام ، بل حارب الإسلام التقليد الأعمى ، الذي يقصد به " إتباع الآخرين فكرا وسلوكا دون نظر أو تدبر ، مما يؤدي إلى جمود الفكر وشل نشاط العقل وتعطيل ملكته في معرفة وجه الحقيقة. "[1]

وهذا ما يلتقي مع التطور السريع الذي ينبثق اليوم عن المعرفة واقتصاد المعرفة ، القائم أساسا على الإبداع والابتكار المعرفي عند الإنسان ، والابتكار المعرفي هو ما يساهم بدور كبير في انطلاق مشاريع التنمية وتطورها ، فما التنمية إلا خلق وابتكار لبيئة جديدة للحياة الإنسانية ، انطلاقا من المدخلات المتوفرة بين يديه في اللحظة الراهنة .

[1] العلي، عبد الستار- قنديلجي، عامر إبراهيم- العمري، غسان،المدخل إلى ادراة المعرفة،دار المسيرة، ص٥٩، الطبعة الأولى،٢٠٠٦،عمان،الأردن.

المبحث الثالث : الدراسات السابقة

تتوزع الدراسات السابقة التي تعرضت لموضوع العلاقة بين الاسلام والتنمية إلى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول : الإسلام والتنمية

حيث نظرت الدراسات للتنمية بشكل عام في علاقتها بالإسلام، دون تحديد نوعية هذه التنمية، اقتصادية أم بشرية أم شاملة أم مستدامة أم غيرها، ويقابلنا في هذا القسم دراستان، هما:

اولا: التنمية في الإسلام مفاهيم مناهج وتطبيقات، للباحث إبراهيم العسل، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٦م عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بلبنان.

تضمنت الدراسة التي تقع في ٢٨٠ صفحة، مقدمة وبابين، وقد عنون الباب الأول بالتنمية في الإسلام مفاهيمها ومناهجها، فتطرق في الفصل الأول إلى مدخل للمفهوم الإسلامي للتنمية، ثم تعرض في الفصل الثاني لنبذة عن التنمية في الفكر الإسلامي وعرض لثلاثة نماذج، هي ابن خلدون والإمام علي بن أبي طالب(ع) وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي المعروف.

أما الفصل الثالث فقد خصصه للمنهج الإسلامي للتنمية كما يرى فتحدث عن دور الملكية في التنمية ثم الضمانات الإسلامية لتحقيق التنمية وأخيرا دور الدولة في تحقيق التنمية.

و ملاحظتنا على أن هذا المنهج يختص بالتنمية الاقتصادية، بينما الأطروحة تحاول التعرض للتنمية بشكل عام، والباحث يرى منهجا أخر للتنمية في ضوء ذلك نعرض له في تفاصيل الأطروحة، أما الفصل الرابع فقد خصصه لمفهوم التخلف فقارن بين مستويات التنمية والتخلف بين البلدان المتقدمة والمتخلفة أولا، ثم ذكر الخصائص التي تتميز بها البلدان المتخلفة ثانيا وتعرض لمشكلات التنمية في العالم الإسلامي ثالثا.

وعنون الباب الثاني بتطبيقات ميادين التنمية الإسلامية، فتناول في الفصل الأول عمليات ومقومات تنمية المجتمع الإسلامي، وفي الفصل الثاني تطبيقات على المجتمع اللبناني.

وتخدم هذه الدراسة أطروحتنا في تحديد مفاهيم التنمية ومقابلتها بالتخلف، لكن الزاوية التي تنظر لها الأطروحة لقضايا التنمية زاوية إدارية أكثر منها فكرية تنظيرية، بحيث تعطي إجابة عن كيفية استثمار عطاء الإسلام لصالح قضايا التنمية، وتعين في تحديد الاستراتيجيات المطلوبة.

ثانيا: معالم الفكر التنموي الإسلامي، الإمام علي بن أبي طالب(ع)نموذجا، للباحث عباس هاشم علوي شهاب، إصدار دار العصمة بمملكة البحرين، عام ٢٠٠٧م.

تتكون الدراسة من مقدمة وستة فصول وخاتمة، تعرض في الفصل الأول لمدخل لفهم التنمية وأبعادها وتطرق في الفصل الثاني لمفاهيم التنمية وأهدافها عند الاجتماعيين والاقتصاديين وفي الفكر الإسلامي أما الفصل الثالث فقد خصصه للمقومات التنموية الأساسية في الفكر الإسلامي والفصل الرابع عنونه بتبني النموذج الصالح للحكم عند الإمام علي بن أبي طالب (ع) والفصل الخامس بالسياسة الاقتصادية عند الإمام علي بن أبي طالب(ع) تجاه القطاعات الإنتاجية والسوق، أما الفصل السادس فقد كان عنوانه السياسة الاقتصادية في الإسلام بين عدالة التوزيع ورعاية الإنتاج، وقارن في الخاتمة بين مكانة وأهداف التنمية بين الإمام علي(ع) والنظم الوضعية.

وكما ذكرته أعلاه بالنسبة لدراسة إبراهيم العسل يسري على هذه الدراسة، إذ تختلف زاوية البحث من الجانب الفكري إلى الجانب الإداري، وان كانت هذه الدراسة أيضا تقدم خدمة للأطروحة في عرض مفاهيم التنمية وفي طريقة مقارنتها بين الإسلام ممثلة في الإمام علي بن أبي طالب (ع) والمناهج الأخرى كالرأسمالية والاشتراكية.

المحور الثاني : الإسلام والتنمية الاقتصادية

وهي الدراسات التي تتعرض للعلاقة بين الإسلام والتنمية الاقتصادية، فجاءت مركزة على التنمية الاقتصادية، وان كان في فصولها عناوين ومفاهيم عن التنمية بشكل عام، من هذه الدراسات:

اولا: حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، للباحث عبد الحميد الغزالي، الصادرة عام ١٩٨٩م، عن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة بجمهورية مصر العربية، احتوت الدراسة على أربعة فصول، كان الفصل الأول عن ملاحظات عامة لدى المؤلف حول موضوع التنمية الاقتصادية وعلاقته بالإسلام، ثم قام في الفصل الثاني بتحليل التخلف الاقتصادي، وعرض في الفصل الثالث للمناهج الوضعية في التنمية، وقابلها في الفصل الرابع بالمنهج الإسلامي في التنمية.

ويمكن القول أن هذه الدراسة تريد الانتصار للإسلام في منهجه الاقتصادي، وتفضله على المناهج الوضعية، وتهتم بالتنمية الاقتصادية بشكل أساس، أما أطروحتنا فهي ليست بوارد الدفاع عن النظرية الإسلامية إذ تعتبر ذلك أمرا مفروغا منه في البيئة المسلمة، إنما تنطلق من نظرة إدارية في كيفية استثمار عطاءات الدين الإسلامي لصالح قضايا التنمية، وهي تنظر للتنمية بشكل اعم من التنمية الاقتصادية، ومع أن هذه الدراسة تقدم منهجا للتنمية الاقتصادية في الإسلام، إلا أن الأطروحة تختلف في نظرتها للمنهج، إذ تنظر أولا للرؤية التي يقدمها الإسلام، حسب المفهوم الإداري للرؤية، ومن ثم تنظر في البرامج المتاحة وهو ما لا يتوفر في هذه الدراسة وغيرها، على حد اطلاع الباحث في الدراسات المتوفرة.

ثانيا: التنمية الاقتصادية في ضوء الفكر الإسلامي، للباحث عباس هاشم علوي شهاب، كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت لبنان، ٢٠١٠م.

وهي تقوم بمقارنة فكرية في ضوء الفكر الإسلامي للتنمية الاقتصادية، وعليه فهي تتباين مع أطروحتنا من حيث العموم والخصوص، فهي خاصة بالتنمية الاقتصادية أما أطروحتنا فهي ناظرة إلى التنمية بوجه اعم وبشيء من التركيز على التنمية البشرية، كما أن هذه الدراسة تنظر للجانب الفكري وتقوم بمقارنة بين الإسلام وغيره من النظريات التي تناقش التنمية الاقتصادية، بينما تنظر أطروحتنا لما يمكن استثماره من تعاليم الإسلام لصالح قضايا التنمية وهو ما يهم القائمين على إدارة قضايا التنمية ومشاريعها بالدرجة الأولى.

تضمنت الدراسة مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، وقد كان الفصل الأول والثاني عبارة عن الإطار النظري للدراسة، وناقش في الفصل الثالث مفهوم ومكانة التنمية واهم أهدافها من خلال استعراضه للأحكام الشرعية، مركزا على صلة مفهوم التنمية بفكرة حد الكفاية ونتائج ذلك حسب المفهوم الإسلامي، أما الفصل الرابع فيعالج فيه فكرة التكامل الايجابي بين دور الدولة ودور الأفراد في الشأن الاقتصادي، وركز في الفصل الخامس على أهمية الزراعة ودلائل توجيه الإنتاج نحو الأمن الغذائي وعالج مشكلة الاحتكار وبوجه عام مركزا على احتكار الأطعمة، وأكد في الفصل السادس على توجيه الإنتاج نحو الأمن الغذائي، أما الفصل السابع فقد عالج فيه كيفية تمكين الأفراد من المشاركة في جهود التنمية وثمارها، ولخص في خاتمة الدراسة ما توصل إليه من نتائج.

ثالثا: التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي، للباحث فرهاد محمد على الأهدن، والصادرة عن مؤسسة التعاون للطبع والنشر، القاهرة.

تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وضع الباحث في مقدمته مجموعة من الفروض سعت الدراسة لدراستها واختبارها، ومن هذه الفروض التي حاول الباحث التأكيد عليها في احد الفصول:

أن النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من كل النظام أو البيئة الإسلامية وبالتالي إما أن يؤخذ بالنظام كله أو يترك كله، وهذه الفرضية تتنافى مع أطروحتنا، التي تعتمد على إمكانية الاستفادة من التعاليم الدينية للإسلام لصالح قضايا التنمية بغض النظر عن الأخذ بالنظام الإسلامي ككل من عدمه، فليست الإفادة من دور الإسلام في دعم قضايا التنمية متوقفة على الأخذ بالنظام الإسلامي في كافة إبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية أو غيرها، بل يمكن الاستفادة منها حتى مع الوضع الحالي في أي قطر من الأقطار الإسلامية.

وقد تعرض الباحث في الفصل الأول الذي عنونه ب "هم" وقصد بهم المفكرين الاقتصاديين الذين يمثلون المدارس الاقتصادية المختلفة التي عالجت النمو والتنمية الاقتصادية، وهو بحث في تاريخ الفكر الاقتصادي في علاقته بقضية النمو والتنمية الاقتصادية.

وفي الفصل الثاني الذي أعطاه عنوان هو، تعرض للفكر التنموي الاقتصادي في المدرسة الإسلامية، فناقش هذا الفكر وعرض لبعض أفكار علماء مسلمين قدامى، وهو يريد في نهاية المطاف الانتصار للفكر الاقتصادي الإسلامي في قضية التنمية الاقتصادية.

أما الفصل الثالث فجاء عنوانه هم ونحن، وهو فصل تطبيقي حاول فيه المقارنة بين الدول الإسلامية من ناحية واليابان وإسرائيل من ناحية أخرى من حيث قضايا التنمية الاقتصادية، وفق مقاييس ومعايير وضعها الباحث بنفسه.

وفي الفصل الرابع الذي عنوانه هو ثم هم ،قام بمقارنة بين المدرسة الإسلامية والمدارس الأخرى التي فصل عنها في الفصل الأول في تحقيق التنمية الاقتصادية، ليؤكد على أحقية الفكر الإسلامي في التنمية على حساب المدارس الأخرى.

وفي الفصل الخامس، وهو بعنوان هو ونحن، تعرض لما اعتبره بديهيات عن التنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي، ثم سلط الضوء على ما اسماه بالتشخيص الفني لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ثم عرض لاستراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية الشاملة، وهو ما يمكن لنا الاستفادة منه في بلورة الأفكار الاستراتيجية لصالح

التنمية في مجالها التطبيقي في الأطروحة وهو ما سنتعرض له في الخاتمة والتوصيات إن شاء الله. وختم الدراسة بتلخيص ما عرضه في الفصول السابقة.

رابعا: العدالة الاجتماعية وتنمية الاقتصاد الإسلامي، للباحث عبد الحميد براهيمي، صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٧م.

احتوت الدراسة على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، تحدث عن أصول الاقتصاد الإسلامي في الفصل الأول، ثم المفهوم الاقتصادي عند كبار المفكرين المسلمين في الفصل الثاني، وتعرض للأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للزكاة في الفصل الثالث، وخصص الرابع لموضوع الزكاة والعدالة الاجتماعية، أما الخامس فقد كان للتنمية ومحاربة الفقر وهو الفصل الذي يلتقي مع أطروحتنا في تقصي دعم الإسلام لقضايا التنمية، ونلتقي معه في الفصل السادس حيث يبحث فيه عناصر الاستراتيجية من اجل استئصال الفقر، وكذلك الفصل السابع الذي يعرض فيها عناصر الاستراتيجية من اجل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، ونظرا لكون نظرتنا للتنمية اعم من البعد الاقتصادي، فإننا يمكن أن نستفيد من هذا الطرح لبناء قواعد استراتيجية للتنمية بشكل عام.

خامسا: الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، للباحث سعيد أبو الفتوح محمد بسيوني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،المنصورة،١٩٨٨م.

جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وواضح من المقدمة انتصار الباحث للمنهج الإسلامي كأسلوب حياة، وان الإسلام يقدم كافة الحلول للمشاكل البشرية، بما في ذلك البعد الاقتصادي، واستند إلى أقوال علماء غربيين لتعزيز هذا الرأي، وقد عرض في المقدمة ما يقصده بالحرية الاقتصادية ومداها في كل من النظام الاقتصادي الإسلامي والنظامين الاقتصاديين الرأسمالي والاشتراكي.

وخصص الباب الأول للحديث عن الملكية في الشريعة الإسلامية مقارنا مع النظم الاقتصادية المعاصرة، موضحا اثر تقرير الإسلام لحق الملكية في عملية التنمية الاقتصادية، وقد قسم الباب إلى فصلين، جعل الفصل الأول للحديث عن أنواع الملكية وعن طبيعة المال ودوره الخطير في المجتمع، والفصل الثاني عن الوسائل المشروعة التي أباحها الإسلام لكسب المال وحيازته.

وفي الباب الثاني تكلم عن تنظيم الإنتاج وترشيد الاستهلاك في الفقه الإسلامي، فأستعرض في الفصل الأول الموارد الطبيعية التي عرض لها القرآن الكريم، وتحدث عن العمل باعتباره احد

عناصر الإنتاج وعناية الإسلام به، وهو ما سيخدم الأطروحة، وختم بالتعرض لأثر تنظيم الإنتاج والعناية به في دفع عجلة التنمية الاقتصادية، وفي الفصل الثاني أسهب في الحديث عن الاستهلاك وترشيده، فلا سرف ولا تبذير في الإسلام، ليختم الفصل بالتكلم عن مساهمة ترشيد الاستهلاك في التنمية الاقتصادية، وهو جانب مهم من الأطروحة نستقيده من هذه الدراسة المركزة.

أما الباب الثالث فقد خصصه للتجارة، وجاء في فصلين، شرح في الفصل الأول مفهوم التجارة في الإسلام وتشجيعه عليها، ووضح القواعد الأخلاقية الضابطة لها، وأشار إلى الاحتكار والتسعير الجبري، وختم بالدور الذي تلعبه التجارة في تحقيق التنمية الاقتصادية، أما الفصل الثاني فضمنه قواعد تنظيم السوق والرقابة عليها حسب النظام الإسلامي، فذكر أن هنالك رقابة مزدوجة، ذاتية يقوم بها نفس التاجر وخارجية يقوم بها جهاز الحسبة.

وجاءت الخاتمة تشتمل على أهم النتائج وابرز ما توصل إليه البحث من نقاط، ويمكن للاطروحة الافادة من هذه الدراسة حين التحدث عن التنمية الاقتصادية بشكل خاص.

المحور الثالث : الإسلام والتنمية البشرية

وهي الدراسات التي تبحث عن علاقة الإسلام بالتنمية البشرية أو التنمية البشرية من وجهة نظر إسلامية، والحق أن الدراسات الأكاديمية بهذا الصدد قليلة، واغلبها أبحاث قصيرة عن التنمية الفردية "الشخصية" وقد تدخل في مجال تنمية الموارد البشرية، وهي دراسات منشورة على مواقع الانترنت وتعتبر حديثة وغالبا ما يكون الهدف منها التأكيد على أن الإسلام يهتم بتطوير الإنسان وتفجير طاقاته الذاتية لينجح في الحياة، وهو ما تهتم به مراكز التطوير الذاتي، أما الدراسات التي تهتم بقضية التنمية البشرية حسب مفاهيم ومؤشرات ومعايير الأمم المتحدة والتي تنظر إليها باعتبارها مسئولية مجتمعية وتتحمل الدولة تحقيقها، فهي دراسات قليلة، لم أجد منها إلا دراسة واحدة، وهي بعنوان:

المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، للباحث أسامة عبد المجيد العاني، إصدار مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

والدراسة تقع في ٩٤ صفحة، وتتكون من مقدمة وأربعة محاور، قرر في المقدمة أن الرأسمالية والماركسية فشلتا في الاستجابة السوية لحاجات الناس، ومن ثم فان الأخذ بهما في سبيل التنمية البشرية سيؤدي للفشل أيضا.

وفي المحور الأول تعرض للتطور التاريخي لمفهوم التنمية البشرية حسب تقارير الأمم المتحدة، ثم عرض للسمات العامة للتنمية البشرية، وأهدافها وعقبها بالتنمية البشرية ودرجة تطورها في الأمة الإسلامية.

أما المحور الثاني فقد تركز على التنمية البشرية في الإسلام، حيث تعرض أولا لموقع الإنسان في الإسلام، وأكد على أن الإسلام يعطي الأهمية للفرد وليس للجماعة، وهو مفهوم في تقديرنا غير دقيق، سيما إذا تطلعنا لمفهوم التنمية البشرية كما ستنتهي له الأطروحة، فهذا من احد موارد الاختلاف مع صاحب هذه الدراسة، حيث أن التنمية تقوم على الجماعة وليس الفرد، وإنما هو فاعل في إطار الجماعة.

كما تعرض أيضا في هذا المحور إلى التنمية البشرية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث أن مقاصد الشريعة الإسلامية تحقيق مصالح العباد بالإيجاد والحفظ، ومن هذه المصالح حفظ الضروريات وتحقيق الحاجات وضمان التحسينات، ثم فصل حول مزايا التنمية البشرية في الإسلام وأدلتها الشرعية وأهداف التنمية البشرية في الإسلام.

وفي المحور الثالث عرض للإنفاق في الإسلام ودوره في التنمية البشرية ،وأشار إلى موارد ثابتة لبيت المال وموارد غير ثابتة، ودورها في التنمية البشرية، وهذا ما يلتقي مع الأطروحة في التوصيات النهائية.

وجاء في المحور الرابع بنماذج لتطبيقات التنمية البشرية في العصر النبوي المدني، ولخص في الخاتمة ما توصل إليه من نتائج وذكر أن احد أسباب إخفاق البلدان الإسلامية في التنمية عدم وجود الإيمان الجماهيري لتحقيق التنمية لعدم ثقتهم بنتائجها المرتقبة ووجود فجوة بين السلطة والجماهير، وهو ما تحاول الأطروحة معالجته من خلال وحدة الرؤية التنموية بين السلطة والجماهير.

وخلاصة القول بالنسبة للدراسات السابقة، أن الأطروحة تلتقي في جانب كبير منها معها، غير أنها تهتم بالدرجة الأولى، بكيفية استثمار موقف الإسلام من قضايا التنمية لدعم هذه القضايا، وانجازها على ارض الواقع، وهي دراسة تنظر للجانب الإداري بشكل اكبر من التنظير الفكري.

وهي تتبنى لفظة في القرآن الكريم، لم يجد الباحث التفاتا لها من قبل الدراسات السابقة، وهي لفظة الفلاح والتي يعتبرها الباحث تجسيدا للرؤية التي يطرحها الإسلام لكافة قضايا التنمية وبمسمياتها المختلفة، ولعل هذا ما سيكون جديدا في موضوع هذه الاطروحة.

الفصل الثاني : مقدمات التنمية

المبحث الأول: مجتمع التنمية.

المبحث الثاني: اقتصاد التنمية.

المبحث الثالث: التنمية والسياسة.

المبحث الأول : مجتمع التنمية

تمهيد

نناقش في محاور هذا المبحث العلاقة بين التنمية والمجتمع ، حيث يمكن الانطلاق منها لتصور مجتمع التنمية في ضوء ما يقدمه الإسلام من دعم تنموي في تصوره لبناء المجتمع، ولا يستهدف البحث رسم تصور للمجتمع المثالي للأداء التنموي فهذا ليس من شأن هذه الاطروحة .

و من الأهمية بمكان بداية ، ان نحدد ان المقصود بالمجتمع، ذلك المكون البشري الذي تشكل عبر التاريخ وتحكمت في صياغته مجموعة من العناصر التي تفاعلت مع بعضها البعض، لتصبح وطنا ما، وابرز هذه العناصر البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات والبنى، متفاعلة فيما بينها ومع المجتمعات الأخرى.

وقد درج علم الاجتماع على : " استعمال مصطلح " مجتمع " ليس بالمعنى المطلق الجامد ، بل بالمعنى النسبي فيمكن القول المجتمع المصري أو العراقي أو السوري أو اليمني في آن معا ، وبالمجتمع العربي الذي يضم كل هذه المجتمعات وغيرها في مجتمع متكامل "[١] .

وقد يطلق على بعض المجتمعات الصغيرة بالمجتمع المحلي الذي يعرف : " باعتباره نسقا اجتماعيا يشتمل على عدد كاف من البناءات الاجتماعية النظامية لأفراد وجماعات وتنظيمات ، يستهدف إشباع حاجاتهم من خلال تكوين علاقات دور متبادلة تشمل النسق الكلي ، ولذلك فالمجتمع المحلي هو اصغر وحدة للبناء الاجتماعي داخل أي مجتمع ، تستطيع أن تعتمد على نفسها "[٢] .

وتصنف المجتمعات الإنسانية من حيث درجة تنوعها وانسجامها في صيرورتها المستدامة، من حالة التجانس إلى التعدد إلى التكوين الفسيفسائي ، حين يكون المجتمع شديد التنوع .

ورغم أن بعض الدراسات صنفت مجتمعات على أنها متجانسة في فترة زمنية ، إلا انه من الصعوبة بمكان استمرار هذا التجانس ، لطبيعة التدافع بين الناس والصراعات على الموارد

---

[١] بركات ، حليم ، المجتمع العربي المعاصر ، ص 14، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، 1991م.

[٢] جابر ، سامية محمد ، علم الاجتماع المعاصر ، ص 165، دار النهضة العربية ، بيروت ،1989 م

والسلطات ، وهذا ما يجعلنا نبحث عن الصيغة التي يمكن لها أن توفر التوافق بين مكونات المجتمع ولو بحده الأدنى ، بغية التفاعل مع مشاريع التنمية وقضاياها ، وضمان الاستدامة لها .

وتوصف العلاقات القائمة بين الجماعات التي يتكون منها المجتمع ، إما بالنزاع أو التعايش أو الانصهار ، إذ " تسود عملية الانصهار في المجتمع المتجانس ، وعملية التعايش تسود في المجتمع ألتعددي ، وتسود عملية النزاع أو التراوح بين التعايش والنزاع في المجتمع الفسيفسائي "[1].

وقد تعتبر بعض المجتمعات حضارية والأخرى مجتمعات محلية أو ريفية ، ويطلق على بعضها بدوية ، نظرا لحجم المجتمع وأنماط الحياة فيه، ومع أن علم الاجتماع يخضع العديد من البنى المجتمعية والظواهر والعناصر والعلاقات ، كعوامل مؤثرة في فهم المجتمع وطبيعته وتكوينه وصيرورته المستقبلية ، إلا أننا سنتوقف مع بعض المحاور التي نرى لها التأثير الأهم في قضايا التنمية ، مع محاولة استنباط بصيرة الدين الإسلامي في كل محور بشكل موجز، و نختم المبحث بمحور يركز على تصور المجتمع الاسلامي كما تعرض له مفكرون مسلمون .

المحور الأول: الظاهرة السكانية

تعتبر الظاهرة السكانية من الظواهر التي اهتم بدراستها عدد من العلوم وأبرزها علم الاجتماع ، وكلها تصب في نهاية المطاف بما له علاقة بتطور ونمو وتنمية هذا العدد من البشر الذي يسكن في بقعة جغرافية محددة في زمن معين ، وجاء اهتمام علماء الاجتماع بهذه الظاهرة لأن السكان كجسم بشري ينمو ويتحرك ، ومن ثم فإنهم يتصورون أن لهذا الجسم بناء و هذا البناء يطرأ عليه التغير ، وتشكل العلاقات الداخلية فيه دلائل على التقدم أو التخلف ، واهتمت السياسة كذلك بدراسة الظاهرة السكانية لما لهذه الظاهرة من تأثير في إدارة الصراعات والحروب والتحولات التي لها علاقة بالهيمنة والتسلط من قبل مجموعة بشرية على مجموعة أخرى ، واهتم بها علم الاقتصاد لما يمكن لهذه الظاهرة أن تمثله من تأثير مباشر على الموارد الاقتصادية والحركة المالية ، سلبا أو إيجابا ، كما ليس ببعيد تأثير الظاهرة السكانية على الإنتاج الثقافي والتنوع الحضاري، وكل ذلك من شأنه أن يعطي لهذه الظاهرة خصائص جديرة بالدراسة والتفكير في كيفية استثمارها لصالح مشاريع التنمية وبرامجها، فزيادة عدد السكان أو نقصانهم – على سبيل

[1] بركات، المجتمع العربي المعاصر ، مرجع سابق، ص15

المثال - يؤثر بشكل تلقائي على التعامل مع الموارد المتاحة ، فقد تشكل زيادة السكان عبئا عليها وقد يشكل نقصانهم ، ضعفا في استثمارها .

إن عدد السكان يزداد حين يفوق عدد المواليد عدد الوفيات ، " وقد كانت أعداد المواليد – على مستوى العالم – شبه متساوية مع أعداد الوفيات إلى ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي حسب التقديرات ، مما جعل حجم السكان في حالة ثبات وهو ما جعل الاقتصاد غير قلق بالنسبة لندرة الموارد الاقتصادية "[١] .

لكن التقدم الحضاري عند البشرية أدى إلى ارتفاع نسبة النمو السكاني عاما بعد عام، وهذه الزيادة في السكان شكلت ضغطا على الموارد الاقتصادية المتاحة ، بل إنها شكلت ضغطا على الماء والهواء والأرض ، مما جعل مسألة ارتفاع أعداد السكان في كل قطر في العالم محل عناية بالدراسة بهدف جعلها عند معدلات نمو مقبولة على حد إدراك القائمين على إدارة شئون البلدان .

وهذا ما حدا ببعض المفكرين للتشاؤم لزيادة اعداد السكان على مستوى العالم مثل مالتوس[٢]، ، وبذات الاتجاه جاء الكتاب الشهير الذي أصدره نادي روما تحت عنوان قيود على النمو واصدر مؤلفوه الثلاثة تحديثا له مرتين ، أولاهما سنة ١٩٩٢ وثانيتهما سنة ٢٠٠٢ بعد مرور عقدين وثلاثة عقود تباعا على صدور الكتاب ، " وقد أكد المؤلفون الثلاثة الاستنتاجات المتشائمة نفسها بالنسبة للعلاقة بين السكان والموارد التي توصلوا إليها قبل ثلاثة عقود ، وإذا كان مالتوس قد استعان بحسابات بدائية ، فان المؤلفين الثلاثة قاموا بنموذج رياضي معقد واستخدموا الحاسب الآلي لتحديد كيفية استجابة الموارد لاتجاهات زيادة السكان في العالم. "[٣] .

وقد سبق ان أعلن الأمين العام للأمم المتحدة فالدهيم عام ١٩٧٤ أن النمو الانفجاري لسكان العالم هو التحدي الأكبر للجيل المعاصر له ، جاء ذلك في مؤتمر السكان الثاني في بوخارست، اقرت فيه خطة عالمية للسكان دعت إلى اخذ المتغيرات السكانية في الحسبان عند التخطيط للتنمية .

---

[١] عجيمة ، محمد عبد العزيز و العقاد ، مدحت محمد ، الموارد الاقتصادية ، ص161 ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1980 م

[٢] الامام ، محمد محمود ، السكان والموارد والبيئة والتنمية ، التطور التاريخي ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الاول ، ص343

[٣] السيد، مصطفى كامل، التنمية والبيئة ،نقاش نظري، الموسوعة العربية، المجلد الاول،ص375، الدار العربية للعلوم- ناشرون، بيروت، 2006م.

لكن نظرية مالتوس ، وما ترتب عليها من نظرة تشاؤمية بالنسبة للعلاقة بين السكان والموارد ، وجه إليها العديد من الانتقادات منها الإغراق في النظرة التشاؤمية لمستقبل البشرية،

وقصر العلاقة بين السكان والموارد الغذائية ، بينما العلاقة أوسع من ذلك بكثير ، وانه بنى تصوره على الاكتظاظ السكاني ولم يتصور العكس وهو وفور الموارد ونقص السكان كما هو الحاصل ألان في الدول الغربية، والإسكندنافية على وجه خاص ، كما انه حين افترض تناقص الغلة لم يتصور التطور التكنولوجي وزيادة المنتوج الزراعي ، بل إن التكنولوجيا سهلت عمليات التصدير والاستيراد للسلع الغذائية بين الدول ولم يعد هاما أن تنتج كل دولة ما تحتاجه من السلع الغذائية بل يمكنها زيادة منتجاتها الصناعية ومبادلتها دوليا بالمزيد من السلع الغذائية ، ولقد أثبت توجه العالم المعاصر إلى عكس نظرية مالتوس حيث أن معدلات الزيادة في الإنتاج الزراعي والناتج عموما تفوق معدلات الزيادة السكانية في غالبية الدول .

ومن كل ذلك نستنتج أن الظاهرة السكانية مهمة في الدراسة لتحديد تأثيرها على قضايا التنمية والنهوض الحضاري ، سيما العناصر الاساسية في الظاهرة كحجم السكان وتكوينهم وتوزيعهم ونموهم"[1] .

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو التأكيد على النظرة الايجابية للأديان للحياة بشكل عام ، واعتبار زيادة السكان عاملا ايجابيا لمصلحة البشرية وليس العكس ، " فالفلسفات الشرقية والديانات السماوية الثلاث – اليهودية والمسيحية والإسلام – تنظر إلى السكان نظرة ايجابية "[2] ، والإسلام بشكل خاص يعطي حياة الإنسان الفرد قيمة عظمى تناظر قيمة المجموع ، وهو ما يكشف عن عظيم خطر الحياة البشرية وثقل الظاهرة السكانية في البناء الحضاري .

يقول تعالى : " مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ "[3]

---

[1] محمد ، حسن محمد حسن ، علم اجتماع السكان وتنمية الموارد البشرية ، ص١٨ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م

[2] الأمين ، عبد الوهاب ، التنمية الاقتصادية ، ص١٠٧ ، الطبعة الأولى ، دار الحافظ للنشر والتوزيع ، الأردن ،٢٠٠٠ م

[3] المائدة/ 32

قال احد المفسرين : " إنّ المجتمع يشكل في الحقيقة كياناً واحداً ، وأعضاءه أشبه بأعضاء الجسد الواحد ، وأنّ أي ضرر يصيب أحد أعضائه يكون أثره واضحاً – بصورة أو بأُخرى – في سائر الأعضاء ، ولأنّ المجتمع البشري يتشكل من الأفراد ، لذلك فإن فقدان أي فرد منهم يعتبر خسارة للتجمع الإنساني الكبير ، لأنّ هذا الفقدان يترك أثراً بمقدار ما كان لصاحبه من أثر في

المجتمع ، لذلك يشـــمل الضـــرر جميع أفراد المجتمع ، ومن جانب آخر فإن إحياء فرد من أفراد المجتمع ، يكون – لنفس السبب الذي ذكرناه – بمثابة إحياء وإنقاذ جميع أفراد المجتمع ، لأنّ لكل إنســـان أثرا بمقدار وجوده في بناء المجتمع الإنســـاني وفي مجال رفع احتياجاته ، فيكون هذا الأثر قليلا بالنسبة للبعض وكثيراً بالنسبة للبعض الآخر[1] ."

ومع أن المفسرين فسروا الإحياء بالإنقاذ من الموت أو الغرق أو أي مسبب من مسببات الهلاك ، وفسرت بعض الروايات الإحياء بالإخراج من ظلال إلى هدى ، إلا أننا يمكن لنا أيضا أن نستوحي من الآية المباركة، أن الإحياء بمعني الإكثار من الولادات ، حيث يساهم الإنسان في ارفاد المجتمع بالموارد البشرية المتجددة وهي أهم الموارد التي تعتمد عليها عمليات التنمية، وهو ما أكدت عليه بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تشجع على التناسل بهدف زيادة الأعداد البشرية .

ومع هذه النظرة الايجابية للظاهرة السكانية من قبل الديانات السماوية ، والإسلام خاصة، لا ينبغي الغفلة عن الدراسة الدقيقة لارتفاع نسبة النمو السكاني والتخطيط السليم، لمستقبل أفضل لهم ، وتحويلهم إلى طاقة منتجة تستثمر الموارد الأخرى بأحسن ما يمكن ، وهذه وظيفة القادة القائمين على قضايا التنمية ومشاريعها .

المحور الثاني:الطبقات الاجتماعية

اهتمت الدراسات الاجتماعية بموضوع الطبقات في المجتمع ، وقد ركز عليها الفكر الماركسي بشكل واضح، انطلاقا من الصراع على وسائل الإنتاج، وانعكاس ذلك على التحولات الاجتماعية، وما يستتبعه من انتقال من مرحلة الى اخرى حسب التصور الماركسي وصولا الى المرحلة الاشتراكية ثم الشيوعية ، حيث تتلاشى فيها الطبقات .

وقد تنبه القادة المسلمون الأوائل للتمايز الطبقي وأخذوه في الاعتبار في طريق التخطيط النهائي لقضايا التنمية ومشاريعها، و بين أيدينا نص واضح يتحدث عن المكونات الطبقية ، بمعناها الوظيفي وليس التنافسي أو الصراعي ، وهذا النص يكشف عن اهتمام القادة الأوائل من المسلمين بالبحث الاجتماعي والتكوين المجتمعي ، والحاجة إلى اخذ هذا التكوين بعين الاعتبار في التخطيط

[1] الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، تفسير الآية ٣٢ من سورة المائدة، مرجع سابق.

للتنمية ، وهو ما يؤثر بشكل كبير على التغلب على عوامل الصراع بين هذه الطبقات الواقعية ، وما ينتهي في المحصلة النهائية بالتنمية الشاملة والدائمة في المجتمع .

هذا النص نجده في ما كتبه الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، إلى عامله على مصر مالك الاشتر ، الذي عرف بعد ذلك بعهد الاشتر ، وقد نقل الملاح أن الأمم المتحدة أعطت اهتماما خاصا لهذا العهد[١]، ونجد في هذا العهد تصنيفا واضحا للطبقات الاجتماعية بناء على وظائفها المختلفة.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): " واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة ، وكل قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا " ، وقد خلص الملاح إلى ثمان طبقات من خلال هذا النص ، الجنود والكتاب والقضاة وعمال الإنصاف والرفق وأهل الجزية والخراج والتجار وأهل الصناعات والفقراء والمحتاجين وإدارة الدولة[٢] .

وهذه الطبقات توجد في كل المجتمعات وقد تتباين الطبقات من حيث درجة القوة والضعف من مجتمع إلى أخر، وقد تكون هنالك طبقات أخرى أو توزيع أخر للطبقات، كالطبقة العليا والدنيا والوسطى، بناء على التقدير الاقتصادي للطبقات .

كذلك أعطى الإمام علي بن أبي طالب (ع) عدة تقسيمات للمجتمع، تنفرد عن غيرها بتنوعها ، فهناك "التقسيم الطبقي والتقسيم النفسي والتقسيم العلمي (المعرفي) والتقسيم الإنساني والتقسيم الإيماني والتقسيم الإداري والتقسيم المهني ، وهؤلاء يشكلون النسيج الاجتماعي المتكامل"[٣] .

بالطبع يضاف إلى هذا التوزيع ، اتسام بعض المجتمعات بالتنوع اللغوي والاثني والعرقي والديني والطائفي ، وإذا ما اخذ المجتمع العربي الكبير كمثال ، فانه يتميز بشدة التنوع ، فهنالك

---

[١] الملاح ، نادر ، النظام الإداري الإسلامي ، قراءة في عهد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) لمالك بن الحارث الاشتر، ص ١٦١ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م

[٢] المرجع السابق.

[٣] الزبيدي ، عبد الرضا عبد الأمير ، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام ، دراسة في ضوء نهج البلاغة ، انتشارات باقيات ، الطبعة الأولى ، قم ، إيران ، ٢٠٠٥ م

المجتمع الريفي والمجتمع الزراعي والمجتمع القبلي والمجتمع الحضري ، وهناك الاثنيات المتعددة والأديان وان كان الغالب الإسلام ، لكن في داخل الإسلام تتعدد الطوائف والمذاهب .

من هنا فان أي برنامج تنموي لأي مجتمع لابد أن يأخذ في الاعتبار هذا التنوع ، لان التنوع في المجتمعات يمكن له أن يذكي الصراعات ، و يذهب بكل الجهود التي تبذل للتنمية أدراج الرياح ، ووجود نظام ضابط يوحد المجتمع ويحول الأهداف التنموية إلى أهداف مشتركة للجميع ، يساهم في تحقيق أهداف التنمية ، ويسارع في عجلة تطوير المجتمع ضروري ومهم، وتأكيد الاسلام على التفاضل بين الناس بالتقوى يساهم كثيرا في التخفيف من اي تناقض بين الطبقات.

المحور الثالث: السلم الاجتماعي والتنمية

من دون شك فان هنالك علاقة وطيدة بين المجتمع والتنمية ، فكلما كان المجتمع على درجة كبيرة من التماسك ، والنظرة الايجابية لقضايا التنمية ، وكانت البنى والمؤسسات الاجتماعية والأنساق والنظم الضابطة السائدة متجاوبة مع برامج وقضايا التنمية كلما كان ذلك مشجعا لتحقيق التنمية أهدافها ، وعلى العكس من ذلك فان المجتمع المتشظي والمشحون بالصراعات والمتناقضة أنسقته وأنظمته الاجتماعية الضابطة مع برامج التنمية ، يكون عائقا كبيرا أمام أهداف وبرامج التنمية ، وعليه فقد يكون السعي لبناء مجتمع منسجم ومتماسك وبعيد عن الصراعات والحروب الداخلية مقدمة ضرورية لكل برامج وأنشطة التنمية ، وإلا فان توفر بعض البلدان على كافة موارد التنمية لا يشفع لها النهوض بأنشطة وبرامج التنمية طالما كانت الصراعات المحلية أو الخارجية تهدد المجتمع وتحول دون توفير الجو المناسب للاستقرار والبناء والاستدامة .

وقد دلت بعض التجارب التنموية ، أن البلدان التي كانت مستقرة استفادت بدرجة كبيرة من برامج التنمية، رغم عدم توفرها على الإمكانيات اللازمة ، كما في التجارب التنموية في الهند للمجتمعات الريفية والمحلية[1]، وعلى العكس من ذلك بلدان أخرى، تراجعت فيها نتائج برامج التنمية وأنشطتها، رغم توفرها على إمكانيات أفضل مما هو موجود في الهند كما في بعض البلدان الأفريقية، وذلك بسبب الصراعات السياسية والنزاعات المسلحة.

[1] جابر ، سامية محمد ، علم الاجتماع الريفي ، ص٦٣ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠م

ولا يقوم الاستقرار في المجتمعات إلا من خلال ما يسوده من سلم أهلي ومجتمعي يطبع العلاقة بين مختلف مكوناته ، ومن هنا فان الدعوات التي أطلقتها الأديان السماوية ، والفلسفات البشرية الكبرى منذ أفلاطون الذي صور مجتمع التنمية في مدينته الفاضلة ، وما تؤكد عليه اليوم المنظمات التي تهتم بنشر السلام في المجتمعات ، بهدف التقليل من الصراعات والحروب تعد مقدمات مهمة جدا لقضايا التنمية.

ان احد أهداف الرسالات السماوية تتمثل في الدعوة للسلام بين البشر ، بغض النظر عن أديانهم وأصولهم العرقية واختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ولعل تسمية خاتم الرسالات السماوية بالإسلام خير إشارة إلى الدعوة للسلام بين بني الإنسان ، " إن الدين عند الله الإسلام "[١] والإسلام من السلم ، والسلم والسلامة أصلهما واحد وهو الخلو من العيوب والآفات والابتعاد عن الحروب والصراعات .

وهذه الدعوة للسلم والسلمية في العلاقات الداخلية والخارجية ، في لحظات الهدوء وفترات الصراع ، هي اكبر دعم يقدمه الإسلام للمجتمعات لتشييد تنمية مستدامة .

وحسب الشيرازي[٢] : " من مبادئ الإسلام المهمة الواجبة التطبيق هو مبدأ تنعم الإنسان بالسلم والسلام ، والأمن والحرية ، وأن لا يكره إنسان على رأي خاص ونظرية خاصة ، سواء ترتبط بالكون أو الطبيعة أو الإنسان ، وحتى في قضايا الدين فالمقرر عدم الإكراه في الدين "[٣].

وذهب عبد العظيم إبراهيم المطعني ، في دراسة حول موضوع السلام إلى التأكيد على هذه الفرضية : " أن الإسلام هو النظام العالمي الوحيد الذي احتوى على تشريعات يمكن أن يعيش العالم في ظلها في سلام ووئام ولو في شبر واحد من الأرض ، يهودا أو نصارى أو مسلمين ، بل وملحدين. "[٤]

---

[١] ال عمران / 19

[٢] مرجع ديني مشهور ، له موسوعة فقهية تزيد على مئة وعشرين مجلد ، توفي في عام 2000

[٣] الشيرازي ، الإمام السيد محمد مهدي الحسيني ، فقه السلم السلام ، الفصل الأول ، http://alshirazi.com

[٤] المطعني ، عبد العظيم إبراهيم ، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة ، ص 1 ، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، 1996م

أما سيد قطب فهو يرى أن : " فكرة السلام في الإسلام فكرة أصيلة عميقة ، تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته ، وفكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، هذه الفكرة التي ترجع إليها نظمه جميعا ، وتلتقي عندها تشريعاته وتوجيهاته ، وتجتمع إليها شرائعه وشعائره. "[١]

وهو يرى على عكس ما تذهب له بعض النظريات الاجتماعية من حتمية العلاقة الصراعية، أن الإسلام يؤسس لعلاقة سلام بين مختلف المكونات الاجتماعية : " وعندما يفرض بعض المذاهب الاجتماعية أن العلاقة بين الفرد والفرد هي أبدا علاقة الصراع والخصومة ، وان العلاقة بين الأفراد والسلطات هي أبدا علاقة الكبت والإجبار، يقرر الإسلام أن العلاقة بينهم جميعا – في المجتمع المسلم – هي الود والرحمة ، وعلاقة التضامن والتعاون ، وعلاقة الأمن والسلام "[٢].

ويتفق الفقيه الدستوري محمد طلعت القيمي مع سيد قطب أن السلم قاعدة والقتال ضرورة[٣] ، حيث ذكر في دراسته القانونية الضخمة عن قانون السلم " الحق انه وان كان السلام روح الإسلام إلا أن السلام ليس هو الحقيقة الوحيدة في الاجتماع البشري الذي يعرف كذلك – وبضراوة – التنافس والتناحر ، فدفع الباطل وكشف شر قوم عن غيرهم ، بما خلقه الله وقدره من الأسباب هو درء للمفسدة ومجلبة للخير ، ومن بين صور هذا الدفع يذكر القرآن الكريم القتال[٤] .

ولأن القتال ضرورة واستثناء كان لابد من تحديد حالاته، وهي ثلاثة أشار اليها زهران في دراسته عن السلم والحرب في الإسلام[٥]، للدفاع عن النفس ضد المعتدين ولرفع الظلم وكفالة الحرية الدينية ، وتأمين حقوق أصحابها في دائرة الاعتقاد.

---

[١] سيد قطب ، السلام العالمي والإسلام ، ص١٥ ، الطبعة الثالثة عشر ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١ م

[٢] المرجع السابق، ص١٠٥

[٣] المرجع السابق، ص٣٨

[٤] قانون السلام في الإسلام دراسة مقارنة ، محمد طلعت القيمي ، ص ٣٧٢ ، مؤسسة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م

[٥] زهران، عبد العزيز، السلام والحرب في الإسلام ، ص38 ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية ، القاهرة ، 1974م.

المحور الرابع: الأمن الاجتماعي والتنمية

يعتبر امن المجتمع " أولى المقومات اللازمة لاستقراره، ففي ظله يتآلف المجموع على المساهمة في التنمية والتطوير وتوجيه مسيرة الحياة الى المنحى القويم."[١]

وإذا كانت التنمية تستهدف تطوير المجتمع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فان الأمن بمفهومه الشامل يعبر عن قدرة المجتمع على الاحتفاظ بذاته ومصالحه وقيمه الجوهرية في مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، وهذا يؤكد أن جوهر الأمن والتنمية لا يختلفان، "إذ أن هدف كل منهما هو تلبية حاجات المجتمع أو الدولة ، والتكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية بما يحقق التوازن من جانب والاستقرار من جانب أخر ، ثم السعي نحو التطور والازدهار."[٢]

ومن هنا نجد التداخل بين الامن والتنمية في عدد ليس قليل من القضايا في المجتمع، مثل الارهاب وتجارة الاسلحة والمخدرات وانتشار الامراض المعدية الفتاكة ووجود اسلحة الدمار الشامل وقضايا الديمقراطية وحقوق الانسان والاقليات ودور المرأة وعمالة الاطفال وغيرها من القضايا التي يتشارك فيها البعدان التنموي والأمني بشكل واضح.

وفوق ذلك نجد التداخل الشديد في مستويات التنمية والأمن في الوقت الحاضر، فقد اصبحت التنمية والامن على المستوى الوطني والإقليمي والدولي متشابكة يؤيد كل مستوى منها على الاخر، نظرا لحرص كليهما على تحقيق مطالب الفرد والمجتمع والدولة من الاستقرار والنمو والتطور على المستويات الثلاثة، اضافة الى طبيعة النظام الدولي الراهن والتطور التكنولوجي من سرعة الاتصال والانتقال وتدفق المعلومات.

واذا كان يهمنا هنا ما يوفره الاسلام من دعم للأمن والتنمية، فليس ابلغ من قول الله تعالى : " فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[٣] للتأكيد على دور الامن في التنمية والعكس، حيث انه تعالى لم يطلب من الناس عبادته الا بعد ان امتن عليهم بتوفير الطعام

---

[١] البوعينين، علي بن فضل، دور مؤسسات المجتمع المدني في ارساء الأمن الاجتماعي، مؤتمر الامن الاجتماعي، ص 300، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، 2007م.

[٢] سيف، مصطفى علوي، الامن والتنمية تعدد الابعاد وتداخل القضايا، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة، ج1، الدار العربية – ناشرون، بيروت، 2006م.

[٣] قريش / 3- 4

والامن، وهذا ما يعطي مؤشرا واضحا على دور الامن في قضايا التنمية، وما يجعل من الاسلام داعما كبيرا لقضايا الامن والتنمية في ذات الوقت.

وبحسب مريم بنت حسن آل خليفة[1]، فان " عناية الاسلام بالأمن الاجتماعي تتجلى في الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة، وهي عناية تستند على مدى اهمية الأمن الاجتماعي في المنظومة السلوكية الاسلامية، ذلك ان توافر الامن الاجتماعي يشكل ضرورة لابد منها حتى يتكامل بنيان المجتمع المسلم، باعتباره عاملا اساسيا في حفظ تماسك المجتمع وتطوره واستقراره."[2]

[1] رئيسة جامعة البحرين سابقا.

[2] ال خليفة، مريم بنت حسن، الاسلام والامن الاجتماعي، مؤتمر الامن الاجتماعي، ص 34، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، 2007م.

المحور الخامس: المجتمع المدني.

إن من ابرز التعريفات السائدة للمجتمع المدني " هو مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ، ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف "[١] .

وقد يعبر عنه أيضا بالفعل البشري الذي يقتنع بضرورة تقوية الفضاء العام على حساب الدولة ، ويهدف لخدمة مصالح الإفراد ، ومنه برزت فكرة المواطنة وما يتبعها من وجوب المساواة بين الناس ، و عرف عند البعض بأنه عالم الحياة الاجتماعية المنظمة الذي يقف بين الأفراد والمؤسسات السياسية التمثيلية .

وبشكل عام يعتبر مفهوم المجتمع المدني " احد تلك المفاهيم التي هي موضع جدل متواصل في المجتمعات المعاصرة ، إضافة إلى الديمقراطية ، وحكم القانون ، وحقوق الإنسان ، والمواطنة ، والعدالة ، والسوق الحر "[٢] .

لكنه كمفهوم فرض نفسه " بعد تطورات نهاية القرن الماضي ، وتحديدا بعد انهيار الكتلة السوفيتية وسقوط حائط برلين وانتصار التضامن في بولندة "[٣] .

وازداد الاهتمام بمفهوم المجتمع المدني مع صعود موجات التحول الديمقراطي الذي شمل العالم .

ويرى المدافعون عن المجتمع المدني أن له دورا كبير في التأثير على برامج وأنشطة التنمية بحيث ، " انه يساعد في تعبئة الموارد بطرق تعجز الدولة بمفردها عن القيام بها ، لان التنمية تنتفع من الحريات التي يقدمها المجتمع المدني ، ولان الناس يقومون بمبادرات لا ينجزونها في أوضاع أخرى "[٤] .

---

[١] علي، حيدر إبراهيم ، المجتمع المدني ، دراسة منشورة في الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الثالث ، ص١٤١ ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧ م

[٢] أركون ، محمد ، تحديد موضع المجتمع المدني في السياقات الإسلامية ، منشور في كتاب المجتمع المدني في العالم الإسلامي منظورات معاصرة ، تحقيق أمين ب. صاجو ، ص٥٧ ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م

[٣] علي، حيدر إبراهيم، المجتمع المدني ، ص١٤٠ ، مرجع سابق.

[٤] المرجع السابق، ص ١٤٩.

ومع أن مفهوم المجتمع المدني مفهوم غربي في الأساس ، بمعنى انه ولد وترعرع في الغرب، في ظل نمو المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والدولة ، ولما تفرضه الممارسة الديمقراطية من تبعات، إلا أننا نجد في الفضاء الإسلامي ما يشجع على وجود مؤسسات المجتمع المدني من أحزاب أو نقابات أو جمعيات أو صناديق خيرية ومؤسسات تطوعية، بهدف تحقيق قوله تعالى : " وتعانوا على البر والتقوى "[1] فكل عمل يحقق هذه الغاية مطلوب ومشجع عليه دينيا ، سواء كان تحت إدارة أسرة أم قبيلة أم دولة أم مجموعة من المواطنين .

وقد ذهب احمد شكر الصبيحي إلى " أن التجربة التاريخية في العصر النبوي أول تجربة في التعاقد المدني عرفها التاريخ وسبقت نظرية " العقد الاجتماعي " لروسو . هذه التجربة تكشف لنا أن مفهوم الاجتماع المدني ليس البتة غريبا عن ثقافتنا العربية الإسلامية ، فليس من قبيل الاعتباط أن تم تغيير اسم يثرب بمجرد هجرة الرسول (ص) وأصحابه المكيين إليها، وان أبعاد تسمية " المدينة "بالذات تتجلى عندما نستقرئ الإجراءات الإصلاحية التي اتخذها الرسول (ص) حال استقراره في يثرب "[2] .

ويضيف : " إن التاريخ العربي يذكر لنا مؤسسات أو ما يشابه المؤسسات أقيمت ونشأت في التاريخ العربي يمكن اعتبارها مؤسسات مجتمع مدني ، ففي صدر الإسلام كان هناك أهل الحل والعقد الذين يشكلون مجلس شورى للخليفة في الدولة العربية الإسلامية الأولى ، وفي عصر الخلفاء الراشدين ، وأهل الحل والعقد هم خيرة علماء الأمة ومفكريها ، وفي المجتمع العربي في صدر الإسلام المساجد التي تقام فيها الندوات الفكرية والدينية حيث كان للمسجد دور كبير في هذا المجال "[3] .

ويعزي عدم تطور مؤسسات المجتمع المدني ، ومن ثم عدم تطور مفهوم المجتمع المدني ، إلى سيادة الدولة السلطانية المستبدة ، وتزامن ذلك مع الانحدار الحضاري الشامل الذي استمر لعدة قرون .

---

[1] المائدة / 2

[2] الصبيحي، احمد شكر، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي ، ص٤٩ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠م

[3] المرجع السابق ، ص٥٠

وما يراه الباحث أن الأسرة والقبيلة والعشيرة وكل المؤسسات التقليدية تتضافر جهودها مع مؤسسات المجتمع المدني الحديثة، والمتعددة الأغراض وتساند بمجموعها دور الدولة في دعم مشاريع وقضايا التنمية، هذا ما نفهمه من كافة التعليمات والتوجيهات والتشريعات التي يضعها الإسلام لكل إطار وبناء مجتمعي، فليس هنالك تناقض في ضوء هذه التعليمات والتوجيهات والتشريعات بين ادوار هذه الأطر بل هنالك تكامل وانسجام.

المحور السادس: مجتمع المعرفة

يعتبر مفهوم مجتمع المعرفة من المفاهيم الجديدة ، والتي لم تتضح ملامحها الدقيقة بعد، واصل هذا المفهوم نابع من التحول في الموارد الاقتصادية، حيث أن المعرفة تحولت في العصور الأخيرة إلى أهم الموارد الاقتصادية، ففي " عصر المعرفة يعتبر رأس المال الفكري الاساس في خلق افضلية تنافسية مستديمة للشركة او المؤسسة او المجتمع ، فهو حاليا يتمتع بقيمة أعلى من الاصول الملموسة التي تتضمن الموارد الطبيعية والمعامل الضخمة والادوات والمخازن التي كانت اساس الافضلية التنافسية في السابق ، ويعتبر رأس المال الفكري حاليا المورد الأكثر قيمة "[1] .

لكن التداخل بين الاقتصادي والاجتماعي جعل الفكرة تتحول من كون المعرفة وآليات توليدها من خصوصيات المؤسسات الاقتصادية، إلى التعميم إلى المؤسسات الأخرى في المجتمع، ومن ثم القول بالمجتمع المعرفي .

وحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣م " يطلق وصف مجتمع المعرفة على الطور الراهن، والأحدث، من مسيرة التقدم البشري، كما يتبلور في المجتمعات البشرية الأكثر تقدما، والمقصود بمجتمع المعرفة على وجه التحديد انه ذلك المجتمع الذي يقوم على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة ، وصولا لترقية الحالة الإنسانية باطراد ، أي إقامة التنمية الإنسانية."[2]

---

[1] قبرصي ، عاطف ، الاقتصاد الجديد ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، الطبعة الاولى ، ص ٣١٤ ،الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م

[2] تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، نحو إقامة مجتمع المعرفة ، ص ٣٩ ، إصدار برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي ، المطبعة الوطنية ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠٠٣م

لابد من التوقف هنا امام اللفظتين اللتين يتكون منهما هذا المفهوم ، اقصد المجتمع والمعرفة، فالمجتمع على ما سبق وضوحه في ما عرض سابقا، من كونه تجمع انساني ذي بنى اجتماعية ونسق وانظمة ومؤسسات، الا انه في مجتمع المعرفة يمكن تصوره من حيث الحجم من الصغر والكبر بشكل مفتوح، فيمكن لأسرة او مدرسة صغيرة او حتى مركز بحثي صغير ان يكون مجتمع معرفة، ويمكن لمؤسسة علمية او اقتصادية او اجتماعية كبرى ان تشكل هذا المجتمع، بناء على مستويات المعرفة التي تنشر وتتولد في هذا المجتمع .

اما المعرفة فهي قد عرفت لغويا: " بالإدراك الجزئي او البسيط ، في حين ان العلم يقال للإدراك الكلي او المركب، لذا يقال عرفت الله، دون علمه، والمعنى الفلسفي للمعرفة كما جاءت به الفلسفة الاغريقية فهي تدل على انها تصور مجرد واسع "[١] .

وقد قيل عنها، انها: " مزيج من الخبرات والمهارات والقدرات والمعلومات السياقية المتراكمة لدى العاملين ولدى المنظمة ، وهي تشمل المعرفة الضمنية والواضحة ومعرفة – كيف "[٢]، كما تعد المصدر الاستراتيجي في بناء الميزة التنافسية لدى المؤسسات والشركات والمنظمات والمجتمعات ، وتعد من الناحية الاقتصادية اداة لإيجاد القيمة المضافة ، وتعتبر المورد الوحيد الذي لا تهدده مشكلة الندرة ، اذ تبنى بالتراكم ولا تتناقص بالاستخدام وانما يساهم المزيد من استخدامها في توليد معرفة جديدة .

وتوليد المعرفة سواء في الشركات والمنظمات والمؤسسات ام في المجتمعات " يعني ابداع المعرفة من خلال مشاركة فرق العمل وجماعات العمل الداعمة لتوليد رأس مال معرفي جديد في قضايا وممارسات جديدة تساهم في تعريف المشكلات وايجاد الحلول الجديدة لها بصورة ابتكارية مستمرة "[٣] .

وهكذا فان المعرفة تساهم في خلق ابتكارات تدفع بتطوير اوجه حياة المجتمع، وهنا تكمن قيمة المعرفة وحسن ادارتها في التنمية بشكل عام، وما يعنينا هو وضع اليد على ما يقدمه الدين الاسلامي للدفع باتجاه تكوين مجتمع المعرفة .

---

[١] المدخل الى ادارة المعرفة ص ٢٥، مرجع سابق.

[٢] المرجع السابق، ص ٢٦

[٣] المرجع السابق، ص٢٨

ومـع ان البحـث فـي هـذا المجـال يعتبـر مـن الابحـاث الجديـدة عنـد المهتمـين بالكشـف عـن دور الاسـلام فـي قضـايا الابـداع والابتكـار باعتبارهمـا نتـائج تلقائيـة لمجتمـع المعرفـة ، فإننـا نجـد ابحاثـا لابـأس بهـا فـي هـذا المجـال، اشـار اليهـا موسـى البسـيط فـي بحثـه المعنـون " هـدي النبـي محمـد صـلى الله عليـه وسـلم فـي التربيـة الابداعيـة والابتكـار " يؤكـد وجـود ابحـاث سابقة عليه في هذا الصدد."[1]

ويمكن القول ان الدين الاسلامي شكل " ومن خلال نظرية المعرفة عمقا مهما في فهم طبيعة المعرفة من خلال السماح للأفراد بالتفكير في انفسهم وقد ورد ذلك في آيات عدة تدل على ذلك ، واذا كان الفكر يعني اعمال الذهن تدبرا وتأملا في أي من شؤون الدنيا او الدين فهو نشاط بشري اداته العقل وثمرته الرأي والعلم والمعرفة "[2]

واذا كـان الإبـداع هـو " التفكيـر العلمـي المـرن ، لتطـوير فكـرة قديمـة أو لإيجـاد فكـرة جديدة مهما كانت صغيرة ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف ، يمكن تطبيقه واستعماله "[3]

فان الاسلام يحض عليه ويؤسس له من خلال مجموعة من العقائد والاحكام والبرامج التربوية ، وهذا الذي يمكن الافادة منه في تشكيل مجتمع المعرفة ، ودعم قضايا التنمية وانشطتها وبرامجها .

المحور السابع: المجتمع الاسلامي والتنمية

كتب العديد من العلماء المسلمين ابحاثا تحت عنوان المجتمع الاسلامي ، وقد خلصوا الى ان هذا المجتمع يمثل افضل صور المجتمعات البشرية، واشاروا من خلال ابحاثهم الى ما يتوفر عليه هذا المجتمع من ميزات حيوية يؤكد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وان من الأهمية بمكان ونحن بصدد البحث عن دور الاسلام في دعم قضايا التنمية التوقف عند ما ذكروه ، بغية اقتناص مواطن الدعم والاستفادة منها لقضايا التنمية ومشاريعها ، ففي الصورة العامة لهذا المجتمع ، يؤكدون:" إن المجتمع الإسلامي هو مجتمع القوة و الاستقلال والثراء والتقدم في كافة المجالات العلمية والصناعية . وهو مجتمع يبني حضارة متكاملة بكل أبعادها ، غاية ما في الأمر

---

[1] مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد ١١٢، موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية.

[2] المدخل الى ادارة المعرفة ص 56، مرجع سابق.

[3] مجلة رسلة الخليج العربي ، العدد 112، مرجع سابق.

أن كل ذلك ينبغي أن يتم في إطار مبادئ محددة في تعامله مع شؤون الحياة ومع المجتمعات الأخرى ، تقوم على أساس الحلال والحرام الذي تقرره الشريعة الإسلامية وعلى أساس القيم والأخلاق الفاضلة "[١] .

هذه الصورة اخذت من تقرير قريب من العهد الاسلامي الاول، الذي يعتبر المجتمع الاسلامي مجتمع المتقين، حيث يقول الامام علي ابن ابي طالب (ع) : (واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت ، وأكلوها بأفضل ما أُكلت ، فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة والمتكبّرون ، ثمّ انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ والمتجر الرابح)[٢] .

وبغض النظر عن البنى الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع الاسلامي ، فطرية كانت، كالأسرة او العشيرة والقبيلة والقوم، او حضارية كالمؤسسة والشركة والحزب والطائفة والأمة وغيرها من البنى التي يمكن ان يتفتق عنها المجتمع المدني او المعرفي الحديث، وهي مفاهيم المح لها القرآن الكريم بنوعيها[٣] ، فان الاسلام ينظر الى كل هذه البنى بنظرة ايجابية طالما انها تلتزم بالصبغة العامة للمجتمع الاسلامي وهي التقوى، وتسير باتجاه تحقيق الاهداف التي يرومها المجتمع. وهذا ما يدفعنا للقول ان الاسلام في نظرته في البناء المجتمعي يوفر العناصر الضرورية لبناء مجتمع متفاعل مع قضايا التنمية والنهوض الحضاري[٤] .

ومن الحسن ما ذهب اليه السيد قطب " ان الصورة التاريخية للمجتمع الاسلامي لا تحدد ولا تستوعب كل الصور الممكنة للمجتمع الاسلامي ولكل جيل ان يبدع نظمه الاجتماعية في حدود المبادئ الاسلامية وان يلبي حاجات زمانه باجتهادات فقهية قائمة على الاصول الكلية للشريعة على

---

[١] المدرسي، محمد تقي، المجتمع الاسلامي، الموقع الرسمي للمرجع المدرسي، http://almodarresi.com

[٢] المرجع السابق.

[٣] يمكن مراجعة رضوان السيد في كتابه مفاهيم الجماعات في الاسلام دراسات في السيسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الاسلامي ، الفصل الاول ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٣م

[٤] قد يكون من المفيد دراسة مداليل لفظة التقوى والمتقين في القرآن الكريم، لاستنباط ملامح مجتمع التقوى، بشكل تفصيلي، وهذا بحث يمكن الرجوع اليه في ما هو اوسع من غرض هذه الاطروحة

شرط اتباع مناهج صحيحة في الاجتهاد واتفاق بين جمهرة فقهاء الامة الاسلامية في كل جيل ، بحيث لا ندع الامر فوضى لكل من شاء كيف شاء "[١]

لقد ذكر المفكرون المسلمون مجموعة من المقومات والعوامل التي تؤدي الى تماسك المجتمع الاسلامي وتطوره ، نذكر منها ، ما يلي :

الأول: المجتمع الاسلامي مجتمع عقدي موحد ، يشكل التوحيد محورا جامعا بين كافة مكوناته ، وهذا ما يساعد على خلق توجه مشترك بينها ، ويحرك النشاط البشري باتجاه واحد ، تتضافر فيه الجهود وتتعاون فيها الامكانات لتحقيق غايات متقاربة ، ان هذه المحورية تؤدي الى " توحيد المتجه ، الذي يتوجه اليه الفرد والجماعة والحاكم والمحكوم والعامل وصاحب العمل والمنتج والمستهلك والمعطي والآخذ .. توحيد المتجه الذي يتوجه اليه هؤلاء جميعا بنشاطهم العملي وانتاجهم المادي "[٢] . وهذا ما يسهل وجود رؤية واحدة للمجتمع ككل، وهي قضية اساسية في بناء استراتيجيات التنمية .

الثاني: المجتمع الاسلامي مجتمع انساني ، حيث انه مجتمع يؤمن بالله عز وجل وحده وهو " المجتمع الذي فصل في وعي ويقظة بين الانسان ككائن مخلوق متميز وبين كائنات أخرى يعدها مسخرة له "[٣]وفي ضوء هذه الانسانية التي تشكل الآصرة الرابطة بين مكوناته، " لا وجود لتفرقة بين اسود وابيض ، ولا شمالي وجنوبي ، ولا بين شرقي وغربي، لانهم جميعا يلتقون عند الانسانية الكبرى[٤]

الثالث: يتأسس على كون المجتمع الاسلامي مجتمعا موحدا وانسانيا ، انه مجتمع العدالة ، حيث ان المجتمع الاسلامي هو " المجتمع الذي يوفر العدالة المطلقة لجميع المواطنين ، بصرف النظر عن عقائدهم واجناسهم والوانهم ومواطنهم ، ويبلغ في هذه السمة ما لم يبلغه مجتمع اخر قديما وحديثا ، وعلى هذا المبدأ تتضافر النصوص التشريعية ويؤيدها الواقع التاريخي . "[٥]

---

[١] السيد قطب ، نحو مجتمع اسلامي ، ص٥٣، دار الشروق، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٩٩٣م

[٢] المرجع السابق، ص١٤٦

[٣] محمد البهي ، المجتمع الاسلامي واهدافه ، من كتب مكتبة الإسكندرية ، غير معروف سنة الطبعة ولا دار النشر

[٤] سيد قطب، نحو مجتمع اسلامي، ص ٩٣، مرجع سابق.

[٥] المرجع السابق، ص ١٢٧

الرابع: العلاقة الداخلية في المجتمع الاسلامي قائمة على اساس الاخوة والتعاون ، والاخوة توفر حالة التكافل الاجتماعي، " ويمثل مبدأ المؤاخاة شرط الحياة الاجتماعية والسياسية في الاسلام ، اذ تنبني الحياة الاجتماعية على ان الفرد هو مرآة الامة ، وفي ضوء هذه الأممية ينبني مبدأ الشورى في الاسلام، وبهذا المبدأ يزول التناقض بين الفرد والمجتمع حيث يصبح كلاهما غاية في حد ذاته "[١]. اما التعاون فيخلق روح الفريق الواحد في العمل والانجاز، وهو ما تحتاج اليه مشاريع التنمية، والاداء الحضاري .

الخامس: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ، لهم اعتبارهم الخاص ، في احترام ما يذهبون اليه في اعتقادهم ، و لا يكرهون على الاعتقاد بما يعتقد به المسلمون ، و يحترم جهدهم ويشرع لهم المشاركة الفاعلة في قضايا المجتمع ومشاريعه ، و " يقيم العلاقة بين ابنائه المسلمين وبين مواطنيه من غير المسلمين على اساس وطيد من التسامح والعدالة والبر والرحمة"[٢] .

[١] عربي، محمد ياسين ، تأملات في بناء المجتمع الاسلامي ، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، الطبعة الاولى ، طرابلس ، ليبيا ، من دون تاريخ

[٢] القرضاوي ، يوسف ، غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٢م

المبحث الثاني : اقتصاد التنمية

تمهيد

نتعرض في هذا المبحث للعلاقة بين الاقتصاد والتنمية ، والحق ان هنالك علاقة وطيدة بين طبيعة الاقتصاد السائد في اي بلد من البلدان والتنمية فيه ، حيث ان القيم والمبادئ والنظم والاساليب الاقتصادية تعلب دورا كبيرا في التعجيل بالتنمية او تعويقها ، والمقصود بالتنمية ما هو اعم من التنمية الاقتصادية ، وهو ما ذهبنا اليه في الفصل الاول من هذه الاطروحة ، اي التنمية الحضارية في كافة الابعاد .

وعليه فان الذي نقصده من عنوان هذا المبحث " اقتصاد التنمية " هو الاقتصاد الذي يساهم ايجابا في التنمية بمعناها الواسع، ولعل ابرز ملامح هذا الاقتصاد ان يكون قادرا على الاستثمار الامثل لكافة الموارد المتاحة في فترة زمنية محددة لتقديم الحلول المطلوبة للمشكلة الاقتصادية ، والتوفر على المبادئ والسياسات والاجراءات التي تحصن المجتمع من الانهيار جراء الكوارث الطبيعية او الازمات الناشئة من المنافسات او التراكمات السلبية جراء الممارسات الخاطئة في المجتمع .

وهو الاقتصاد الذي يتمتع بصفتي الكفاءة والعدالة كما عبر عن ذلك عمر شابرا في مصنفه " الاسلام والتحدي الاقتصادي " حيث اعتبر ان كفاءة الاقتصاد " اذا تمكن من استخدام كامل امكانيات الموارد البشرية والمادية المتاحة بحيث يمكن انتاج الحد الأقصى من السلع والخدمات التي تلبي الحاجات ، مع وجود درجة معقولة من الاستقرار الاقتصادي ومعدل نمو قابل للاستمرار"[1]

اما العدالة فقد عنى بها " انتاج وتوزيع السلع والخدمات بطريقة تشبع اشباعا كافيا حاجات جميع الأفراد وتوفر توزيعا منصفا للدخل والثروة ، دون أن تؤثر سلبيا على حوافز العمل والادخار والاستثمار وروح المبادرة في مجال الأعمال "[2]

---

[1] شابرا، عمر، الاسلام والتحدي الاقتصادي ، ص٣٠، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٩٦م.

[2] المرجع السابق، ص٣١

وفي تقدير الباحث ان ما صنفه علماء المسلمين من مبادئ وقيم وثقافة وتشريعات وطرائق اقتصادية لمواجهة مختلف الظروف الحياتية التي تمر بها المجتمعات الانسانية، يمكن اعتبارها في خانة اقتصاد التنمية، بمعناها الاعم من التنمية الاقتصادية كما ذهبنا اليه في مفهوم التنمية .

ولأجل ذلك لابد لنا من التعرض في محاور هذا المبحث للمشكلة الاقتصادية، والنظم التي تعامل بها البشر مع هذه المشكلة، ودور الدولة في الاقتصاد، والموارد الاقتصادية التقليدية والمستجدة ، وما يقدمه الاسلام من تصور لكل ما سلف، وما يتميز به من حلول وقيم ومبادئ وثقافة اقتصادية تجنب المجتمعات الوصول لحد الانهيار، وتدفع نحو التنمية وتحافظ عليها .

المحور الأول: المشكلة الاقتصادية

تعتبر المشكلة الاقتصادية من أقدم المشاكل التي واجهت الإنسان، وسعى بمختلف الطرق لإيجاد حلول لها، لدرجة التنظير وتبني أنظمة مختلفة لما لهذه المشكلة من وجود ضاغط في حياة الإنسان ، وبمقدار ما استطاع الإنسان في مختلف المناطق والفترات التاريخية من إيجاد حلول لهذه المشكلة ، استطاع أن ينعم بفترة من الرفاه والاستقرار ، وفي أكثر الأحيان تنشب الحروب والصراعات بسبب التزاحم والتدافع لإيجاد حلول لهذه المشكلة ، كل من جهته، بل إن في تاريخ البشر من القبائل والشعوب والحضارات من اعتمدت في حلها لمشكلها الاقتصادي على نهب ما لدى الآخرين من إمكانيات تفتقر هي إليها، وما قصة الاستعمار والاحتلال من بلدان لأخرى والتي لا تزال ماثلة أمامنا إلى اللحظة الراهنة، رغم التقدم الذي أحرزته البشرية على صعيد حقوق الإنسان، إلا احدى تجليات هذه المشكلة، في بعض جوانبها .

وترجع نشأة المشكلة الاقتصادية للندرة النسبية في الموارد الاقتصادية وتعدد وكثرة وتنوع وتجدد حاجات الأفراد والمجتمعات المراد إشباعهم في زمن معين ومكان معين ، مما يجعل الإنسان أمام الاختيار بين الحاجات التي يريد إشباعها أولا ، والتضحية بالحاجات الأخرى التي لا يمكن للموارد أن تشبعها في آن واحد .

وبلغة اقتصادية تعني " المشكلة الاقتصادية أن الموارد محدودة والحاجات متعددة وتصبح المسألة هي كيفية توزيع الموارد على الحاجات للحصول على أقصى إشباع ممكن أو اكبر عائد ممكن، ولابد من الإشارة إلى أن المشكلة الاقتصادية تواجه الفرد كما أنها أيضا تواجه المجتمع"[1] .

من هنا نجد أن هنالك ثلاثة أسئلة أساسية تواجه أي اقتصاد ، ولابد له من الإجابة عليها لكي يعد كفوء وفاعلا وقادرا على البقاء والاستمرار ، وهي :

أولا : ماذا ننتج من السلع والخدمات ؟ وهذا ما يتطلب الاختيار من قائمة طويلة جدا من السلع والخدمات ، إما بناء على أساس قانون السوق أو بناء على التخطيط .

ثانيا : كيف ننتج هذه السلع والخدمات ؟ أي كيف نختار الأسلوب والآلية التي يتم بها إنتاج هذه السلع والخدمات ، عبر الاستغلال الأمثل لما يتوفر بين أيدينا من عناصر إنتاج ، وهذا بدوره سيعتمد على مدى توفر كل عنصر من عناصر الإنتاج .

ثالثا : لمن ننتج هذه السلع والخدمات ؟ إذ يتوجب على الاقتصاد أن يحدد كيفية توزيع هذه السلع والخدمات على أفراد المجتمع ، فقد يتم التوزيع عن طريق تفاعل العرض والطلب كما تحدده شروط السوق ، والذي يتوقف على القدرة الشرائية للناس ، أو أن الدولة ترى ضرورة التدخل لكي لا يقع إجحاف على فئة من الناس لصالح فئة أخرى ، وهنا تختلف الأنظمة الاقتصادية في الجواب على هذا السؤال وان اتفقت على أهمية الإجابة على الأسئلة الأخرى .

وعليه فان عناصر المشكلة الاقتصادية، تتحدد في ثلاثة ، وهي الحاجات، والموارد، وتوزيع هذه الموارد على الحاجات ، وكلما استطاع بلد من خلال القدرة على تنظيم العلاقة بين الموارد والحاجات ، كان ذلك مؤشرا على التناسب بين مستوى النمو السنوي وعدد السكان المتزايد مع الزمن ، وهو ما يقود إلى أساس متين لتنمية اقتصادية أو بشرية ، أو تنمية شاملة ومستدامة .

على ان النظرة للمشكلة الاقتصادية تختلف لدى الفكر الاقتصادي الاسلامي عنها لدى الاقتصاديين ، حيث انها ترى ان المشكلة لا تتمثل في قلة الموارد او التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، " وانما المشكلة – قبل كل شيء – هي مشكلة الانسان نفسه، لا الطبيعة ولا اشكال الانتاج، فظلم الانسان في حياته العملية وكفرانه بالنعمة الالهية، هما السببان الاساسيان

[1] عبد الحميد ، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي ، ص٢٩ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م

للمشكلة الاقتصادية في حياة الانسان ، ويتجسد ظلم الانسان على الصعيد الاقتصادي: في سوء التوزيع ، ويتجسد كفرانه للنعمة : في اهماله لاستثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها "[1]

ويدعم هذا الرأي معظم الاقتصاديين " لأنهم لا يرون ان الموارد نادرة بشكل مطلق ، فالموارد لا تكون نادرة الا بالنسبة لمقدار الطلب عليها ، لذا يميل معظمهم الى الاتفاق في الرأي القائل أنه بالرغم من الندرة النسبية للموارد فانه من الممكن تحقيق الاهداف المادية والتقليل من حالات عدم الاستقرار واختلال التوازن الى الحد الادنى اذا ما استخدمت الموارد المتاحة على نحو كفؤ وعادل "[2]

ويمكن في ضوء ذلك فهم الحلول التي يقدمها الاسلام ، في سبيل تحقيق نظام كفؤ وعادل ، لمجابهة المشكلة الاقتصادية ، حيث يعطي اهتماما كبيرا لطرائق التوزيع ، في الوقت الذي يحرك الدوافع الدينية لاستثمار الموارد بأقصى ما يمكن ، ومن دون شك ان لذلك تأثيرا كبيرا في الدفع باتجاه التنمية المنشودة .

ويمكن تصور المعالجة الاسلامية للمشكلة الاقتصادية من ناحيتين :

الأولى : حث للموارد البشرية على الاستثمار الامثل لحياتها وما سخره الله لها من نعم وموارد في هذه الفترة الزمنية التي تعيشها ، من دون وجود ممنوعات في طريقها ، الا في عدد محدود من المحرمات التي تعوق التنمية الحضارية ، وتضر في محصلتها النهائية بالإنسان كفرد ومجتمع بأكثر مما تنفع ، واعتبار كل جهد يذل في سبيل هذا الاستثمار ، جهدا مقدرا في المعايير الدنيوية والاخروية ، تسبغ عليه صفة العبادة ، اذ الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله ، وهو عمل منظور بعين الله عز وجل ، ما يضفي على السعي للاستثمار الامثل للموارد ، بما في ذلك المعرفة والوقت ، يضفي عليها صفة القداسة ، فتشكل حافزا اضافيا للابتكار والابداع في المجال الاقتصادي .

الثانية : تعطي اهتماما كبيرا لتوزيع عائد الموارد على المجتمع بشكل عادل ، وقبل ذلك العدالة في ملكية الموارد ، حيث فتحت المجال للملكية الفردية بطرق واضحة وعادلة ، وكذلك للملكية

---

[1] الصدر ، السيد محمد باقر ، اقتصادنا ، ص٣٣٠ ، دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة العشرون ، بيروت ، ١٩٨٧م

[2] شابرا،الاسلام والتحدي الاقتصادي ، ص ٣٠ ، مرجع سابق.

الجماعية من خلال استحقاق حددته الشريعة ، وكذلك اعطت الحق لملكية الدولة في ما يتصل بالشأن العام .

وهذا التوزيع العادل لملكية الموارد وتوزيع عوائدها ، هو ما يخلق حالة من التوازن في الدفع نحو تنمية حضارية شاملة تحقق رؤية التنمية التي تتمثل في فلاح المجتمع في الدنيا والاخرة .

المحور الثاني: النظم الاقتصادية

تعتبر المشكلة الاقتصادية من المشاكل التي تواجه كافة المجتمعات البشرية ، منذ غابر التاريخ الى يومنا هذا وستستمر معه طالما كان على وجه الارض ، ومن غير الممكن تصور مجتمع خال من هذه المشكلة ، سواء اعتبرنا ان اصل هذه المشكلة ومسببها ما يذهب اليه الاقتصاديون من الندرة في الموارد ، ام ما يذهب له الفكر الاسلامي ، من طبيعة الانسان نفسه.

وقد سعت اغلب المجتمعات لمواجهة هذه المشكلة بنظام اقتصادي او مذهب اقتصادي كما عبر عن ذلك بعض المفكرين ، من خلال الفلسفة العامة التي يؤمن بها كل مجتمع .

ويمكن تصور مفهوم النظام الاقتصادي : " انه عبارة عن مجموعة من القواعد والمؤسسات والمنظمات التي يختارها المجتمع كأسلوب ووسيلة لعلاج المشكلة الاقتصادية ويضع المجتمع الإطار القانوني لتنظيم وتحديد أشكال هذه المؤسسات وفقا لعاداته وتقاليده وقيمه الأخلاقية والدينية "[1]

ومع أن كافة النظم الاقتصادية تتفق في الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، وهو إيجاد حل للمشكلة الاقتصادية كما تبين أعلاه ، إلا أنها تختلف في الكيفية والوسائل التي ينبغي إتباعها للوصول إلى حل مقبول ومرض للجميع وقادر على تقديم الإشباع المطلوب ، مع تطور الزمن وتجدد الحاجات والرغبات ، ومن ثم قدرة النظام على الاستمرار ، ولعل ذلك ما يفسر تغير النظم الاقتصادية عبر تاريخ البشرية من النظام الاقتصادي البدائي ونظام اقتصاد الرق والنظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي والنظام الاقتصادي المختلط ودولة الرفاهية والنظام او المذهب الاسلامي[2] .

---

[1] عبد الحميد ، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية ، ص ٥٥ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م

[2] ذهب السيد محمد باقر الصدر الى تسمية التناول الاسلامي للاقتصاد بالمذهب ، ولم يطلق عليه النظام

ولعل إلقاء نظرة على ابرز الأنظمة الاقتصادية المعاصرة التي لها تأثير على موضوع التنمية في واقعنا المعاصر مهم في هذه المبحث، لما يفيد في تكوين المحصلة النهائية عن هذا الموضوع .

أولا: النظام الرأسمالي

يقوم النظام الرأسمالي على الملكية الفردية لعناصر الإنتاج والحرية الاقتصادية في إدارة وممارسة النشاط الاقتصادي من خلال جهاز الثمن أو آليات السوق لتحقيق الأهداف الاقتصادية للمجتمع ، وقد حل هذا النظام محل النظام الإقطاعي في الغرب ، وساعد على وجوده عدد من العوامل منها تراكم رأس المال من خلال النشاط التجاري بين المدن والاكتشافات وما استحوذت عليه الدول الرأسمالية من خيرات ومكاسب من مستعمراتها .

وقد اخذ على هذا النظام قدرة أصحاب الأموال الضخمة على احتكار المشاريع الكبرى والتحكم في منتجاتها ، وبالتالي استغلال المستهلك لصالح أصحاب رؤوس الأموال ، وإهدار الموارد وسوء استخدامها ، وكذلك سوء توزيع الدخل والثروة ، فهذا النظام يؤدي إلى تركز الثروة في أيدي فئة قليلة من الأفراد ، وتزايد البطالة ووجود الأزمات الدورية والتقلبات الاقتصادية ، مضافا إلى تعارض المصلحة الخاصة مع المصلحة العامة للمجتمع .

ثانيا: النظام الاشتراكي

جاء هذا النظام على النقيض من النظام الرأسمالي ، حيث يقوم على ضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، لتكون الدولة دولة منتجة وفي نفس الوقت المحققة للعدالة من خلال الحد من التراكم الرأسمالي وتركز الثروة ، وإيجاد فرص أكثر لتشغيل العمال وتحقيق الاستقرار الاقتصادي والحد من تقلباته .

وقد تميز هذا النظام بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ، والإشباع المتزايد للحاجات الجماعية ، والنمو المخطط للاقتصاد القومي ، والتوزيع من منظور كل حسب حاجته ، وان جهاز التخطيط هو الذي يخصص الموارد .

وقد اخذ على هذا النظام المركزية الشديدة وتركز السلطة ، والبيروقراطية المعقدة ، وانخفاض إنتاجية العامل ، وبروز ظواهر الاستغلال بشكل أخر عن النظام الرأسمالي ، وغياب نظام كفئ للحوافز.

ثالثا: النظام الاقتصادي المختلط

وهو نظام سعى للجمع بين الملكية الخاصة والملكية العامة لوسائل الإنتاج ، ويجمع بين جهاز الثمن وجهاز التخطيط في إدارة وتسيير النشاط الاقتصادي للمجتمع لتحقيق الأهداف المطلوبة للاقتصاد القومي في إطار ما يسمى بالتخطيط التأشيري .

وقد تميز هذا النظام بالجمع في الملكية لوسائل الإنتاج بين الأفراد والدولة ، والجمع بين الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، والعمل جنبا إلى جنب بين جهاز الثمن وجهاز التخطيط ، وقد يكون القطاع الخاص رائدا في بعض البلدان والقطاع العام رائدا وقائدا في بلدان أخرى ، مع محاولة علاج عيوب واختلالات الاقتصاد الحر .

واخذ على هذا النظام عدم التحديد الدقيق لأدوار وأوزان كل من القطاع العام والخاص، والتخبط في اتخاذ القرارات الاقتصادية ، وحدوث سوء توزيع للدخل والثروة ، إضافة إلى انتشار ظاهرة الفساد الإداري.

رابعا: دولة الرفاهية

يأتي هذا النظام ضمن الجهود الحثيثة التي يبذلها المفكرون الاقتصاديون في سبيل ايجاد صيغة تتلافى فيها المآخذ على الانظمة السابقة ، وتحقق نظاما اقتصاديا اكثر كفاءة وعدالة ، تسود فيه دولة الرفاه الاجتماعي ، وترتفع فيه درجات الحرية الاقتصادية المسئولة .

مع انه لم يوجد اجماع في الآراء حول طبيعة هذا النظام ، " بل على العكس من ذلك ، اذ ان المحللين الاقتصاديين لم يتمكنوا من التوصل الى اتفاق مقبول بوجه عام حول التعريف الدقيق لدولة الرفاهية رغم مناقشاتهم التي امتدت عقودا من الزمن . لهذا تختلف امثلة الرفاهية ابتداء من النموذج الفاتر المطبق في الولايات المتحدة وانتهاء بالنموذج الأكمل الموجود في السويد "[1]

[1] الاسلام والتحدي الاقتصادي ، ص١٥٤، مرجع سابق.

وقد اخذ على هذا النظام ازدياد الضغط على الموارد جراء خدمات الرفاهية وارتفاع مستوى الضريبة والانفاق الحكومي اضافة لارتفاع معدل التضخم ، ومن دون شك ان ذلك يؤثر على الادخار والمبادرات الشخصية ويثبط النشاط الاقتصادي .

ورغم أننا قد قطعنا ما يزيد على عقد من الزمن في الألفية الثالثة ، إلا انه لم تجنب هذه الأنظمة بلدانها أو العالم من كوارث اقتصادية، وهذا يؤكد أهمية البحث عن نظام اقتصادي عالمي أكثر كفاءة وعدالة ، يمكن أن يحقق الرفاهية للمجتمعات ، وفي نفس الوقت تزداد قيمة الحرية المسئولة فيه.

المحور الثالث: دور الدولة في الاقتصاد

تعتبر الدولة في أي مجتمع المدير والمنظم له ، ومن الطبيعي أن تولي اهتماما كبيرا للمشكلة الاقتصادية وان لا تألوا جهدا في سبيل إيجاد حلول لها ، وخلق حالة من التوازن لضمان استقرار سياسي واقتصادي واجتماعي ، يجنب المجتمع الوقوع في الكوارث في شتى الميادين ، وهذا ما يتطلب منها التزام سياسة اقتصادية واضحة ، يتحدد من خلالها علاقتها بباقي المجالات ، وتحقق بالتالي الأهداف المطلوبة والمتفق عليها من جميع أفراد المجتمع .

هذا وقد تطور دور الدولة عبر مراحل تاريخية مختلفة ، فقد مر هذا الدور بمرحلة الدولة الحارسة في القرن السابع عشر والثامن عشر في ظل سيادة النظرية الكلاسيكية التي كانت تنظر إلى النشاط الاقتصادي انه منوط بالأفراد دون تدخل من الدولة ، ثم جاءت مرحلة الدولة المتدخلة " سيما بعد بروز أزمات اقتصادية كبرى كالكساد العالمي الكبير (١٩٢٩-١٩٣٢) وبروز النظرية الكنزية التي قامت على أساس ضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بإقامة المشروعات التي تحرك الركود الاقتصادي "[١] ، ثم جاءت مرحلة الدولة المنتجة تزامنا مع قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وازدهار المفاهيم الاشتراكية والنزعات نحو التأميم وغيرها ، وتوجد مراجعات لدور الدولة في النشاط الاقتصادي في كل المجتمعات تقريبا، سيما مع بروز الأزمات الاقتصادية بين فترة وأخرى، والتي تهدد بوجود أزمات اقتصادية في عدد من الدول المتقدمة في العالم .

[١] النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي ، ص ٤٢٢، مرجع سابق.

و " دور الدولة اوسع من مجرد وضع السياسات المناسبة للاستقرار الاقتصادي ، بل تقع عليها مسئولية وضع الاطار المؤسسي اللازم لكفاءة عمل نظام السوق ، بالإضافة الى تطبيق السياسات اللازمة لاستمرار الاستقرار والنمو الاقتصادي ، فالدور الاساس للدولة في الحياة الاقتصادية انها المنظم للنشاط الاقتصادي "[١]

ولعل من أهم الأدوار للدولة في الشأن الاقتصادي ما له علاقة بالسياسة المالية ، حيث تلتزم الدولة بمجموعة من القواعد والأساليب والوسائل والإجراءات والتدابير لإدارة النشاط المالي بأكبر كفاءة ممكنة ، لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال فترة معينة.

وما يهمنا هنا تسليط الضوء على دور الدولة في الاقتصاد ، بحسب النظام الاسلامي ، وهو بحسب ما ذهب اليه السيد محمد باقر الصدر ، دور رئيس وكبير ، حيث اعتبر ان : " للسلطة الاسلامية العليا حق الطاعة والتدخل ، لحماية المجتمع وتحقيق التوازن الاسلامي فيه ، على ان يكون هذا التدخل ضمن دائرة الشريعة المقدسة ، فلا يجوز للدولة او لولي الامر ان يحلل الربا ، او يجيز الغش ، او يعطل قانون الارث ، او يلغي ملكية ثابتة في المجتمع على اساس اسلامي، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وآله – يطبق مبدأ التدخل هذا، حين تقتضي الحاجة ويتطلب الموقف شيئا من التدخل والتوجيه، وهو لا يقوم بذلك بصفته رسولا مبلغا للأحكام الشرعية العامة وانما بوصفه ولي الأمر، المسئول عن تنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع وتوجيهها توجيها لا يتعارض مع المصلحة العامة التي يقدرها "[٢]

اما الفنجري فيرى ان " الاسلام يتطلب تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سواء لمراقبة سلامة المعاملات وشرعية النشاط الاقتصادي عن طريق المحتسب ، او تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق الملكية العامة ومباشرة بعض اوجه النشاط الاقتصادي كلما اقتضى الامر ذلك، او كفالة حد الكفاية لكل مواطن عن طريق مؤسسة الزكاة، او حتى التأميم او نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة كتوسيع المساجد او الشوارع او اقامة المرافق العامة "[٣]

---

[١] البلاوي ، حازم ، عن الليبرالية ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص ٨٧ ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م

[٢] اقتصادنا ، ص ٢٨٥، مرجع سابق.

[٣] الفنجري ، محمد شوقي ، المذهب الاقتصادي في الاسلام ، الاقتصاد الاسلامي ، منشورات جامعة الملك عبد العزيز ، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي ، بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي ، الطبعة الاولى ، جدة ، ١٩٨٠م

وخلص الاستاذ المبارك في بحث مستقل عن تدخل الدولة الاقتصادي في الاسلام الى انها " مديرة للقطاع العام ، وان اختلف حجمه بسبب العصور ، وهي تقوم بالخدمات العامة ، وتعمل في زيادة التنمية وتساعد على ذلك "[1] .

ويذهب محمد احمد صقر " ان مهمة الدولة الاسلامية هي تحقيق الرفاهية المتوازنة للمجتمع ، وكلمة متوازنة في المفهوم الاسلامي تتطلب ان تلم الدولة في سياساتها واساليب تعاملها بمتطلبات الرفاهية في صورتها الشمولية سواء المادي منها والروحي "[2]

من كل ذلك نخلص الى نتيجة وهي : ان الاسلام يجعل قيادة الاقتصاد الكلي بيد الدولة ، رغم ما يمنحه الافراد من حريات في النشاط الاقتصادي، ومن ثم فان التنمية بوجه عام والاقتصادية بشكل خاص تعتبر من مسئوليات الدولة، وهذا ما يجعل التنمية الحضارية الشاملة قابلة للتخطيط الاستراتيجي، طالما ان جهة القيادة قد تحددت ، ومنحت من الصلاحيات ما يكفي للقيام بذلك .

المحور الرابع: الاقتصاد التقليدي والاقتصاد المعرفي

اعتمد الاقتصاد التقليدي على الموارد الطبيعية بشكل اساس، فالثروات التي تكتنزها الارض وما تجود به البحار والانهار والسماء ، والتجارة في عوائدها هو ما كان يشكل العصب الرئيس في الاقتصاد ، لكن الاقتصاد مثله مثل بقية جوانب حياة الانسان الحضارية ناله الكثير من التغيير ، سيما في العقود الاخيرة ، حين تغيرت قاعدة الاقتصاد من الاقتصاد التقليدي الى الاقتصاد المعرفي .

و " لاريب ان الاقتصاد العالمي قد تغير تغيرا كبيرا منذ السبعينات ، ولكن طبيعة هذا التغير وتوجهاته وسرعته وظروفه ونتائجه ، مسائل مفتوحة كلها للمناقشة ، والخطى السريعة للتغير التكنولوجي في مطلع التسعينات تسارعن حاليا الى حد بعيد ، وتزايدت قيمة وأهمية البحث والتطوير والصناعات القائمة على المعرفة من اجل التنافس في الاسواق العالمية ، وتعمل

---

[1] المبارك ، محمد ، تدخل الدولة الاقتصادي في الاسلام ، بحث منشور ضمن بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي ، الاقتصاد الاسلامي ، ص ٢١٨ ، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي ، الطبعة الاولى ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٩٨٠م

[2] صقر ، محمد أحمد ، دور الدولة في الاقتصاد الاسلامي ، منشورات الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، جدة ، دار سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٠م

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على تغيير طبيعة النشاط الاقتصادي وخطواته وموقعه ، وتنشئ منتجات واسواقا ومؤسسات وقيما جديدة "[١] .

وقد تم الانتقال من الاقتصاد التقليدي الى الاقتصادي المعرفي عبر مراحل ، حيث " انتقلت بنية الانتاج من السلع الى الخدمات ومن الموارد الى المعرفة ومن الاهتمام بقطع الكمبيوتر الى البرمجة ، وساهمت التغيرات المؤسساتية والتنظيمية للاقتصاد والمجتمع على حد سواء في تسهيل انتقال الاقتصاد من اقتصاد ميكانيكي الى اقتصاد رقمي ، وفي مختلف النواحي "[٢] .

وفي ضوء ذلك برزت الفوارق بين الاقتصاد التقليدي والاقتصاد الجديد ، ففي الوقت الذي كان الاقتصاد القديم يعتمد على نظام كثافة الطاقة ، اعتمد الاقتصاد الجديد على كثافة المعرفة ، وبينما كانت تتم التصاميم في المكاتب سابقا ، تتم حاليا من خلال برامج تصميم ، وتم استبدال التصميم المتتالي والانتاج بالهندسة المتزامنة ، وجاء الانتاج المصنوع وفقا لمواصفات يحددها المستهلك ، وفسح الانتاج القديم المعتمد على خليط سلع ثابتة ، المجال امام خليط السلع المتغير للاقتصاد الجديد ، واستبدلت الادوات والتجهيزات المختصة بأنظمة انتاج مرنة ، وتم استبدال المكننة بالتصنيف والاستثمار في القطاعات التي كانت تسجل تراجعا ، باستثمارات في شبكات ومجموعات من الشركات العاملة ضمن الاقتصاد القديم ، وتم تحويل البنى الهرمية الى افقية ، والاقسام المستقلة تم ادخالها ضمن بنى مؤسساتية متكاملة ، واستبدلت السلع ذات الخدمات بخدمات ذات سلع ، وانتقلت المركزية الفكرية الى ذكاء موزع ، والمهارات المتخصصة الى مهارات متعددة والتخطيط الى رؤى ، واعطيت المعلومات المكثفة مكانها للمعرفة والانظمة المبتكرة .

ومن دون شك فان هذا التحول ينعكس بشكل تلقائي على قضايا التنمية ومشاريعها ، فالبقاء في فضاء الاقتصاد القديم ، لن يساهم في الارتقاء بمشاريع التنمية ، بل قد يؤدي الى تخلفها ، وتقهقرها ، بل قد يؤدي الى الاستغناء عنها طالما بقيت في نمط تفكير قديم .

وما يهمنا بهذا الصدد ، التأكيد على ان الاسلام يدعم هذا التحول في الاقتصاد ، ويساند الاقتصاد المعرفي، وهو ما اشار اليه البحث في عنون مجتمع المعرفة.

---

[١] الشريف ، حسن ، السياسات الصناعية البنيوية في البلدان العربية : الاستراتيجيات والسياسات الصناعية للانتقال الى الاقتصاد الجديد ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص ٢٧٤ ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م

[٢] قبرصي ، عاطف ، الاقتصاد الجديد ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٨ ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٧م

المحور الخامس: الاسلام والاقتصاد نظرة عامة

تشكل الاصول والمبادئ الاسلامية العامة من عقائد واحكام وثقافة واخلاق الاطار العام لكل مجال من مجالات الحياة ، فلا يمكن تصور مجال يخرج التصور الاسلامي له عن هذه الامور، كما ان هنالك ما هو خاص بكل مجال من المجالات ، كالمبادئ التي تختص بالجانب الاقتصادي ، وهي حاكمة في مجالها ، من هنا وكما ذهب السيد الصدر و الفنجري ، تشكل هذه الثوابت المذهب الاقتصادي الاسلامي ، و الاقتصاد ملزم بها في اي زمان ومكان ولا يخرج عنها ، ان اريد وصفه بالاقتصاد الاسلامي .

وفي ذات الوقت في الاسلام نظام اقتصادي مميز ، وهي الطريقة التي يعالج بها الاسلام قضايا الاقتصاد وهي التي يمكن تصور التطوير والتعديل والاختلاف فيها من زمن لأخر ومن فقه مشرع الى اخر ، ومن دولة الى اخرى .

وعليه يمكن لنا ادراج ما يمكن ان نطلق عليه النظام والمذهب الاقتصادي الاسلامي في النقاط التالية :

أولا: يشكل الدين بمفاهيمه وعقيدته والقيم الاجتماعية والعاطفية والتربوية صيغة عامة تفرض نفسها على الاقتصاد في المجتمع الاسلامي ، وهي كل لا يتجزأ وتترابط فيما بينها لتشكل الصورة العامة لما يريده الاسلام من تمثل في كافة الابعاد ، ومن هنا يصعب فصل الاقتصاد عن بقية الابعاد في التصور الاسلامي ، فهو مرتبط بالاجتماع والسياسة والثقافة وغيرها ، ومن غير المنطقي تصور اقتصاد اسلامي في بيئة بعيدة عن الالتزام ولو بالحد الادنى من الاسلام في الابعاد المشار اليها ، وقيمة هذا الترابط بين الابعاد المختلفة والاقتصاد انها يشكل قيما مضافة للاقتصاد ، ويساهم بدور كبير في دعم مشاريع التنمية المختلفة.

ثانيا: يفترق الاقتصاد الاسلامي في نظرته للملكية عن الانظمة الاخرى ، فهو على العكس من الانظمة التي حصرتها في الملكية الفردية او ملكية الدولة ، نراه يجعلها ملكية متنوعة ، ففي الاسلام هنالك الملكية الفردية التي يتحصل عليها الانسان جراء ما يبذله من جهد عضلي او فكري او ابتكار او علاقة يتميز بها ، او ما يتحصل عليه من عطايا او ارث ، وهنالك الملكية العامة التي يتشارك فيها كل الناس وليس من حق احد ان يستقل بها ، وهنالك الملكية التي خصت بها الدولة ، وهي المعنية بالتقرير بشأنها ، اذا الاسلام يعطي الدولة صلاحيات كثيرة في التصرف في الملكية التي منحها اياها .

ثالثا: تعتبر الحرية الاقتصادية ركن اساس في الاقتصاد الاسلامي ، فلا يوجد حظر على فرد او مجموعة من القيام باي عمل اقتصادي بالطرق المشروعة وضمن الاطار الاسلامي العام ، وكل ما يمكن ان يعتبر ممنوعا هو ما حرم في الشريعة ، والتأمل في ما حرم يقود الى اكتشاف الضرر البالغ الذي تتركه المشاريع الاقتصادية المحرمة على التنمية الشاملة للمجتمع ، وعلى سبيل المثال ان حرمة الخمر في الاسلام بيعا وشراء وتقلبا ، انما هي لحماية المجتمع من التصدعات ، وعدم تحولها الى حيل هروبية من مواجهة المشاكل الطبيعية في الحياة والتي تحتاج الى حلول تكشف عن عظيم ما يمكن للإنسان من ابتكاره من حلول ، يكون عائدها عظيما حتى من الناحية الاقتصادية على المجتمع .

رابعا: وتعتبر العدالة الاسلامية مبدأ هام في الاقتصاد الاسلامي ، ويتضح ذلك من خلال التوزيع العادل للثروة العامة ، ومن خلال التكافل والتوازن الاجتماعيين.

خامسا: وهو اقتصاد واقعي ، بمعنى انه يستهدف الانسجام مع واقع الانسانية واحتياجاتها ، فلا يسبب للبشرية العناء والارهاق ، فيأخذ بعين الاعتبار قوة الانسان وضعفه وامكانياته المحدودة وقدراته على الانجاز ، فيضع من القوانين والتشريعات ما تأخذ كل ذلك بعين الاعتبار.

سادسا: كما يتصف الاقتصاد الاسلامي بصفة الاخلاقية ، فهو " يهتم بالعامل النفسي ، من خلال الطريقة التي يضعها لتحقيق اهدافه وغاياته ، فهو في الطريقة التي يضعها لذلك ، لا يهتم بالجانب الموضوعي فحسب – وهو ان تحقق تلك الغايات – وانما يعنى بوجه خاص بمزج العامل النفسي والذاتي بالطريقة التي تحقق تلك الغايات "[1] وهو بذلك ينفذ الى الاعماق الروحية والفكرية للإنسان ، ليحول من العملية الاقتصادية بودقة اخلاقية ، بصف جانبها الاقتصادي المنشود .

سابعا: يهتم الاسلام كثيرا بتداول المال وعدم كنزه وتخزينه ، وهو ما يجعله محركا للدورة الاقتصادية ، بل يعتبر ان تخزينه من دون تخطيط لتداوله بشكل معقول من موجبات العقاب الإلهي ، كما انه يفرض ضريبة سنوية على المال المخزن .

ثامنا: لم يسمح الاسلام بوضع فائدة على اقتراض الاموال ، واعتبر هذه الفائدة ربا يعاقب عليه في الدنيا والاخرة ، وحث على القرض الحسن ، وانفاق الاموال في المشاريع التي تعود بالنفع على اصحابها والمجتمع .

---

[1] اقتصادنا ، ص٢٩٠، مرجع سابق.

من كل هذه النقاط وغيرها مما هو محل تفصيل في الدراسات المهتمة بالاقتصاد الاسلامي، نرى انها تساهم بشكل كبير، لا في التنمية الاقتصادية فحسب، بل في التنمية بمعناها الحضاري العام الذي ذهبنا له في هذه الاطروحة .

المبحث الثالث : التنمية والسياسة

تمهيد

السياسة تقود البلدان، ولا يمكن لتنمية أن تحدث من دون إرادة سياسية متمثلة في أهل الحكم، وطبيعة العلاقة القائمة بينهم ومختلف تشكيلات المجتمع تنعكس على التنمية ، وكلما كانت هذه العلاقة مرنة وقائمة على أساس من القبول والتراضي كلما ساهم ذلك في إنجاح مشاريع التنمية ، وعلى العكس من ذلك فان أي بلد مهما توفر على موارد طبيعية واقتصادية وبشرية هائلة ، وتتسم العلاقة فيه بين أهل الحكم وسائر طبقات المجتمع ، بالإكراه أو التنافر ، فان هذه المشاريع مهددة بالسقوط في أية لحظة ، وربما هذا ما يثبط أهل الحكم من الإقدام على المشاريع التنموية الكبرى التي توضع فيها أضخم الموارد المحلية ، لأنهم يشعرون أن كل ذلك قد يهدد موقعهم السياسي ، ولا يساهم في تثبيت حكمهم ، على العكس من البلدان التي تتسم بالديمقراطية ورضا الناس عن القوة السياسية الحاكمة فان الإكثار من مشاريع التنمية ووضع اكبر الموارد فيها ، هو ما يدعم الثقة في هذه القوة ، ويضمن لها مستقبلا في الاستمرار في قيادة البلاد والعباد .

من هنا فان دراسة نظام الحكم وشرعيته ، والحكم الصالح كما في الدراسات التنموية ، وتداول السلطة ونوعية المعارضة ، ومفهوم الديمقراطية في الاسلام وعلاقة كل ذلك بالتنمية من مهمة وجذيرة بالتعرض لها في محاور في هذا المبحث .

المحور الأول: التنمية و شرعية الحكم

هنالك تأثير متبادل بين التنمية والنظام الحاكم ، فالنجاح في مشاريع التنمية يعزز من الدور السياسي لأية حكومة تقود هذه التنمية ، ويرفع من رصيدها إن على مستوى محلي أو دولي ، كما أن السياسة الحكيمة والحكم الرشيد تؤديان بشكل تلقائي إلى زيادة فرص النجاح للمشاريع التنموية ، وليس من اكتشاف للأسرار المبهمة إذا ما فشلت تنمية اقتصادية أو بشرية أو شاملة ومستدامة في أي بلد من البلدان حين توجد به حكومة تفتقر إلى أدنى مستويات العدالة ، وتتفشى فيها ظاهرة الاستبداد والدكتاتورية ، ويخترق أجهزة دولتها إخطبوط الفساد المالي والإداري ، وليس من

المستغرب أبدا أن تتفوق الدول ذات الأنظمة السياسية الديمقراطية من حيث التنمية والتطوير على الدول ذات الأنظمة المستبدة أو التي لا تشارك جماهيرها في اتخاذ القرار .

التنمية والسياسة أصبحتا اليوم متشابكتين بعضهما ببعض وتدوران مدار الوجود والعدم ، في عالم أصبح منفتحا وتداخلات أممية لم يعد بالإمكان الهروب منها ، فتقارير الأمم المتحدة المتلاحقة سنويا ، تكشف بدقة ما تنجزه كل حكومة من تنمية وارتقاء لشعبها ، ومن ثم تعطي بالأرقام والحقائق مبررات إضافية لاستمرار هذه الحكومة أو تلك ، أو يحفز من الضغط الشعبي عليها لتقلع سريعا قبل أن يتحول الضغط إلى هيجان شعبي يقتلع هذه الحكومة من الجذور .

وإذا كان كل نظام سياسي يحتاج إلى شرعية يتكئ عليها ليبرر استمراره في الحكم ، والتمسك بمقاليد الأمور في أي بلد ، فان التنمية بشتى تصنيفاتها تعد اليوم احد الدعائم الأساسية للشرعية ، والتنمية هذه ليست ما يحاول النظام السياسي الحاكم في كل بلد إظهاره والتفاخر به على الصعيد المحلي أو الخارجي ، بل ما تتضمنه التقارير الدولية التي تتسم بنسبة عالية من المصداقية والدقة .

وفي تقدير الباحث ان تاريخ المسلمين لم يكشف عن نظام سياسي محدد ، ولا طريقة حكم واحدة ، يمكن اعتبارها الشرعية التي يستمد منها الحكم بسط سلطته على المجتمع ، وانما تعددت الانظمة وطرق الحكم ، فمنذ وفاة رسول الله (ص) وحتى الوقت الراهن تجد انظمة متباينة عند المسلمين تمارس شرعيتها وبسط سلطتها باعتبارها القيادة الفعلية للمجتمع.

وللمتابع البسيط لتاريخ تحول السلطة بعد وفاة النبي محمد (ص) من خليفة الى آخر ان يجد هذا التنوع الذي قبل به عامة المسلمين ، وسارت عليه الامة الاسلامية في عقودها الثلاثة الاولى ، فالخليفة الاول تمت مبايعته في سقيفة بني ساعدة بعد شجار جرى بين المهاجرين والانصار ، وقد جاءت بعض التعابير عن هذه البيعة بالفلتة وقى الله المسلمين شرها ، اما الخليفة الثاني فقد اوصى به الخليفة الاول ونجح في بسط سلطته ونفوذه وحضي بقبول من المسلمين ، اما الثالث فقد رشحه الخليفة الثاني من ضمن ستة ، فرض عليهم ان يختاروا واحد منهم في غضون ثلاثة ايام، وجاء اختيار الرابع بما يشبه الثورة الشعبية .

والخلاف على الحكم عند المسلمين: " ظل الوحيد والأعظم حتى امد طويل في عمر الاسلام والمسلمين ، وحتى تمت الفتوح وتفاعلت الافكار العربية الاسلامية ثم تصارعت مع الملل والنحل والعقائد الأخرى"[١]

وقد افرز هذا الخلاف نظريتين مختلفتين في شرعية الحكم عند المسلمين ، فهناك نظرية الشورى ، ونظرية الامامة المنصوصة التي ذهب اليها الشيعة ، وما يهمنا في هذا البحث هو الواقع الذي سار عليه المسلمون ، وهو ان الشرعية لم توجد لها صيغة محددة سار عليها المسلمون في تاريخهم ، فلم يكن واقعهم السياسي انعكاسا لنظرية الشورى ولا نظرية الامامة ، وقد فرضت قوة الغلبة والقهر اغلب فترات التاريخ في تثبيت سلطة وشرعية الحكم ، ولعل ذلك ايضا ما يفسر اختلاف انظمة الحكم التي تعتبر نفسها اسلامية اليوم .

لكن هذا لا يمنع ان يكون في الاسلام من المبادئ العامة ، ما يفرض على اي نظام حكم ان يلتزم بها وهو في الحقيقة ما ينتهي بهذا النظام الى قيادة العملية التنموية في المجتمع ، فيبرر وجوده ويمنحه الشرعية المستدامة، وهي ثلاثة مبادئ اساسية يقوم عليها الحكم في الاسلام، "العدل والشورى والمساواة "[٢] .

وفي تقديرنا ان التزام اي نظام بهذه المبادئ الثلاثة ، وما يتفرع عنها من قيم وتشريعات ، يعطي النظام القائم شرعية واقعية ، وهي كافية لإحداث تنمية مستدامة في اي مجتمع من المجتمعات ، فالعدالة تشعر كل فرد ان عائد جهده سيرجع له عاجلا ام آجلا ، والشورى تفتح له الطريق لطرح ما يراه من افكار لتطوير مجتمعه ، والمساواة تضمن له عدم تمييز احد عليه .

وكلما اقترب اي نظام سياسي من مواصفات الحكم الصالح حقق نتائج افضل للتنمية، وهو ما لا يتعارض بمجمله مع الاسلام، ويحقق هذه المبادئ الثلاثة، فقد عرف الحكم الصالح " بالإدارة الشفافة والقابلة للمحاسبة للموارد البشرية والطبيعية والاقتصادية والمالية لغرض التنمية المنصفة والمستمرة ، وذلك ضمن بيئة سياسية ومؤسساتية تحترم حقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية وحكم القانون "[٣] .

---

[١] عمارة ، محمد ، الاسلام وفلسفة الحكم ، ص ٧٠-٧١ ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٨٩م

[٢] عكاشة ، تاريخ الحكم في الاسلام ، ص١٣٤، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م

[٣] البياتي، فارس رشيد، التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي، ص ١٠٧، مرجع مذكور.

ويعتبر الحكم صالحا حين تتوفر ديمقراطية حقيقية توفر المشاركة وتمثيل الشعب بشكل عادل ومحاسبة للحكومة ، وحماية لحقوق الإنسان ، واحترام لحكم القانون وإدارة العدالة ، واستقلالية المجتمع المدني وتنشيط دوره ، وإدارة احترافية وحيادية في النشاط الحكومي ، سيما ما له صلة بالمال العام ، وسلطات غير مركزة في يد فرد أو مجموعة لحكومة محلية فعالة ، وبمشاركة تامة من قبل المواطنين ، وكل ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تنمية شاملة ومستدامة .

ويعمل الحكم الصالح على زيادة فاعلية المساعدات ويشجع على استخدام الموارد المحلية بشكل أفضل ، وهو ما يفضي إلى نتائج تنموية جيدة ، وبذلك فان الحكم الصالح يؤثر بشكل كبير على أهداف وبرامج التنمية الشاملة والمستدامة .

المحور الثاني: البيئة السياسية والتنمية

يقصد بالبيئة السياسية ما هو اعم من نظام الحكم ، وهذه البيئة تؤثر بشكل كبير على مشاريع التنمية ، وقد تكون معوقة لها ، من هنا تبرز ضرورة الاهتمام بها ، لتساهم بشكل ايجابي فيها ، ولعل من اهم مكونات هذه البيئة المؤسسات الرسمية والأهلية ، وما يطلق عليه المعارضة ، حيث ان هذه المعارضة قد تساهم في تسديد نظام الحكم وقد تعوق عمله وتعطل مشاريع التنمية التي يقودها ، واذا كان الجانب الرسمي معني ومسئول عن ترشيد مؤسساته لتكون خادمة لصالح مشاريع التنمية ، فان المؤسسات الأهلية والمعارضة من طرفها معنية بالمساهمة الايجابية في قضايا التنمية ، و يهمنا هنا التأكيد على دور الاسلام في ترشيد المعارضة ، بحيث لا تعتمد على اسلوب العنف والتدمير كطريق للوصول للسلطة ، فتدمر منجزات تنموية في سبيل ذلك ، مما يكلف البلدان الهدر الضخم للإمكانيات والموارد التي انفقت على المشاريع التنموية .

وهنا مجموعة نقاط تسلط الضوء على هذا الموضوع :

أولا: ذكرنا في المبحث الاول من هذا الفصل ، مجتمع التنمية ، ان من الاسس التي يعتمدها الاسلام في بناء المجتمعات هو السلام ، حيث انه يؤكد على اتباعه اعتماد السلام في علاقتهم الداخلية والخارجية ، ومن دون شك فان هذا الاساس يلزم اي معارضة تعتبر نفسها اسلامية ان تعتمد السلم واللاعنف سواء في التعبير عن تطلعاتها السياسية او كأسلوب للوصول للحكم بما يتوافق مع الوضع القائم في اي بلد ، وان " احدى اهم الأدلة على أن الاسلام يتبع اسلوب اللاعنف

هي منهجية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وسيرته في تعامله مع مناوئيه ، حيث أنه قدم للبشرية خير شاهد أن الاسلام يدعو الى اللاعنف وينبذ البطش والعنف "[١]

ثانيا: اهتمت دراسات دينية بموضوع العنف المسلح لدى الحركات الاسلامية ، وسلطت عليه الاضواء من ناحية فقهية ، فقد وضع شمس الدين دراسة تحت عنوان فقه العنف المسلح في الاسلام ، بهدف " البحث عن اصل شرعية استعمال العنف المسلح في الشريعة الاسلامية باعتبار العنف وسيلة في العمل السياسي "[٢] و " خلص الى ان الاسلام فكرا وشريعة يركز على السلام والمصالحة والحوار في حالة الخلاف "[٣]

ثالثا: في تاريخ الفرق الاسلامية التي تكونت في مسار الأمة الاسلامية ، لم تشرع هذه الفرق على تعددها العنف كوسيلة للوصول للسلطة والانقلاب على نظام الحكم – عدى الخوارج – رغم ما تميز به تاريخ المسلمين من وصول انظمة حكم غارقة في الاستبداد والظلم ، وانما اعتمدوا طريقة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة للعدل والشورى والمساواة ، اما فرقة الخوارج فقد قامت منذ البداية على مناهضة الحاكم بالسيف " وهم مع الثورة المستمرة والخروج الدائم وتجريد السيف ضد ائمة الجور. "[٤]

رابعا: في التعاليم الاسلامية في الحروب والغزوات ما يفرض على المسلمين عدم التعرض للمنشئات والمزارع والناس الذين لا دخل لهم في الحروب ولا شأن لهم بالصراع كالنساء والاطفال والشيوخ ، وما سجل في تاريخ المسلمين من تدمير للبيئة بمختلف مكوناتها ، لم يكن معبرا عن تعاليم الاسلام وانما هو تصرف يحسب على القائمين به .

خامسا: في الاسلام مجموعة من القيم والسلوكيات التي تشكل خلفية لبناء شخصية ومجتمع بعيد عن العنف في تعاطيه مع البيئة والناس، كالعفو والتسامح وكظم الغيظ والتواضع والحب وما شابه ذلك.

---

[١] محمد الحسيني الشيرازي، اللاعنف ، النسخة المنشورة على موقع، www.alshirazi.com

[٢] شمس الدين ، محمد مهدي، فقه العنف المسلح في الاسلام ، الطبعة الاولى ، ص٢٢ ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١

[٣] المرجع السابق، ص٢٢

[٤] فلسفة الحكم في الاسلام ، ص ١٢٥، مرجع سابق.

المحور الثالث: الاسلام والديمقراطية

اتسم موقف عموم المسلمين اتجاه الديمقراطية وما تولد عنها من قيم وممارسات في اللحظة الاولى بالرفض ، باعتبارها منتجا فكريا غربيا ، وهو في تصورهم ليس مما جاء به الدين الاسلامي او تولد عن تجربة المسلمين في ممارستهم السياسية ، واعتبرت الدعوات للديمقراطية وما تولد عنها ، في بلاد المسلمين من قبيل الدعوة للكفر والخروج عن الدين .

ومع ان الواقع كشف عن تقبل معاصر للديمقراطية كآلية لإدارة الحياة السياسة في بلدان المسلمين ، الا انه " مع ذلك يوجد تيار داخل الحركات السياسية الاسلامية يرفض الديمقراطية من اصلها لتناقضها الجذري بسبب مصدرها الفلسفي والبيئة التاريخية – الاجتماعية التي وجدت فيها"[١].

وحسب حيدر ابراهيم علي فان : " اهم نقاط التناقض التي تؤدي الى رفض الديمقراطية ، تكمن في اولوية افكار التوحيد والوحدة في الاسلام، وما تعنيه فكرة التوحيد من العبودية لله وحده . وتحتل وحدة الامة الاسلامية اولوية عليا، مما قد يسمح بالتضحية بحريات فردية وجماعية ، لأنها لا تخلو من احتمالات تفتيت الامة وتشتيتها "[٢] .

وقد عبر فهمي هويدي عن تيار الرفض هذا للديمقراطية ، بقوله : " موقف المسلمين – وليس الاسلام – من الديمقراطية يمثل بؤرة مهمة مسكونة بالالتباس ، اذ هو مثقل بعبء التاريخ الى حد كبير ، وتلعب الذاكرة دورا حاسما في اثارة الشكوك والهواجس ، وربما الرفض والاتهام ايضا. "[٣] .

كما عبر القرضاوي عن ذلك بقوله : " والغريب ان بعض الناس يحكم على الديمقراطية بأنها منكر صراح ، او كفر بواح ، وهو لم يعرفها معرفة جيدة ، تنفذ الى جوهرها ، وتخلص الى لبابها ، بغض النظر عن الصورة والعنوان "[٤] .

---

[١] علي ، حيدر ابراهيم ، التيارات الاسلامية وقضية الديمقراطية ، ص ١٤٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٦م

[٢] المرجع السابق ، ص ١٤٩

[٣] هويدي ، فهمي ، الاسلام والديمقراطية ، ص ٩٧-٩٨ ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٣م

[٤] القرضاوي ، يوسف ، من فقه الدولة في الاسلام ، ص١٣١ ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ٢٠٠١م

ان الموقف من الديمقراطية والاليات التي تولدت عنها ، يمثل موقفا من التنمية ، ذلك لأنها الصيغة الوحيدة المتوفرة اليوم بين ايدي البشر لمشاركة اوسع من قبل الجماهير في تقرير شانهم ومستقبل المشاريع المتصلة بهم والتي يساهمون هم فيها بصور مختلفة ، ولان استطاع المسلمون ايجاد صيغة اكثر فاعلية من الديمقراطية في دفع الناس للمشاركة في مشاريع التنمية، فسوف تكون هذه الصيغة محل اعتماد وتقدير ، لكنا من منطلق تنموي لا يمكن لنا الاستغناء عن صيغة الديمقراطية ، لصيغة لم تتبلور بعد ، او صيغة مارسها المسلمون قبل ما يزيد على الف عام ، ولم تتحول الى اعراف وتقاليد وسلوكيات وقيم سياسية في حياة المسلمين ، وهو ما يشير اليها المفكرون المسلمون بنظرية الشورى.

سيما مع ما كشف عنه كتاب ومفكرون مسلمون ، حاولوا معالجة موقع الديمقراطية في الاسلام ، حيث توصلوا الى نتائج يمكن ان تعتمد في تبنى الديمقراطية في المجتمعات الاسلامية، وعليه " يمكن للإسلام ان يستوعب النظام الديمقراطي الغربي ، فيحفظ للمسلمين والبشرية إيجابياته فيما قدمه للفكر السياسي من اضافة حقيقية تتمثل في تحويل مبدأ الشورى الذي جاء به الاسلام ، أي اشتراك الأمة في الحكم وانبثاقه عن ارادتها وقوامتها على حكامها وتحويله من مواعظ ومبادئ عامة الى جهاز للحكم "[١] .

وسجل فهمي هويدي أن: " ما كتبه ابرز فقهائنا، من محمد عبده ورشيد رضا الى الشيخ محمود شلتوت ، في نظام الحكم او رؤية الاسلام السياسية ، يتفق في اطاره العام مع مختلف قيم الديمقراطية ، وما قاله الشيخان عبده ورضا عن الشورى في تفسير المنار ، وما ذكره الشيخ شلتوت بصدد المبادئ الاساسية في الحكم يزيل كل التباس في الموضوع "[٢] .

ويضيف : " ولم يختلف الامر على صعيد الحركة الاسلامية ، ومما كتبه الاستاذ حسن البنا بهذا الصدد في الاربعينات موجها الى جماهير الاخوان المسلمين أنه ليس في قواعد النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الاسلام لنظام الحكم.."[٣] .

---

[١] الغنوشي ، راشد ، الحريات العامة في الدولة الاسلامية ، ص ٨٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٣م

[٢] الاسلام والديمقراطية ، ص123، مرجع سابق.

[٣] المرجع السابق، ص ١٢٤

وعلى ذات النهج مضى القرضاوي ، حيث رأى : " ان جوهر الديمقراطية – بعيدا عن التعريفات والمصطلحات الاكاديمية – ان يختار الناس من يحكمهم ويسوس امرهم ، والا يفرض عليهم حاكم يكرهونه ، او نظام يكرهونه ، وان يكون لهم حق محاسبة الحاكم اذا ما اخطأ، وحق عزله وتغييره اذا انحرف ، والا يسوق الناس – رغم انوفهم – الى اتجاهات او مناهج اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها "[١] .

وعلى الضفة الأخرى من الساحة الاسلامية نجد ان الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، قد انتقل في الاستنباط الفقهي للنظرية السياسية عند الشيعة من القول بولاية الفقيه وهي النظرية التي تأسست عليها الجمهورية الاسلامية الايرانية، الى القول بولاية الامة، وهو ما يعني حكم الامة بنفسها، وهو المبدأ الاساس الذي قامت عليه الديمقراطية، فهو يرى: " ان ولاية الامة على نفسها ، وادارة حياتها ، هو مما قضاه الله تعالى ورسوله في التشريع المبدئي العام بمقتضى الأدلة الشرعية الدالة على ولاية الأمة على نفسها "[٢] ويفترق شمس الدين في نظرية ولاية الامة عن نظرية ولاية الفقيه، فعنده " الأمة ليست ملزمة باختيار الفقيه لمهمة ادارة شؤون البلاد، لان الفقيه بما هو فقيه ، هو احد افراد الأمة، وهي قد تختار غيره اذا رأت ذلك، من منطلق انها ولية نفسها، وقد جعلت هذه الولاية لها من قبل الله عند غياب المعصوم . وهذا يعني ، بحسب شمس الدين ، أن الامة هي مصدر الشرعية بالنسبة للسلطة ، وشرعية القوانين في دائرة التنظيم والتدبير ، وخارج الحقل الذي تحكمه احكام الشريعة "[٣] .

وعليه ينتهي بنا فهم نظرية شمس الدين وهو فقيه شيعي معاصر " ان الحكم الديمقراطي هو حكم شرعي ، فيما لو التزم قوانين العدالة "[٤] .

---

[١] القرضاوي ، يوسف ، من فقه الدولة في الاسلام ، ص١٣٢ ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ٢٠٠١م

[٢] موسى ، فرح ، الدين والدولة والامة عند الامام محمد مهدي شمس الدين ، ص ٤١٩ ، دار الهادي ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ٢٠٠٢م

[٣] المرجع السابق، ص ٤٢٩

[٤] المرجع السابق ، ص ٤٣٢

ومحصلة الكلام من خلال ما اورده العلماء المسلمون في هذه العينة من الاقوال ان هنالك لقاء اسلاميا حول الديمقراطية كشكل لإدارة الحكم في البلدان الاسلامية ، وهذا ما يمكن لنا ان نتفاءل من خلاله بانطلاقة ودعم اكبر لمشاريع التنمية وقضاياها في مستقبل حياة المسلمين ، انطلاقا من فهمهم العصري للإسلام ، وهذه نقطة تحول كبرى لصالح التنمية، فمن خلالها يمكن توحد الرؤية لمشاريع التنمية وقضايا.

الفصل الثالث : التنمية : مفاهيم وابعاد

المبحث الأول: النمو الاقتصادي.

المبحث الثاني: التنمية الاقتصادية.

المبحث الثالث: التنمية السياسي.

المبحث الرابع: التنمية الاجتماعية.

المبحث الخامس: التنمية الشاملة والمستدامة.

المبحث السادس: التنمية البشرية.

المبحث السابع: تنميات أخرى.

المبحث الأول : النمو الاقتصادي

تعتبر فكرة النمو الاقتصادي المدخل الذي فتح الباب لتطور فكرة التنمية ، حيث كان ينظر بداية الى النمو الاقتصادي باعتباره المقياس لتقدم اي بلد، غير ان التجارب كشفت عجز النمو الاقتصادي عن اعطاء تصور صادق عن اللحظة الحضارية التي وصلت اليها البلدان، فهو لا يعكس صورة دقيقة عن تطور المجتمع في كل مرافقه وابعاده ، فقد يتطور الجانب الاقتصادي لكن الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي وغيرها تظل متخلفة ، وهذا يتطلب التعرض لذلك في عدة محاور :

المحور الأول: مفهوم النمو الاقتصادي وقياسه

يعكس النمو الاقتصادي حركة النشاطات الاقتصادية في بلد ما ، ويدل ارتفاع معدل النمو على بشائر اقتصادية يفترض فيها ان تنعكس على اوجه الحياة الاخرى في البلدان اذا ما لقيت توزيعا مدروسا لصالح قضايا التنمية .

ورغم ان الدراسات التنموية قد اكتشفت في مرحلة مبكرة ان جعل النمو الاقتصادي في حد ذاته هدفا لتحيق التنمية، يعتوره الكثير من القصور ، الا ان احدا من علماء التنمية لم يشر الى التقليل من اهمية النمو الاقتصادي ودوره في التنمية ، فجزء من الصورة الحضارية لأية امة من الامم تعبر عنه القوة الاقتصادية.

ويقصد بالنمو الاقتصادي: " تحقيق زيادة في الدخل القومي او الناتج القومي عبر الزمن ، ويعتبر المؤشر الاساسي الذي يمكن ان يكشف بسهولة عن ما اذا كانت الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية تزيد ام تقل تتسع ام تضيق "[1] .

وفي ضوء هذه الفجوة تعمل الدول المختلفة على " الاهتمام بدراسة الآليات ووضع الاستراتيجيات وتطبيق النظريات وبحث الاسباب والعوامل التي تؤدي الى تقليل الفجوة بين الاثنين ، والمفاهيم والنظريات المرتبطة بذلك "[2] .

---

[1] عبد الحميد، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي، ص٤٦٦ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة.

وبناء على ذلك فان النمو الاقتصادي يعكس النشاط الاقتصادي العام في البلدان ، وتتداخل عدد من العوامل فيه، منها راس المال المادي وراس المال البشري ومدى توافر الموارد الطبيعية والتخصص والحجم الكبير للإنتاج والتقدم الفني والتكنولوجي .

فالنمو الاقتصادي " يعكس التغيرات الكمية والتقنية في الطاقة الانتاجية ومدى استغلال هذه الطاقة، فكلما زادت الطاقة الانتاجية المتاحة او ارتفعت نسبة استغلال الطاقة الانتاجية المتاحة في جميع القطاعات الاقتصادية ارتفعت نسبة النمو الاقتصادي "[١] .

ويقاس النمو الاقتصادي "بمعدل نمو الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي ، فاذا اخذنا في الاعتبار الزيادة السنوية في عدد السكان ، لكان من الواضح ان الارتقاء الدائم برفاهية افراد المجتمع لا يتحقق الا اذا كان معدل نمو الناتج المحلي الحقيقي يفوق معدل النمو السكاني ، فاذا كان الناتج المحلي الحقيقي ينمو بمعدل ٤% وكان معدل النمو السكاني ٣% فهذا دليل على نمو نصيب الفرد من الناتج الحقيقي اي تحسن رفاهية المجتمع "[٢] .

وبالطبع لا يستقيم هذا القول الا في حالة التوزيع العادل والمدروس للناتج المحلي الحقيقي على المجالات التنموية . " فقد ثبت من تجارب التنمية الاقتصادية في معظم الاقطار النامية ، وبخاصة في امريكا اللاتينية ، ان الكثير من هذه الاقطار استطاعت ان تحقق معدلات نمو مرتفعة في الناتج الاجمالي الا ان مستويات المعيشة بالنسبة لغالبية السكان ، وخاصة في المناطق الريفية ظلت منخفضة ، بل تدهورت الى مستويات ادنى في بعض الحالات "[٣] .

وعليه فان النمو الاقتصادي لوحده غير قادر على الارتقاء بالحياة الحضارية لأي بلد من البلدان مالم يصاحب هذا النمو تخطيطا مدروسا في التوزيع العادل على مناشط الحياة، وهذا ما اثار مجموعة من التحفظات ، نذكر منها:

أولا: استنزاف الموارد الطبيعية على حساب الاجيال القادمة.
ثانيا: الاضرار بالبيئة مما شكل خطر على الموارد الطبيعية والبشرية.

---

[١] الامين، عبد الوهاب / طاهر، فريد بشير ، مبادئ الاقتصاد الجزئي والكلي ، ص ٢٦٩ ، مركز المعرفة للاستشارات والخدمات التعليمية ، مملكة البحرين ، المنامة ، ٢٠٠٥م

[٢] المرجع السابق، ص٣٠

[٣] الامين ، عبد الوهاب/ طاهر، فريد بشير ، اقتصاديات التنمية والتخطيط ، ص٦ ، منشورات مركز المعرفة للاستشارات والخدمات التعليمية ، المنامة ، مملكة البحرين ، ٢٠٠٧م

ثالثا: انتاج السلع الرأسمالية على حساب السلع الاستهلاكية.

رابعا: اهمال الجوانب الاخلاقية والروحية والادبية ، لصالح تعظيم المادة ودورها في حياة الانسان.

خامسا: التوزيع غير العادل للنمو الاقتصادي .

سادسا: رفع معدل دخول الاغنياء، مع ازدياد الفئات الفقيرة.

يضاف الى ذلك ، ان " المبالغة في التأكيد على النمو الاقتصادي اوجدت عددا من المشاكل ، منها تفاقم حالات العجز في الميزانية وفي ميزان المدفوعات ، وتفاقم التضخم والركود التضخمي (الركود المصحوب بالتضخم) والى اعباء خدمة الدين "[١] .

ومع ذلك برزت نظريات لتبرير النمو الاقتصادي وتحقيقه، وعمقت من هذه القناعة فكرة مشروع مارشال الذي نهض بالاقتصادي الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية ، واعتمدت الجهات المقرضة على هذه الفكرة لإقناع الدول المتطلعة للنمو بالاقتراض كسبيل للنمو في مرحلة اولى والتنمية في مراحل لاحقة ، غير ان الاقتراض الخارجي وبشروط المؤسسات المالية الدولية ادى الى نتائج عكسية ولم يرفع من معدلات النمو الاقتصادي عند بعض الحالات وضاعف من فوائد الديون " فبرامج الاصلاحات الاقتصادية التي فرضت بصورة مباشرة وغير مباشرة على بلدان العالم الثالث من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، لم تؤد الى تخفيض عبء المديونية الخارجية ، وزيادة الاستثمار وارتفاع معدلات النمو الاقتصادي ، وزيادة الانتاجية ، وتحسين مستوى المعيشة في معظم هذه البلدان ، التي اتبعت وصفات خبراء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي "[٢] .

---

[١] شابرا ، محمد عمر ، الاسلام والتحدي الاقتصادي ، ص٨٩ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، المعهد العربي للدراسات المالية والمصرفية ، الطبعة الاولى ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٦م

[٢] اقتصاديات التنمية والتخطيط ، ص 61 ، مرجع مذكور.

المحور الثاني: الاسلام والنمو الاقتصادي

النمو الاقتصادي خلاصة لأداء الانشطة الاقتصادية في بلد ما ، والاسلام لا يقف بالضد منه الا حينما يتحول الى هدف بحد ذاته ، ويعوق الوصول الى الرؤية التي وضعها الاسلام للناس لتحقيق النجاح والتنمية الفردية والمجتمعية في الدنيا والفوز بالجنة في الأخرة .

وعلى اساس من ذلك فان الاسلام يقف مع النمو الاقتصادي حين يكون هدفا محققا للرؤية التي وضعها للناس، ويكون ضده حين يصبح معوقا لتحقيق هذه الرؤية او صارفا عنها ، وهذا ما يكاد يجمع عليه المفكرون المسلمون في نظرتهم للمال والثروة والرفاهية للمجتمعات الانسانية ، وفي ضوء ذلك يمكن فهم النصوص التي تمجد الثروة والغنى احيانا و تزهد فيها او في الدنيا بشكل عام احيانا أخرى .

فالنمو الاقتصادي ليس هدفا في حد ذاته ، بل هو هدف مرحلي في طريق تحقيق التنمية النهائية المقصودة ، وفي ضوء ذلك يمكن لنا ان نتفهم عدم تحقق نمو اقتصادي في فترة من الفترات ، لكن هذا لا يؤثر على تحقيق الرؤية التي يريدها الاسلام ، ومن ثم التنمية الحضارية المنشودة .

أو كما عبر عن ذلك سيد نواب حيدر نقي ، مدير المعهد الباكستاني للتنمية الاقتصادي بقوله : " ان الاسلام ليفضل درجة انمائية دنيا مع توزيع احسن للمداخيل ، على درجة اعلى من النمو في الدخل العام يصحبها توزيع جائر بين الناس . ولا يعني هذا ان الاسلام يفرض وجوب السعي الى تحقيق درجة ضعيفة من النمو بل الذي يفرضه الاسلام هو ان يكون نمط توزيع الموارد مطابقا في سياسة انمائية معينة لأحكام التوزيع المطلوبة بالاعتبار الاجتماعي الاسلامي ، فلا يحق مثلا ان نؤجل الى غد واجب الاستجابة لحاجيات الجيل الحاضر من المسلمين بدعوى السعي الى تحقيق درجة أعلى من الكثافة الرأسمالية "[١] .

وهذا التفريق مهم في النظرة للنمو الاقتصادي، حتى لا يتحول الى معوق للتنمية المنشودة وفي الظن انه محقق لها ، وهذا ما اشار اليه بعض بالقول : " وكذلك اصبح النمو الاقتصادي بمثابة العجل الذهبي المعبود ، الذي تذبح على عتبته القرابين بكل سخاء ، وتضحي الشعوب في سبيله بكل القيم والانماط الثقافية والمقاييس الاجتماعية وبالتقاليد والدين والاخلاق وبجميع ما سواها ، وكان في الحسبان ان نمو الناتج الوطني الاجمالي وتزايد هذا النمو باطراد سيفضي الى عصر

---

[١] سيد نواب حيدر نقي ، وجهة نظر حول التنمية في الاسلام ، ورقة عمل مقدمة لندوة بجنيف عام ١٩٨٠ ، بعنوان الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد ، منشورة ضمن اوراق الندوة الصادرة عن منظمة المؤتمر الاسلامية ، ص ١٢٩ ، دار سراس ، تونس

جديد وان البشرية تقدم على فترة الازدهار والوفرة ، لمجرد انها تقتفي آثار الدول الصناعية الغربية "[1] .

وعليه نتفق ايضا مع الرأي القائل : " ان سلامة الاوضاع الاقتصادية لا يمكن الاستدلال عليها دائما باستخدام معدل النمو – اي زيادة الانتاج – كمقياس ، اذ ان المهم النظر الى طبيعة هذا النمو وتركيب السلع ، واذا ما كان هذا النمو على حساب استنزاف الطاقات الموجودة – المادية والبشرية – بمعدل غير سليم ، واذا ما كانت نوعية السلع المنتجة تحقق مزيدا من الرفاهية الاقتصادية التي تنسجم مع مضامين ومعطيات المثل والاخلاق الاسلامية "[2] .

واذا ما اردنا اكتشاف طريقة الاسلام في تحقيق النمو الاقتصادي ، فإننا نتصور ذلك من خلال عدة عوامل أكد عليها في تعليماته ، وهي التحريض على الانتاج والدعوة للمشاركة العامة فيه والدفع باتجاه الانفاق والادخار الاستثماري وادانة الكسب غير المنتج ، ويمكن لنا التفصيل بما يلي:

أولا : التحريض على الانتاج

لقد حث الاسلام على العمل والانتاج من خلال نصوصه والسيرة العملية للرسوله (ص) واتباعه منذ فجر الاسلام الى وقتنا المعاصر ، وان القعود والتكاسل عن العمل والانتاج هو بالضد من النصوص المستفيضة التي تدعو للجد والعمل واعمار الارض وتنمية المجتمعات . بل ان كرامة الانسان في الاسلام انما تتحقق من خلال ما يقوم به من عمل منتج .

" واصبح العامل في سبيل قوته افضل عند الله من المتعبد الذي لا يعمل وصار الخمول أو الترفع عن العمل نقصا في انسانية الانسان وسببا في تفاهته .. وكان رسول الله (ص) كما جاء في سيرته الشريفة يسأل عن الشخص اذا أعجبه مظهره ، فان قيل له ليست له حرفة ولا عمل يمارسه ، سقط من عينه "[3] .

---

[1] احمد خورشيد ، رئيس معهد الدراسات السياسية في اسلام اباد ، استراتيجية التنمية في مفهوم اسلامي ، ورقة عمل مقدمة لندوة بجنيف عام ١٩٨٠ ، بعنوان الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد ، منشورة ضمن اوراق الندوة الصادرة عن منظمة المؤتمر الاسلامية ، ص١٣٧ ، دار سراس ، تونس

[2] بحث منشور ضمن بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي ، الاقتصاد الاسلامي ، ص ٤٦ المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي ، الطبعة الاولى ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٩٨٠م

[3] الصدر ، السيد محمد باقر ، اقتصادنا ، ص ٦١٨ ، دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة العشرون ، بيروت ، ١٩٨٧م

وقد دفع الاسلام " الى توظيف اكبر قدر من قوى الطبيعة وثرواتها للإنتاج وخدمة الانسان في مجالات الانتفاع والاستثمار ، واعتبر الاسلام فكرة التعطيل او اهمال بعض المصادر الطبيعية او ثرواتها ، لونا من الجحود وكفرانا بالنعمة ، التي انعم الله تعالى بها على عباده "[١] .

ولعل من ابرز ما اكد عليه الاسلام في التحريض على الانتاج انه الزم الدولة الاشراف عليه ، وحملها مسئولية تطويره وتوزيعه ، وهذا ما يجعله ضمن التوجه الاستراتيجي للدولة " وتخطيطه مركزيا ، لتفادي الفوضى التي تؤدي الى شل حركة الانتاج ، وتعصف بالحياة الاقتصادية "[٢] .

كما ان الفقه الاسلامي اهتم بالإنتاج في صوره المختلفة ، من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات ، فعن " الزراعة جاءت النصوص الشرعية لتقرر أنها من افضل طرق الكسب وأهمها ، لأنه عن طريقها يحصل الناس على كثير من المحاصيل التي يحتاجون اليها لطعامهم ولكثير من صناعاتهم ، وقد عنى الفقهاء ببيان العقود الواردة على استغلال الأرض الزراعية كعقد المزارعة والمساقاة والاجارة . كما ان الصناعة بأنواعها المتعددة موضع اهتمام الاسلام وفقهائه ، لدرجة أن اية حرفة أو صناعة يكون الناس في حاجة اليها، تصبح فرضا من فروض الكفاية ، وقد تصل الى مرتبة الوجوب العيني. اما عن التجارة – والخدمات - فان علماء المسلمين يعدونها مظهرا من مظاهر الانتاج، نظرا لما يقوم به التجار من خدمات لازمة ، وما يؤدونه من مصالح ضرورية للمجتمع "[٣] .

ثانيا : الدعوة للمشاركة العامة في الانتاج

دعا الاسلام اتباعه للتعاون فيما يعود عليهم جميعا بالنفع ويوسع من خياراتهم الحضارية ، هذا ما نص عليه القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " .. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الاثم والعدوان .."[٤] والبر كما يقول المفسرون هو التوسعة في الخير ، وهو من مصاديق التوسع الحضاري ، والحديث المتداول بين المسلمين يعطي قاعدة تقوم عليها حالة التعاون والتشارك في الانتاج الضروري ، وهو قول رسول الله (ص) : " الناس شركاء في ثلاثة : في الماء والكلأ والنار

---

[١] المرجع السابق ، ص ٦١٩

[٢] المرجع السابق ، ص ٦٢٨

[٣] بسيوني ، سعيد ابو الفتوح محمد ، الحرية الاقتصادية في الاسلام واثرها في التنمية ، ص ٦٦٦ ، الطبعة الاولى ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٩٨٨

[٤] المائدة/٢

"[1] وعلق سعيد ابو الفتوح بسيوني على هذا الحديث والاحاديث المشابهة بقوله : " والنص على الاشياء الواردة في هذه الاحاديث ليس للحصر ، وانما خصت الأحاديث هذه الاشياء ، لأنها كانت من ضرورات الحياة الاجتماعية في البيئة العربية ، والضرورات في حياة الجماعة تختلف باختلاف البيئات والعصور ، ولذا يلحق بهذه الاشياء ويقاس عليها كل ما كان مثلها في حاجة الناس جميعا اليها "[2] .

وبذلك فتح الاسلام الأفاق على ضرورة المشاركة العامة في الانتاج المفضي للنمو الاقتصادي ، وهو انفع من الاعتماد على الدين ، الذي تستبعه فوائد او الادخار الذي يعطل التداول المالي في فترة زمنية قصيرة او طويلة .

وقد وجدنا في سيرة المسلمين كيف ان المساهمات العامة من الناس تحرك الجيوش لصد اي عدوان، حيث يساهم الجميع بما عنده قل او كثر ، كذلك بالنسبة للمشاريع التنموية الكبرى، وهو ما ينعكس على شعورهم العام انهم شركاء في الاسباب والنتيجة .

" لقد ثبت ان المشاركة الشعبية هي عصب استراتيجية التنمية ، فهي خروج المواطن العادي من السلبية التي كان يفرضها عليه وضعه الهامشي في المجتمع ، وانتقاله الى الفاعلية المتأتية عن عودة الثقة بالنفس ، والاطمئنان الى قادة المسيرة الاصلاحية ، وبرامجهم التنموية المحددة والهادفة "[3] .

والحق ان هذه المشاركة هي ما تجعل الرؤية واحدة وواضحة لدى كافة شرائح المجتمع وهو ما يرفع من تفاعلهم معها ، ويسهل عمليات وبرامج تنفيذها ، مما يوفر للاستراتيجيات الكثير من الدعم ، وهذه خدمة تنعكس بشكل جلي على معدلات النمو الاقتصادي .

وقد اورد البلاذري رواية من عهد الامام علي بن ابي طالب ، تؤكد معنى المشاركة من اجل زيادة الانتاج و رفع معدل النمو الاقتصادي ، ننقلها هنا :

---

[1] رواه أحمد والترمذي ، نقلا عن بسيوني ، سعيد ابو الفتوح محمد ، الحرية الاقتصادية في الاسلام واثرها في التنمية ، ص ٢٤٤ ، الطبعة الاولى ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٩٨٨

[2] المرجع السابق، ص ٢٤٥

[3] العسل ، ابراهيم ، التنمية في الاسلام مفاهيم – مناهج وتطبيقات ، الطبعة الاولى ، ص ١٣٩ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٦م

" كتب الى قرظة بن كعب : اما بعد فان قوما من اهل عملك اتوني فذكروا ان لهم نهرا قد عفى ودرس ، وانهم ان حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على خراجهم وزاد فيئ المسلمين قبلهم ، وسألوني الكتاب اليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والانفاق عليه ، ولست ارى ان اجبر احدا على عمل بكراهة ، فادعهم اليك ، فان كان الامر في النهر على ما وصفوا ، فمن احب ان يعمل فمره بالعمل ، والنهر لمن عمله دون من كرهه ، ولان يعمروا ويقووا احب الي من ان يضعفوا والسلام"[١] .

ثالثا : الدفع باتجاه الانفاق

ان ادل ما يستفاد من الدفع باتجاه الانفاق كسبيل للنمو الاقتصادي ، كثرة ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحث على الانفاق ، " فقد بلغ عدد المرات التي جاء فيها ذكر كلمة الانفاق واشتقاقاتها في القرآن الكريم بضعا وسبعين مرة ، وذلك في مواضع متعددة من اول وأوسط واخر القرآن الكريم "[٢] .

وتأتي قيمة الانفاق في رفع معدلات النمو الاقتصادي من خلال دور الانفاق في الزيادة على الطلب ، حيث ان الطلب يشكل اهم عامل محدد لأنواع وكميات السلع والخدمات المنتجة في الاقتصاد ، " لذا يمكن القول بان الطلب هو الموجه الرئيس لدفة الاقتصاد ، حيث ان حجم الانتاج ونمطه يرجع الى مسألة الطلب السوقي على السلع المنتجة ، وايضا مسألة تحديد الاسعار في الاسواق يعتمد اساسا على حجم الطلب على السلع والخدمات ، بناء على ذلك فان الموارد تخصص وفقا لاتجاهات الطلب "[٣] .

واذا ما لاحظنا ان الانفاق الذي يؤكد عليه الاسلام هو انفاق منضبط ، لا اسراف فيه ولا اقتار ، وهو انفاق خاص بالحاجة الشخصية والاسرية والمجتمعية ، واذا ما اضفنا الى ذلك ما سبق ذكره من حرص الاسلام على المشاركة الشعبية في المشاريع التنموية ، والتشجيع على الادخار

---

[١] البلاذري ، احمد بن يحي بن جابر ، انساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، الطبعة الأولى ، ص ١٦٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٣٩٤هـ

[٢] عامر ، باسم احمد ، نظرية الانفاق في ضوء القرآن الكريم رؤية اقتصادية ، ص٣٧ ، الطبعة الاولى ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠١٠م

[٣] المرجع السابق، ص ٤٠

الاهلي لصالحها ، يتوضح لنا ما يمكن ان تقوم به فكرة الدفع بالإنفاق من دور كبير في رفع معدلات النمو الاقتصادي .

رابعا : التشجيع على الادخار الاستثماري

يقدم الاسلام نموذجا عمليا للادخار الاستثماري من خلال قصة نبي عظيم ، وهو نبي الله يوسف عليه السلام ، حيث توقع من بعض المؤشرات ان مصر مقبلة على وفرة في الانتاج الزراعي تؤدي الى ارتفاع في معدلات النمو بلغة اقتصادية ، ثم تعقبها سنوات من التراجع والكساد الى درجة محرجة على مستوى البلاد كلها ، فعمد للادخار لتجنيب البلاد والعباد كارثة اقتصادية وانسانية ، وهو ما انقذ مصر في تلك الفترة التاريخية من انهيار كبير .

هكذا يصف القرآن الكريم خطة يوسف في الادخار :" قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون "[1] .

وفهم المفكرون المسلمون من وصية الامام علي بن ابي طالب لواليه على مصر مالك الاشتر ، انه يشجع الادخار الاهلي لصالح المشاريع التنموية التي تؤكد فكرة مشاركة الناس فيها كما اوضحت في النقطة الثالثة وفي ذات الوقت تعطي اهمية للادخار ، وقد استفاد بعض من هذه الوصية ان الاسلام يفضل ان يقوم الاهالي بالادخار وليس الدولة ، طالما انهم يشكلون الخزان الاقتصادي والبشري كموارد لها ، غير ان الدولة باعتبارها المنظم للنشاط الاقتصادي في البلدان لا يمكن اغفال دورها في مسالة الادخار طالما كان مخططا ولصالح الاجيال القادمة ، واستثمارا للوفرة الحالية .

وهنا لابد من التأكيد على الفارق بين الادخار الذي يكون الهدف منه الاستثمار المدروس والاكتناز المحرم في الدين الاسلامي بنص القرآن الكريم ، وهو الذي يعوق عجلة الانتاج ، " ان كنز الاموال غير مرغوب فيه لأسباب عدة، منها أن كنز الثروة يجمد رأس المال ويبعده عن الدورة الانتاجية ، ويعطل هكذا النمو الاقتصادي وانشاء مناصب للشغل والتنمية ، كما يؤدي كنز الاموال مع الوقت الى الركود والتدهور الاقتصاديين ، ويمثل في الوقت نفسه امكانية تضخم مهمة "[2] .

---

[1] يوسف/٤٧-٤٨-٤٩

[2] براهيمي ، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي ، ص٢٩

خامسا : ادانة الكسب غير المنتج

فالكسب اذا جاء من دون عمل او انتقال للملكية من دون الهبة او الارث ، يعد حراما في الاسلام ، فلو جاء عن " طريق استئجار الفرد ارضا باجرة وايجارها باجرة اكبر للحصول على التفاوت بين الاجرتين وما يشابه ذلك من الفروض "[١] فهي صورة محرمة لأنه كسب غير منتج ، لأن من " الواضح ان الغاء دور الوسيط بين مالك الارض والفلاح المباشر لزراعتها ، يوفر على الانتاج ، لان هذا الوسيط لا يقوم بأي دور ايجابي للإنتاج ، وانما يعيش على حساب الانتاج بدون خدمة يقدمها اليه "[٢] .

وبالمثل من ذلك اخذ فائدة على المال ، لمجرد اقراضه لأخر ، فقد حرم الاسلام ذلك ، " والغى راس المال الربوي ، وبذلك ضمن تحول راس المال هذا في المجتمع الاسلامي الى راس مال منتج يساهم في المشاريع الصناعية والتجارية "[٣] .

كما حرم الاسلام المقامرة والسحر والشعوذة ، واعتبرها اكلا للمال بالباطل ، اذ ان هذه الاعمال لا تنتج في الحقيقة شيئا لصالح المجتمع ، بل تساهم في تضليل المجتمع عن ايجاد الحلول الصحيحة لما يقف في طريقه من تحديات وعقبات ، اضافة الى ان المال الذي يدفع في سبيلها كان يمكن ان يوجه لمشاريع انتاجية تعود بالنفع على المجتمع .

يضاف الى ذلك تحريم الاسلام للهو والمجون المفضي الى تذويب الشخصية الجدية للإنسان وميوعته " وبالتالي الى عزله عن مجال الانتاج والعمل الحقيقي المثمر ، وايثاره حياة اللعب واللهو بقدر ما تؤاتيه الظروف على حياة الجد والعمل وألوان الانتاج المادي والمعنوي "[٤] .

---

[١] اقتصادنا ، ص ٦٢١، مرجع مذكور.

[٢] المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[٣] المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[٤] المرجع السابق ، ص ٦٢٧

المحور الثالث: النمو الاقتصادي وفلسفة الرزق في الاسلام

هنالك فكرتان لابد من مناقشتهما حين البحث عن دور الاسلام في دعم النمو الاقتصادي ، وقد يبدو للوهلة الاولى من خلال هاتين الفكرتين ان النمو الاقتصادي لا يتواءم مع فلسفة الرزق في الاسلام :

الفكرة الاولى : ان النمو الاقتصادي يشكل عموم رزق اهل بلد ما وهو ما ينعكس على الدخل الفردي بشكل جلي ، فكلما ارتفعت معدلات النمو الاقتصادي ارتفعت الدخول الفردية ، في حالة التوزيع العادل لمعدلات النمو ، بل وحتى في حالة عدم التوزيع العادل ، اذا ما فهمنا الدخل بحسب الفلسفة الاسلامية للرزق ، والتي ترى ان الرزق بيد الله عز وجل ، ويرسله للناس بحسب حكمة يقدرها سبحانه وتعالى ، ولنا امثلة فردية واسرية ومجتمعية واممية على ذلك ، حيث ان افرادا تحولوا من الفقر الى الغنى او بلدان اكتشفت فيها ثروة فانتقلت من عداد الدول الفقيرة الى الدول الغنية ، وقد تلقى هذه الفكرة دعما من قول بعض الاقتصادين " ان النمو الاقتصادي قد يكون تلقائيا "[1] .

هذه الفكرة قد تحبط البعض عن السعي لرفع معدلات النمو الاقتصادي ، طالما ان الامر ليس بيدها وانما هو بيد الله عز وجل ، لكن هذا الفهم ليس دقيقا اذا ما اردنا الاخذ بكل تعاليم الاسلام ، فهو في الوقت الذي يصر على ان الرزق بيد الله وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، والمال انما يتملكه الانسان على سبيل الاعارة لا التملك الحقيقي ، لان المالك الحقيقي هو الله سبحانه ، رغم كل ذلك نرى الاسلام يحث على السعي والعمل والكدح ، والبحث عن موارد متجددة لرفع المستوى المادي والمعنوي للإنسان في هذه الحياة ، فهنالك طرفان في الرزق للإنسان الفرد والامم ، طرف بيد الله عز وجل وطرف بيد الانسان نفسه ، واذا كان الطرف الذي بيد الله مجهولا بالنسبة للإنسان ، وليس عليه ان يشغل نفسه في البحث عنه ، فان الطرف الذي بيده هو ما يمتلك ان يبذل فيه اقصى جهد ، لاكتشاف المزيد من الفرص التي ترفع من رزقه الشخصي والمجتمعي فترفع من معدلات النمو الاقتصادي .

---

[1] عبد الحميد ، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي ، ص٤٧٤ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م

الفكرة الثانية : فهي الابتلاء الالهي بنقص معدلات النمو الاقتصادي ، حيث ان القرآن الكريم صريح في ان احد اوجه الاختبار الالهي للناس في الحياة ، مرورهم بفترات من النقص في الموارد الاقتصادية ، فقد جاء في الذكر الحكيم : " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين "[1] . وبناء على ذلك فان افتراض ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي بشكل متواصل لا يعد منطقا سليما في التفكير الديني ، وقد يسرب هذا النوع من التفكير الاحباط بشأن العمل لرفع معدلات النمو الاقتصادي ، لكن هذا الانطباع غير وارد ايضا ، فمن ناحية ان الابتلاء بيد الله عز وجل ، وما هو بيد الله عز وجل ليس من شأن الناس ، فهم يجهلون توقيته وحجمه وحكمته ، وعليهم العمل بما هو من شأنهم ، وهو العمل على رفع معدلات النمو الاقتصادي ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ثم ان هذه الفكرة بحد ذاتها تشكل دافعا نحو الاهتمام برفع معدلات النمو الاقتصادي لمواجهة سنوات الابتلاء بالحد الممكن ، ولمنع التداعيات التي تؤدي الى تحطيم البنية الاقتصادية على المستوى العام .

[1] البقرة/١٥٥

المبحث الثاني : التنمية الاقتصادية

تمهيد

ادت التحفظات على النمو الاقتصادي التي اشرنا الى بعضها في المبحث الاول ، الى بروز حالة متطورة عنه ، بحيث تتلافى هذه التحفظات في سبيل تعميم المنفعة من ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي، فجاءت التنمية الاقتصادية لتعكس هذا التطور ، وجاء مفهوم التنمية الاقتصادية ليعبر عن مجموعة الاجراءات التي تستهدف تغيير البنيان والهيكل العام في المجتمع في ابعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها .

وتعتبر دراسات التنمية الاقتصادية من الدراسات الحديثة نسبيا، حيث اهتم بها علماء الاقتصاد، للنهوض باقتصاديات ما سمي بالدول النامية في القرن العشرين، وقد برز مفهوم التنمية الاقتصادية وما تولد عنه من نظريات بغية الانتقال بالبلدان من مستوى تنموي ادنى الى مستوى متقدم، ولقيت النظريات الغربية في التنمية الاقتصادية قبولا اكثر نظرا لما تحقق من تقدم سريع لدى هذه البلدان والمشاريع التي تصدت لها، لكن لم تثبت هذه النظريات صحتها في عدد من البلدان ، سيما مع الشعور بان الغرب يريد التحيز لمؤسساته و توسيع نفوذه ، فبرزت محاولات محلية لإيجاد صيغ للتنمية بالاعتماد على الذات .

وهنا ثلاثة محاوران نناقش فيها التنمية الاقتصادي:

المحور الأول: مفهوم ونظريات التنمية الاقتصادية

هناك فرق بين مفهوم النمو الاقتصادي ومفهوم التنمية الاقتصادية حيث ينظر للنمو الاقتصادي، باعتباره " ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام محسوبا بالأسعار الثابتة أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي"[١] . وهو قد يكون سريعا وقصير الأجل.

اما التنمية الاقتصادية فهي: " العملية التي يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية وسريعة ومستمرة عبر فترة من الزمن بحيث تكون هذه الزيادة اكبر من معدل نمو السكان مع توفير الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة من التلوث والحفاظ على الموارد الغير متجددة من النضوب"[٢] . وهي عبارة عن : " التغيرات الهيكلية التي تحدث في الاقتصاد القومي بأبعادها المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنظيمية من اجل تحسين نوعية الحياة وتوفير حياة كريمة لجميع أفراد المجتمع "[٣] .

وهو ما يعني أن التنمية الاقتصادية هي عملية انتقال من حالة التخلف الاقتصادي إلى حالة من التقدم الاقتصادي، وعادة " يقاس ذلك بعدة مؤشرات منها الزيادة المستمرة في متوسط دخل الفرد الحقيقي بالإضافة إلى مؤشرات أخرى مثل المؤشرات الصحية والتعليمية وبعض الخدمات الأساسية "[٤] .

وهنا لابد من القول أن مجموعة من النظريات قد حاولت التعبير عن التنمية الاقتصادية ، من أبرزها النظرية الكلاسيكية للتنمية الاقتصادية[٥] التي تؤمن بالحرية الاقتصادية ، وان تكوين رأس المال هو مفتاح التقدم الاقتصادي ، وأهمية وجود قدر كاف من المدخرات ، وتراجع الأرباح في أجواء المنافسة ، وان الوصول إلى حالة الاستقرار مسألة حتمية، ثم جاءت نظرية التحولات الهيكلية التي من ابرز كتابها الاقتصادي المعروف آرثر لويس الحاصل على جائزة نوبل في

---

[١] البياتي ، فارس رشيد ، التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص٥٩ ، الطبعة الاولى ، دار ايله للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٨م

[٢] المرجع السابق، ص ٥٢

[٣] عبد الحميد ، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي ، ص ٤٧٣ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م

[٤] المرجع السابق ، ص ٤٧٤

[٥] التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص٦٥، مرجع مذكور.

الاقتصاد، " وتركزت هذه النظرية على الآلية التي يمكن بواسطتها تحويل اقتصادات البلدان الفقيرة من حالة التخلف والاعتماد الكبير على الزراعة التقليدية الى حالة التقدم والاعتماد بنسبة اكبر على القطاعين الصناعي والخدمي كمصدر للدخل والعمالة ومن اجل ان تكون اقتصاداتها اكثر تنوعا ومرونة وقدرة على مواجهة التغيرات المفاجئة "[١] .

كما اكتسبت نظرية التبعية للنظام الرأسمالي العالمي الجديد دعما متزايدا خلال عقد السبعينات بين المثقفين من بلدان العالم الثالث ، ووفق هذه النظرية ، " تعتبر بلدان العالم الثالث اسيرة لتنظيم مؤسسات اقتصادية وسياسية جامدة على المستويين المحلي والدولي ، بحيث اصبحت اقتصاداتها تحكمها علاقات التبعية والهيمنة من جانب البلدان المتقدمة "[٢] .

اما النظرية الكلاسيكية الجديدة التي تبلورت في عقد الثمانينات من القرن المنصرم فركزت على تدعيم دور القطاع الخاص وتصفية العديد من المشروعات العامة وتحويل ملكيتها الى القطاع الخاص وحث بلدان العالم الثالث على تطبيق سياسات اقتصادية لتقليص دور القطاع العام في النشاط الاقتصادي والتحول نحو الاقتصاد الحر وتوسيع دور القطاع الخاص في مشاريع التنمية.

ثم جاءت نظرية النمو الجديدة لتؤكد على اهمية الادخار والاستثمار في تسريع عملية النمو في بلدان العالم الثالث ، " ويعتقد كتاب هذه النظرية بأهمية دور القطاع العام والسياسات الاقتصادية الحكومية في تحقيق اهداف التنمية "[٣] .

ولعل من ابرز نظريات التنمية الاقتصادية نظرية الدفعة القوية ، حيث تذهب هذه النظرية[٤] إلى أن التنمية تتوقف على وجود دفعة قوية أو برنامج كبير من الاستثمار بغرض التغلب على عقبات التنمية ووضع الاقتصاد على مسار النمو الذاتي[٥] ، كما أن هنالك نظرية النمو المتوازن بين مختلف سلع الاستهلاك ، وبين صناعات السلع الرأسمالية والاستهلاكية ، والتوازن بين الصناعة

---

[١] الامين ، عبد الوهاب ، التنمية الاقتصادية المشكلات والسياسات المقترحة مع اشارة الى البلدان العربية ، ص٥٧ ، دار الحافظ للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ٢٠٠٠م

[٢] المرجع السابق، ص٦٩

[٣] المرجع السابق ، ص ٧٣

[٤] ابو علي ، محمد سلطان ، نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص٤٦ ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧م

[٥] التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص ٦٨

والزراعة ، وقد طبقت هذه النظرية في روسيا ، وساعدتها على الإسراع بمعدل النمو في فترة قصيرة .

وفي قبال هذه النظرية تولدت نظرية أخرى باسم نظرية النمو غير المتوازن ، وهي النظرية التي ترى أهمية البدء في التنمية بالمشاريع القائدة ، التي يمكن لها أن تقود بقية المشاريع حاليا ومستقبلا في التخطيط للتنمية ، وهذه النظرية ترى أن إقامة مشروعات جديدة يعتمد على ما حققته مشاريع أخرى من وفورات خارجية وهي بدورها تخلق وفورات خارجية جديدة يمكن أن تستفيد منها وتقوم عليها مشروعات أخرى تالية .

ليست هذه كل النظريات المهتمة بموضوع التنمية الاقتصادية ، فهناك غيرها ، اعرضنا عن ذكرها، لكن المتوقع أن تتجدد النظريات بهذا الصدد للأهمية التي تمثلها قضية التنمية الاقتصادية والتنمية بشكل عام.

المحور الثاني: التنمية الاقتصادية بين اخفاق ونجاح

تهتم الكثير من البلدان بجعل التنمية الاقتصادية هدفا تسعى لتحقيقه ، وهذا يرجع إلى أنها تساهم بشكل كبير في تحسين المعيشة وتطوير جودة الحياة، غير ان كثيرا من الدول النامية اخفق في انجاز درجة مقبولة من التنمية [١] ، وهذا يرجع إلى عدة أسباب ، منها أن التنمية عملية مركبة ومعقدة ، وهي متعددة ومتشعبة الأبعاد ، ولابد من اخذ ذلك بعين الاعتبار والدفع باتجاه تفهم هذا التعقيد في تشعبات العملية التنموية ، كما انها عملية طويلة الأجل ، ومن ثم فإنها تحتاج إلى صبر ومرابطة لجني ثمارها ، وان الاستعجال في جني الثمار، قد يفسد الثمار والشجر ، فتعاقب الدول المتعجلة بالحرمان من ثمرات التنمية ، كما يؤدي التعجل إلى تدمير أصل المشاريع التنموية ، يضاف الى أن دروب التنمية متعددة وطرائقها متنوعة ، وقد تهدر جهود كثيرة من فئات المجتمع في محاولة إثبات صحة وجهة النظر هذه أو تلك ، مما يحول دون التوصل إلى إجماع وطني على مناهج التنمية وبرامجها ، تسير وفقها الدولة .

---

[١] ابو علي ، محمد سلطان ، نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص ٣٦ ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧م

ويمكن أن يضاف إلى ذلك دور الفساد المالي والإداري في الإضرار بمشاريع التنمية ، فقد تبين في عدد غير قليل من البلدان أن الجهات المتنفذة تستخدم الإمكانيات والأموال المخصصة لمشاريع التنمية، لمصالح فئوية أو جهوية أو شخصية ، وتوجه هذه الاماكنيات إلى غير صالح

المشاريع التي رصدت من اجلها أساسا، مما يعطل هذه المشاريع من رأس، وينعكس ذلك على تكاملها مع بقية المشاريع، فتسقط جميعها، فتفشل التنمية .

ولعل هذه النقاط تلفت النظر إلى أن التنمية إضافة إلى حاجتها إلى التخطيط الذي ينظر إلى مستقبل البلدان التنموي من الناحية الاقتصادية، بشكل متكامل، تحتاج كذلك إلى نزاهة في تنفيذ هذه المخططات، لتحقق التنمية أهدافها وتتحول إلى واقع قابل للتطور .

غير ان تجربة التنمية الاقتصادية لبلدان شرق أسيا ، تعتبر تجارب جديرة بالتعلم منها، وتأتي التجربة اليابانية كأول التجارب التي اقتفت نهجها بعض الدول الشرق آسيوية بعد ذلك، ويسجل البعض " أن المحاولة الأولى لطرح رؤية متميزة لنموذج التنمية الأسيوية قد جاء في مؤلف مهم عن الاقتصاد الياباني أصدره " شيغيرا اشيكاوا " في طوكيو عام ١٩٦٧، استند فيه بصفة أساسية إلى التجربة اليابانية في التنمية ، تلك التجربة التي سار على هديها العديد من البلدان الآسيوية فيما بعد "[١] .

لقد حققت النمور الأربعة (كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وهونج كونج) انجازات مهمة في الستينات والسبعينات، لكن التجربة لا تقتصر على هذه البلدان بل هي اوسع، وتضم بلدانا أخرى، برزت بشكل واضح على صعيد التنمية الاقتصادية، مثل الصين ، وماليزيا ، والهند .

اتسم نموذج هذه التجارب بسمات عدة، منها أنها كانت تقوم على استراتيجية استثمارية تحدث تغيرات هيكلية في بنية الاقتصاد والإنتاج خلال مدى زمني قصير، تدعم بنظام تجاري يقوم على التحيز التصديري، وليس على الإحلال محل الواردات، والدولة في هذه التجارب تحفز لتحديد توجهات السياسة الاقتصادية بعيدة المدى، دون إهمال دور آليات السوق، كما تحترم هذه التجارب البعد الثقافي والمؤسسي لمجتمعاتها، وتعطي اهتماما كبيرا للأمن القومي فيها، بحيث تكون القوة العسكرية عنصرا مهما في حسابات القوة بالمعنى الشامل للكلمة .

ولقد حدثت اكبر درجة من التفاعل والتكامل بين القطاعين العام والخاص في مجال أنشطة البحوث والتطوير، في إطار استراتيجية بعيدة المدى، وقد أدى ذلك بدوره إلى ارتفاع العائد التنموي طويل الأجل من جراء هذه التفاعلات خارج نطاق السوق .

---

[١] عبد الفضيل ، محمود ، تجربة بلدان شرق آسيا في التنمية ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص٩١ ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للعلوم- ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦م

كما أن السياسات الاستثمارية بين اليابان وكوريا وتايوان، نجم عنها توسيع وتعميق شبكة التكامل الصناعي الإقليمي في البلدان الأسيوية، من خلال علاقة التكامل الرأسي، إذ يلاحظ أن كل موجة من الموجات الاستثمارية اليابانية والكورية والتايوانية، كانت تعمق من تلك التشابكات فيما بين فروع النشاط الصناعي، وبصفة خاصة الموجات الكبرى للاستثمارات اليابانية خلال الفترة من منتصف الثمانينات إلى منتصف التسعينات من القرن الماضي ، وقد أدى هذا بدوره إلى تعميق ونمو تدفقات التجارة البينية على الصعيد الإقليمي الذي يجمع بين دول المنطقة .

وهكذا فان اقتصادات بلدان منطقة جنوب شرق أسيا ، كانت تتقدم سويا من خلال التوسع في مجال التبادل التجاري ، عبر عمليات الإحلال المستمر بين عناصر سلتي الواردات والصادرات .

وقد أطلق على هذه الطريقة بنموذج الإوز الطائر، حيث وزع على ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى يبدأ البلد الآخذ في النمو باستيراد السلعة من البلد المتقدم القريب منه في أسيا، وقد كانت اليابان في البداية هي البلد الوحيد المتقدم، ثم يحاول البلد الآخذ في النمو في المرحلة الثانية، بإنتاج السلعة على أرضه، بتمويل مشترك، أو من دون تمويل مشترك من البلد المتقدم، ثم يعيد تصديرها إلى البلد الأكثر تقدما، وفي المرحلة الثالثة، يبدأ البلد الآخذ في النمو في إعادة توطين الأنشطة الصناعية في البلدان الآسيوية المجاورة الأقل تقدما. " ووفقا لهذه الدورة يتم ارتقاء السلم التصنيعي تدريجيا من خلال إعادة التقسيم الإقليمي للعمل فيما بين البلدان التي تنتمي إلى أسراب الإوز الطائر ، الأولى والثانية والثالثة ، وهكذا "[1] .

[1] عبد الفضيل ، محمود ، تجربة بلدان شرق آسيا في التنمية ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، ص ٩٣ ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للعلوم- ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦م

المحور الثالث: الاسلام والتنمية الاقتصادية

سبق القول ان التنمية الاقتصادية هي اكثر التنميات التي تعرض لها المفكرون المسلمون بالبحث والنقاش، والمتابع يجد ان هنالك تداخلا في ابحاثهم بين الابحاث الاقتصادية العامة وما يمكن تصنيفه في مجال النمو الاقتصادي وما يلامس التنمية الاقتصادية كعملية مخططة وابعد مدى من النمو الاقتصادي، ورغم ان بعض المفكرين كالفنجري قد اشار الى ان التنمية الاقتصادية قد تناولها القدماء المسلمون في ابحاثهم تحت عنوان العمارة، مستشهدا بعهد الامام علي ابن ابي طالب الى واليه على مصر مالك الأشتر،وانه اعتبرها كالجهاد التي تستوجب شحذ الهمم للنهوض بالأمة، الا اننا نعتقد ان التنمية الاقتصادية كعملية، لم يكشف عنه المفكرون بشكل جلي، اذ أن مثل هذا التخطيط لا يوجد الا في وثائق الدول ولا يبدو ان اهتماما كبيرا كان في المرحلة الاسلامية الاولى بتدوين الخطط وسيما التخطيط الاقتصادي او ان المؤرخين لم يعطوا اهتماما للكشف عن ذلك، ومع هذا فقد اشار بعضهم الى ما يفيد الاهتمام بموضوع التنمية الاقتصادية كعملية ، مثل ما ذكره العسل، من فكر تنموي الامام علي بن ابي طالب وابي يوسف يعقوب بن ابراهيم وابن خلدون.[1]

والحق ان اللفتة التي تشير الى ما نعنيه هو ما نقله اغلبهم من عهد للإمام علي بن ابي لطالب لواليه على مصر مالك الاشتر النخعي فيما عرف بعهد الاشتر، حيث تكشف تفاصيل العهد عن خطوط عريضة لتصور استراتيجي لخطة تنموية، وقيمة هذا العهد يأتي من كونه وثيقة مكتوبة صادرة من اعلى راس في الدولة في حينه، برسم التنفيذ من قبل المعنيين .

وفوق ذلك يرى الباحث ان هنالك مجموعة من النقاط التي يمكن لنا ان نجد فيها الدعم الواضح للتنمية الاقتصادية من الدين الاسلامي، وهي جديرة بالتوقف والتأمل فيها واخذها في اي استراتيجية للتنمية الاقتصادية ، نتعرض لها في النقاط التالية :

[1] العسل ، ابراهيم ، التنمية في الاسلام مفاهيم ومناهج وتطبيقات ، ص ٨٠ فما فوق، مرجع مذكور.

الأولى : العدالة الاجتماعية في التوزيع

من ابرز التحفظات التي اخذت على النمو الاقتصادي عدم مراعاته للعدالة في التوزيع، وجاءت التنمية الاقتصادية لتعالج هذه النقطة لتنعكس اثار ارتفاع النمو الاقتصادي على مناشط الحياة، وهنا نجد دعما واضحا من قبل الاسلام للتنمية الاقتصادية حيث ان الاسلام هاجسه العدالة الاجتماعية والاقتصادية المتجسدة في الانتاج والتوزيع، فقد وجدنا في الفصل السابق ان الاسلام يسمح للأفراد والجماعات والدولة بالتملك، دون اضرار و تعد من طرف على اخر ، وحمل الدولة مسئولية التوزيع العادل في ما الناس فيه شركاء ، وهي ما تمثل مصادر الطاقة اليوم .

ونجد هذا الدعم الواضح في العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ، كقوله تعالى : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والبغي يعظكم لعلكم تذكرون "[١]

وقوله تعالى : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا "[٢] .

وحسب براهيمي فان " من الاثار الاقتصادية للتعاليم القرآنية في هذا المجال يمكننا ان نشير الى ان تمركز الثروة وممارسة الاحتكار- كمصدر للفوارق والمظالم – تمثل حواجز لإقامة العدالة الاجتماعية والاخوة والانسجام الاجتماعي . يجذر بنا هنا ان نذكر ان الله حرم احتكار الثروة من قبل الأقلية ، لقد وضع الله كل الموارد الطبيعة التي خلقها للإنسانية جمعاء"[٣] .

ويرى السيد محمد باقر الصدر صورة العدالة الاجتماعية في الاسلام انها تحتوي على مبدأين ، لكل منهما خطوطه وتفصيلاته : " احدهما مبدأ التكافل العام ، والأخر مبدأ التوازن الاجتماعي ، وفي التكافل والتوازن بمفهومهما الاسلامي ، تحقق القيم الاجتماعية العادلة ، ويوجد المثل الاسلامي للعدالة الاجتماعية"[٤] .

---

[١] النحل/٩٠

[٢] النساء/٥٨

[٣] براهيمي ، عبد الحميد ، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي ، ص ٣٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٧م

[٤] اقتصادنا ، ص ٢٨٧ ، مرجع مذكور

الثانية : الدخل الفردي

تهتم التنمية الاقتصادية برفع معدلات الدخل الفردي من خلال التوزيع العادل للدخل القومي، لكن ليس بالضرورة دائما ان يتحول هذا التوزيع الى ارتفاع في الدخل الفردي، اذ قد يتحول الى مشاريع خدمية عامة، وعليه قد لا يشعر الفرد بارتفاع معدلات النمو الاقتصادي عاما بعد عام .

وهنا تحتاج التنمية الاقتصادية الى محفز اخر يشعر الافراد بمردودها عليهم، وهذا ما يقدمه الاسلام حيث انه يعتبر الدخل الفردي مسئولية شخصية على الانسان نفسه اضافة الى ما يلزمه للدولة من توزيع عادل للدخل القومي وتشغيل كامل للموارد .

ان الاسلام في الوقت الذي يؤكد فيه ان الرزق بيد الله عز وجل ، فانه يلزم الانسان الفرد بالسعي لتحصيل رزقه بغض النظر عن قيام الدولة بواجبها بتوفير فرص التشغيل الكامل للموارد البشرية ام لا، ويفرض على الافراد مسئولية الانفاق على اسرهم، ما يتطلب سعيهم لتطوير دخلهم بصورة مستمرة .

وفي القرآن الكريم آيات واضحات بهذا المعنى، حيث يقول تعالى :

" هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور "[١] .

ويقول ايضا: " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون "[٢] .

ويؤكد على اهمية العمل بقوله تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون "[٣] .

الى غيرها من الآيات التي يلمس منها تحميل الاسلام للإنسان مسئولية السعي لتطوير دخله الفردي وتحسين وضعه الاسري، بغض النظر عن قيام الدولة بواجبها، بل انه يدعو الانسان

---

[١] الملك /١٥

[٢] الجمعة /١٠

[٣] التوبة/ ١٠٥

للهجرة حين يشعر بالاستضعاف من طرف الدولة او غيرها في بلد ما، يقول تعالى : " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا "[1]

[1] النساء/ ٩٧

الثالثة : التعليم

يؤكد المفسرون للقرآن الكريم ان من أوائل الآيات القرآنية التي نزلت على نبي الاسلام محمد (ص) هي الآيات التي تضمنتها افتتاحية سورة العلق التي تؤكد على القراءة وطلب العلم، يقول تعالى : " اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم. "[1]

وهذه الآيات وغيرها من آي القرآن الكريم تحث على العلم، تعلما وتعليما ونشرا، تساهم في دعم التنمية الاقتصادية بخلق بيئة متقبلة للعلم والتطوير المعرفي، سواء الخاص ام العام، وحتى لو لم تتصدى الدولة لمسئوليتها في تطوير العملية التعليمية، فان الاسلام يحمل المسلمين افرادا وجماعات مهمة القيام بهذا الدور، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ومن المناسب هنا التأكيد على ان اكتشاف المعرفة كمورد جديد للاقتصاد، واعتبار عمال المعرفة الاهم بالنسبة للاقتصادات المتقدمة، تلقى توافقا مع ما يذهب اليه الاسلام من اعطاء التطوير المعرفي اهمية كبرى في الحياة الاقتصادية بشكل خاص وكافة مجالات الحياة بشكل عام، فقد" شكل الاسلام ومن خلال نظرية المعرفة عمقا مهما في فهم طبيعة المعرفة من خلال السماح للأفراد بالتفكير في انفسهم وما يحوط بهم "[2] وهو ما يقوم عليه الاقتصاد المعرفي اليوم ، والذي له الدور الاكبر في الدفع بالتنمية الاقتصادية للنجاح .

الرابعة : الحفاظ على الصحة

تعتبر التنمية الاقتصادية ان من الاهداف التي تروم تحقيقها الارتقاء بالصحة العامة في المجتمع ما ينعكس على اداء الموارد البشرية وامتداد اعمارهم الى فترة اطول، وهذا الهدف تجد فيه الاسلام داعما قويا من خلال التعاليم التي يفرض الدين الاسلامي على اتباعه حيث تخلق بيئة صحية على الصعيد الفردي والمجتمعي، فالإسلام دين النظافة التي تمنع تراكم الميكروبات المنتجة للأمراض، والمسلم ملزم بالضوء لكل صلاة، كما انه ملزم بالغسل عن الجنابة والحيض والنفاس وما بحكمهما من الاستحاضة، ويحبب اليه الوضوء والاغتسال حتى من دون ذلك، ويفرض

---

[1] العلق /١-٥

[2] العلي ، عبد الستار ، قنديلجي ، عامر ابراهيم ، العمري ، غسان ، المدخل الى ادارة المعرفة ، الطبعة الأولى ، ص ٥٦ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الاردن ، ٢٠٠٦م

الاسلام على المسلم صيام شهر كامل ما يؤدي الى نتائج صحية ملحوظة، اكدتها الابحاث العلمية، ويحرم الاسلام تناول الخبائث وكل ما يضر بصحة الانسان .

يضاف الى ذلك ان القرآن الكريم يبشر بصحة نفسية وجسدية لمن يتبع تعاليمه، يقول تعالى: " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا "[1] والحق ان تعاليم الدين الاسلامي تؤكد على الصحة العامة، ولعل اصدق الامثلة وما يتصل منها بالتنمية الاقتصادية، دور الاسلام في مكافحة مرض نقص المناعة " الايدز " حيث تبين لخبراء الامم المتحدة ان ضبط الاديان والاسلام بشكل خاص للمعاشرة الجنسية بين الجنسين، والختان المفروض على الذكور يقلل بنسب كبيرة من الاصابات بهذا المرض الخطير، الذي يحجم من كفاءة الانسان من ناحية ويقصر من عمره .

وان من اللافت ان الاسلام يشير الى ان بعض تعاليمه تؤدي الى اطالة العمر، وهو احد اهداف التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية، حيث ورد في بعض الاحاديث النبوية الاشارة الى ان صلة الارحام تطيل الاعمار، وهي تعاليم لا نتوفر عليها في دراسات التنمية الاقتصادية، وربما تشير هذه التعاليم الى دور صلة الارحام في الدعم النفسي والاجتماعي الذي يتلقاه الافراد من اسرهم وارحامهم، مما يجدد في اعمارهم فيطيلها .

الخامسة : مكافحة الفقر

تعتبر التنمية الاقتصادية الفقر خطرا عليها، وهي تسعى لمعالجته، خطر عليها لأنه يولد الامراض والجرائم ويقلل من القدرات البشرية ذات التأثير الكبير على نتائج التنمية الاقتصادية كما وجدنا في المطلب السابق، وتبحث عن الحلول لمعالجته لإثبات نجاحها وتطورها على النمو الاقتصادي البحت، وهنا ستجد التنمية الاقتصادية دعما جاهزا من الاسلام للتعامل مع قضية الفقر التي يندر خلو مجتمع منها، مهما تطور في مستوياته الاقتصادية وحرص على التوزيع العادل لثمارها .

يقدم الاسلام الدعم لمكافحة الفقر من خلال معالجته العلمية والعملية له، فقد بث ثقافة السعي وعدم القبول بالفقر، وعده كفرا وحض على التعود منه، وشجع الميسورين في المجتمع بالترغيب الاخروي على المساهمة في التغلب على هذه المشكلة، كما وضع تشريعات ملزمة ومندوبة لمكافحة

---

[1] الاسراء/٨٢

الفقر، فقد فرض الزكاة على المسلمين، وجعلها علاجا عمليا للفقر في المجتمع، بصف المعالجة الشاملة التي يقدمها الاسلام في بناء مجتمع غني في تأسيسه .

ومن الاهمية بمكان للقيادات المخططة للتنمية الاقتصادية في المجتمعات الاسلامية، الرجوع لتفاصيل ما يطرحه الفقهاء المسلمون من حلول لمشكلة الفقر عبر الاستفادة من الزكاة، سيما ان التعريف الفقهي للفقر عندهم ليس للمعدم البائس، وانما هو لمن لا يملك قوت سنته، وحددوا القوت بالكفاية المتعارف عليها، بحسب المستوى المعيشي في المجتمع " وقد ركز المفكرون المسلمون في المجال الاقتصادي على الفقراء ووجوب ايصالهم لحد الكفاية ، وايصال الأفراد لمستوى الكفاية لا يختص بفئة دون اخرى "[1]

حيث ان " حد الكفاية لا يقتصر على مستوى المعيشة ومستوى ثروة المجتمع ، بل مرونته تتعدى ذلك لتراعي الشخص نفسه من حيث مكانته الاجتماعية وما اعتاد عليه من معيشة كاحتياجه للخادم – مثلا - "[2]

[1] شهاب ، السيد عباس هاشم علوي ، التنمية الاقتصادية في ضوء الفكر الاسلامي دراسة مقارنة ، اطروحة دكتوراه ، ص ١٣٠ ، كلية الامام الاوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م

[2] المرجع السابق، ص ١٣٥

المبحث الثالث : التنمية السياسية

بالعودة الى الفصل السابق نجد ان هنالك علاقة وطيدة بين السياسة والتنمية، وبمقدار ما تكون السياسة كفؤة ومتطورة ينعكس ذلك بشكل تلقائي على التنمية، ذلك لان السياسة في البلدان تقود التنمية، وهو ما يدعمه الاسلام حيث يعطي الدولة حق قيادة العمليات التنموية، من هنا فان تنمية السياسة، بمعنى تطويرها والارتقاء بها يكتسب اهمية بالغة من الناحية التنموية، وهذا المبحث يحاول تسليط الضوء في عدد من المحاور على مفهوم التنمية السياسية ونظرياتها ، والعلاقة بين التنمية والحكم الرشيد، وما يمكن للإسلام ان يقدمه من دعم لها .

المحور الأول: التصورات النظرية للتنمية السياسية

جاء مفهوم التنمية السياسية من خلال الوظائف التي تستهدف الارتقاء بالأداء السياسي على مستوى الإفراد والجماعات والحكومات، ووسائل واساليب تحديث المؤسسات السياسية وتطوير الأحزاب فكرا وتنظيما وعلاقات، وقد ينظر اليها على اساس انها " عملية انتقال منظم من النظم السياسية التقليدية الى النظم الأكثر حداثة ، ومن النظم الاستبدادية الى النظم الديمقراطية "[١] .

وقد نشأت حول هذا المفهوم عدة أراء واتجاهات فكرية وسياسية، وترسخت عدة نظريات متخصصة في التنمية السياسية وإجراءاتها، ولشدة التباين بين الاتجاهات حول مفهوم التنمية السياسية عبر احد الأكاديميين عنه بالمفهوم الزئبقي، حيث يقول : " مثل غيره من المفاهيم في علم السياسة، فإن مفهوم التحديث السياسي والتنمية السياسية يعاني من كثير من عدم الوضوح ، إذ ليس هناك اتفاق بين العاملين في حقل علم السياسة حول تعريف دقيق للمفهوم "[٢] .

وربما دعم هذا المفهوم الزئبقي ما ذهب اليه ريتشارد هيجوت، في كتابه نظرية التنمية السياسية حين يقول:" فالمنظرون المعنيون بالتنمية السياسية يستخدمون المفاهيم بشكل احتفالي،

---

[١] البياتي ، فارس رشيد ، التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص ١٧٥ ، دار ايله للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٨م

[٢] الحمد ، تركي ، التنمية السياسية في المنظور الاسلامي ، بحث منشور على الموقع ، http://www.jadalonline.net/vb/archive/index.php?t-563.html

دون ان يحددوا المقصود بمفاهيم علم السياسة، والدراسات السياسية، والتحليل السياسي، والعملية السياسية أو السياسة العامة"[١] .

ورأى بعض ان مصطلح التنمية السياسية ، " من المصطلحات التي شاعت في اوساط اهل البحث والتخصص لتعبر في الاساس عن فكر منقول ومناهج تجري محاولات تدجينها وتكييفها من وسط حضاري انبتها الى وسط حضاري مغاير تجري فيه محاولات الاستنبات "[٢] .

لكن مع ذلك فان هنالك عدة تعريفات للتنمية السياسية يمكن ان نذكر منها، " إنها العملية التي يستطيع النظام السياسي أن يكسب بها مزيدا من القدرة لكي يحقق باستمرار وبنجاح النماذج الجديدة من الأهداف والمطالب ، وان يطور نماذج جديدة للنظم"[٣] ".

و ذهب رشوان[٤] ، بعد تأكيده ان علماء السياسة قد اختلفوا في تحديد مفهوم التنمية السياسية واستخدم هذا المصطلح وناقشه العديد من المفكرين ، وكان لكل منهم رأيه الخاص ، ان مصطلح التنمية السياسية ، " يشير الى عملية التغير العضوي في طبيعة النظم ، وتتوافق فكرة التغير ونمو النسق السياسي مع خصائص حركة التصنيع الحديثة "[٥] .

ثم يؤكد ان اصطلاح التنمية السياسية يستعمل كذلك " للإشارة الى العمليات المطردة لتحويل وتعديل الانساق السياسية من حقبة تاريخية الى اخرى ، فالنظم والقيم السياسية تخضع للتغير ، وتظهر في درجات متباينة من المرونة ، وتستوعب اي تغيرات مفاجئة "[٦] .

ويقترب مصطلح التنمية السياسية مما يطلق عليه التحديث السياسي او النمو السياسي الذي يعنى بالتغيرات الثقافية والبنائية التي تطرأ على الانساق السياسية في المجتمعات ، وما يصاحبه من اصلاح الحكومة وتطويرها لأداء وظائفها وتكيفها مع التطورات المستجدة .

---

[١] هيجورت ، ريتشارد ، نظرية التنمية السياسية ، المركز العالمي للدراسات السياسية ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠١م

[٢] عارف ، نصر محمد ، نظريات التنمية السياسية المعاصرة ، ص ١٩ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، الولايات المتحدة الامريكية ، ١٩٨١م

[٣] التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص ١٧٦ ، مرجع مذكور.

[٤] كبير مدرسي علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية واستاذ زائر لجامعة اسيوط

[٥] رشوان ، حسين عبد الحميد احمد ، التنمية اجتماعيا – ثقافيا – اقتصاديا – سياسيا – اداريا - بشريا ، ص ١٤٥ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩م

[٦] المرجع السابق، ص ١٤٦

وحسب رشوان " وجملة القول فانه يصعب التمييز بين التحديث السياسي ، والتنمية السياسية ، والنمو السياسي ، وتستخدم غالبا كمرادفات "[١] .

وقد اعتبر البياتي التنمية السياسية بأنها العملية التي تهتم : " بتكوين ثقافة سياسية حول حقوق الإنسان وواجباته وتشكل قاعدة انطلاق وبدء وفعل وإجراءات للتنمية السياسية ، ويتصل بذلك تحديث الحياة السياسية وذلك بتحديث النظم والسلطة والأداء السياسي ، واتخاذ النموذج الأمثل للمحاكاة وليس التقليد الحرفي له ، فلكل بيئة نسقها السياسي الخاص بها ، والاستفادة القصوى من أجهزة وآليات الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة بتطوير الأداء السياسي وإجراءاته على الأرض وداخل البناء الاجتماعي "[٢] .

وعليه فان التنمية السياسية وفقا لذلك " تفرض بناء مؤسسات جديدة او اضفاء الفاعلية على مؤسسات قائمة او تبني او تكييف قيمي ومعايير جديدة "[٣] ولا يكون ذلك الا في ضوء وجود رؤية تنتقل بالقائمين على هذه العملية من الواقع الى الصورة الجديدة ، الامر الذي يتطلب وقتا ليس بالقصير بناء على طبيعة التكوين المجتمعي ، اذ لا يمكن اغفال التفاعل المجتمعي مع عملية التنمية السياسية ، وقد لخص القصبي[٤] سمات التنمية السياسية بأربع " ١/ طويلة ذات مراحل . ٢/ عالمية نظامية متجانسة . ٣/ حركة مستمرة ولا تتوقف نحو التقدم . ٤/ معقدة وجذرية "[٥] .

يجدر بالذكر ان هنالك ابعادا تقاس من خلالها التنمية السياسية، منها التمايز البنائي في النظم السياسية،" ويظهر ذلك في التقسيم الخاص بأداء الوظائف السياسية عن الوظائف الاخرى كالوظائف الاقتصادية والدينية، وكذلك انفصال الادوار المهنية عن القرابة والحياة البسيطة ،

---

[١] المرجع السابق، ص ١٤٩

[٢] التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي ، ص ١٧٦ ، مرجع مذكور.

[٣] القصبي ، عبد الغفار رشاد ، التطور السياسي والتحول الديمقراطي ، الكتاب الاول التنمية السياسية وبناء الامة ، ص ١٣ ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٦م

[٤] الاستاذ بقسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة

[٥] التطور السياسي والتحول الديمقراطي، ص ٤٩ ، مرجع مذكور.

وانفصال نسق القانون عن الدين "[1] وهكذا، كما تقاس التنمية في مكانة الحكومة وهيبتها، ودرجة ادراك التدعيم السياسي والتمييز والادوار، والاداء العقلائي للمهام السياسية .

كما ان هنالك اكثر من مدخل نظري لدراسة التنمية السياسية ، منها المدخل القانوني ، حيث ان " جوهر التنمية السياسية في رأي فقهاء القانون يشمل بشكل اساسي قيام الدولة القانونية ، تلك التي تخضع الهيئات الحاكمة فيها والسياسية خاصة للقانون ، كما يخضع فيها الحاكم والمحكوم لقواعد قانونية معروفة مسبقا وبالتالي تتحدد مراكزهم القانونية على نحو واضح "[2] والمدخل الماركسي الذي يرى : " جوهر التنمية السياسية في انتقال السلطة السياسية الى الطبقة البروليتارية، وذوبان الطبقات المستغلة لإقامة المجتمع الاشتراكي ومنها قيام المجتمع الشيوعي، تكون فيه وسائل الانتاج المادية اللازمة للمعيشة مملوكة جماعيا، لان العمل ذو طابع اجتماعي، ولان الافراد في التحليل الماركسي ينتجون فقط حينما يتعاونون، ونتيجة لذلك تتطور مؤسسات الدولة والتصورات القانونية وحتى الآراء العقائدية للناس لأنهم يديرون شئون حياتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية "[3] .

وهنالك مدخل ثالث وهو المدخل البنائي الوظيفي، حيث يفترض هذا المدخل ان النظام السياسي وهو في سبيل التطور ينبغي منه التوفر على الخصائص السياسية للمجتمع الصناعي الحديث، من حيث توفر المقومات البنائية والمتطلبات الوظيفية التي تمكنه من التكيف والتفاعل مع تحديات المجتمع الداخلية والخارجية .

الى ذلك فان هنالك عددا من النظريات للتنمية السياسية ، يمكن الاشارة اختصارا لبعض منها :

اولا: نظرية التحديث، وهي النظرية التي تنظر الى المجتمعات على اساس انها تنتقل من طور التخلف الى المجتمع التقليدي ومن ثم المجتمع الحديث، ومثال المجتمع الحديث في هذه النظرية هي البلدان المتقدمة، وتفترض ان هنالك خطا حتميا تمر بها المجتمعات للوصول الى مرحلة التحديث، تحت تأثير المجتمعات المتقدمة .

---

[1] التنمية اجتماعيا – ثقافيا – اقتصاديا – سياسيا – اداريا - بشريا ، ص ١٥٢، مرجع مذكور.

[2] عيسى ، ريم/ سمينة ، نعيمة/ العائبي ، سعيدة ، التنمية السياسية قراءة في الآليات والمداخل والنظريات الحديثة ، دراسة منشورة على موقع النور للدراسات ، www.alnoor.se//extra/1/61.pdf

[3] المرجع السابق.

ثانيا: النظرية الماركسية، وهي المأخوذة من نظرة كارل ماركس في تحليله للمجتمعات، حيث تمر المجتمعات عنده بخمس مراحل، البدائية فالرق والعبودية ثم الاقطاعية فالرأسمالية ثم تنتهي بالشيوعية، حيث نهاية مطاف المجتمعات البشرية، وتنتقل المجتمعات البشرية من مرحلة الى اخرى بدافع الصراع الطبقي، وعليه فان البنى الاقتصادية والسياسية هي التي يحدث فيها التحول للانتقال من مرحلة سابقة الى لاحقة .

ثالثا: نظرية التبعية ، حيث تفسر هذه النظرية ان التخلف وليد التبعية للدول المتقدمة التي جاء تقدمها على حساب البلدان المتخلفة، وان تقدمها ليس مرهونا باتباعها بل بالانفكاك عنها. ومن ثم فان التنمية السياسية بحسب هذه النظرية تتوجه نحو الانعتاق من التبعية .

رابعا: نظرية ما بعد الحداثة للتنمية السياسية، وتأخذ هذه النظرية بالتطور الذي حدث على موضوع التنمية حيث اصبحت النظرة اليها ابعد من النظرة الاقتصادية، ودخلت مفاهيم جديدة تتطلبها التنمية بشكل عام والسياسية بشكل خاص ، كحقوق الانسان، والديمقراطية والتعددية وما شابه .

المحور الثاني: التنمية السياسية والحكم الرشيد

افضل صيغة لنظام حكم يمكن له ان يحقق التنمية هو الحكم الصالح او الحكم الرشيد، وهذه الصيغة تمثل الرؤية التي تتطلع التنمية السياسية الوصول اليها، وهي ما عكف المهتمون بالسياسية والتنمية على التنظير لها، فهي من ناحية من شئون السياسة لأنها تتصل بالحكم في البلدان، ومن ناحية اخرى من شئون التنمية لان المرتجى منها ان تحقق افضل عائد تنموي، وهذا ما يجعل البحث في العلاقة بين الحكم الرشيد والتنمية مطلوبا في الابحاث السياسية والتنموية .

وبحسب تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٤ ، فان المحاور التي يقوم عليها الحكم الصالح او الرشيد ، هي[١] :

اولا: يصون الحرية بما يضمن توسيع خيارات الناس .

ثانيا: المشاركة الشعبية الفعالة مع تمثيل كامل لعموم الناس .

---

[١] تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٤ ، ص ١٥٨ ، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ، برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية ، المطبعة الوطنية ، عمان ، المملكة الاردنية الهاشمية

ثالثا: يقوم على المؤسسات بامتياز ، نقيضا للتسلط الفردي ، وتعمل مؤسساته بكفاءة وبشفافية كاملة وتخضع للمساءلة ، فيما بينها في ظل فصل السلطات .

رابعا: يسود القانون ، المنصف والحامي للحرية ، على الجميع على حد سواء .

خامسا: القضاء المستقل الذي يسهر على تطبيق القانون .

ويعرف برنامج الامم المتحدة الانمائي ادارة الحكم بانها: " ممارسة السلطة السياسية والاقتصادية والادارية في تسيير شؤون المجتمع على كافة المستويات ، ويشمل الحكم الآليات والعمليات والمؤسسات المركبة التي يقوم من خلالها الافراد والجماعات بالتعبير عن مصالحهم ، ومعالجة خلافاتهم ، وممارسة حقوقهم والتزاماتهم القانونية "[1] .

وعند هذا البرنامج يتسع الحكم لأكثر من الدولة فهو يشمل القطاع الخاص والمجتمع المدني، ويعول على هذه العناصر الثلاثة لأجل تنمية بشرية مستدامة، وفي مفهومه ان الحكم لم يعد من الممكن النظر اليه باعتباره نظاما مغلقا، وعليه فان التنمية السياسية في ضوء مفهوم الحكم الرشيد ستتوجه الى مؤسسات الحكم من هيئات تشريعية وقضائية وانتخابية، وادارة القطاعين العام والخاص، فتطوير ادارة هذين القطاعين في غاية الاهمية بالنسبة للتنمية ، اضافة الى اصلاح مؤسسات الدولة لجعلها اكثر كفاءة وشفافية وقابلية للمساءلة ، ويميل مفهوم الحكم الرشيد لاعتماد اللامركزية ودعم الحكم المحلي لتمكين مشاركة اوسع من قبل الناس ، مستفيدا من منظمات المجتمع المدني لرفد الحياة السياسية براس المال الاجتماعي .

وتشدد ادبيات البرنامج الانمائي للأمم المتحدة على العلاقة بين الحكم الرشيد ومكافحة الفساد، حيث ان الفساد بحسبها يعد الافة التي تنخر في المشاريع التنموية فتقوض مردوداتها التنموية، وقد اعدت وثيقة بهذا الشأن، اعتبرت فيها الفساد مسألة تدبير حكومي بالدرجة الاولى، أي مسألة فشل المؤسسات في اداء وظيفتها، وهو مظهر من مظاهر التعفن المؤسسي، وقد اشارت الى دور اللامركزية في الحكم والشفافية والمحاسبة في مكافحة الفساد .

---

[1] ادارة الحكم لخدمة التنمية البشرية ، وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الامم المتحدة الإنمائي ، برنامج الامم المتحدة الإنمائي ، كنون الثاني/ يناير ١٩٩٧

وعرفت الفساد بانه: " اساءة استعمال القوة العمومية أو المنصب او السلطة للمنفعة الخاصة، سواء عن طريق الرشوة او الابتزاز او استغلال النفوذ او المحسوبية او الغش، او تقديم الاكراميات للتعجيل بالخدمات او عن طريق الاختلاس "[1] .

وترسم هذه الوثيقة البرنامج الاصلاحي لمؤسسات الحكم وتطوير ادائها لمكافحة الفساد ، بالتعاون مع القطاع العام والخاص ومؤسسات المجتمع المدني .

المحور الثالث: الاسلام والتنمية السياسية

اذا كانت التنمية السياسية تعنى بتطوير عناصر السياسة من موارد بشرية ومؤسسات وتشريعات وبرامج ، فان كل هذه تجد دعما من الاسلام، حيث ان الاسلام حريص على قيادة الدولة للتنمية، ولابد له في هذا الصدد ان يدعم كل ما من شأنه ان يمكن الدولة من قيادة العملية التنموية .

اننا نجد دعم الاسلام للتنمية السياسية من خلال عنايته الخاصة للقادة السياسيين في المجتمع وما الزمه الناس من طاعة لهم تصل حد طاعة الله عز وجل، حيث انه اوجب طاعتهم وحرم معصيتهم، نعم كل ذلك بشرط توفر هؤلاء القادة على الالتزام الكامل بما فرضه الاسلام على الولاة وحدد لهم من شروط ومواصفات، فلم يكن اختيار الطبقة التي توكل اليها المهام الادارية في الدولة الاسلامية الاولى اعتباطا، وكمثال على ذلك الولاة الذين ينصبهم النبي (ص) في مختلف المناطق، حيث " كان اختيار هؤلاء يجري وفق معايير دقيقة ، كانوا - ابتداء – من الصحابة، وممن اخذوا عن النبي مباشرة تقنيات الادارة والتدبير السياسي ، وكانوا عليمين بأمور الدين ثانيا ، لان من صميم مأموريتهم ان يعلموا اهل تلك الامصار فروض دينهم وينشروا فيهم تعاليمه، ثم كانوا ثالثا، اهل عدل ومروءة بحيث يستوفون شروط تمثيل النبي خارج مركز الدولة ويقدمون مثالا لمن هم تحت سلطانهم المباشر "[2] .

---

[1] مكافحة الفساد لتحسين ادارة الحكم ، ص ٩ ، شعبة التطوير الاداري وادارة الحكم ، مكتب السياسات الانمائية في الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٨م

[2] بلقزيز ، عبد الاله ، تكوين المجال السياسي الاسلامي النبوة والسياسة ، ١٤٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ٢٠٠٥م

ونجد في العهد الذي كتبه الامام علي بن ابي طالب لواليه على مصر مالك الاشتر، اهتماما واضحا ببناء الطبقة السياسية حول الوالي لتكون اهلا لقيادة العملية التنموية في المجتمع، فيقول فيه عن الوزراء والمستشارين: " شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة، وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليك مثل آصارهم واوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالما على ظلمه، ولا آثما على اثمه، أولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا، واقل لغيرك الفا، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع "[1] .

واضح من هذا النص ان الوالي مسئول عن الاختيار الدقيق لمستشاريه ووزرائه، فهم الشركاء في التخطيط والتنفيذ لمشاريع التنمية، ويجد المتأمل اشارة الى اهمية معرفة السيرة الذاتية لكل فرد من هذه الطبقة، فمن سبق له المشاركة في الممارسات الظالمة لن يكون مساهما فاعلا في العملية التنموية، كما أن معيار الكفاءة في الوزراء والمستشارين سيكون الحق المستند للحقائق العلمية والموضوعية، وليس كسب رضى الوالي والتقرب منه، وبقدر ما تكون البيئة المحيطة بالوالي نزيهة وصادقة وموضوعية ينعكس ذلك بالمردود الايجابي على مجمل العملية التنموية للمجتمع، وهنا يسجل السبق لهذا العهد على وثائق الامم المتحدة، والنظريات السياسية والتنموية، بشأن بعض الجوانب التي أكدت عليها نظرية الحكم الرشيد .

حيث نجد في العهد ذاته توجيها خاصا بشأن الموظفين العموميين الذين تتم على ايديهم العمليات الاجرائية لمصالح الناس، ومنها مشاريع وبرامج التنمية، يقول : " ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة "[2] .

بل ولا ينبغي الاعتماد على الرأي الشخصي في من سيقلد منصبا لوظيفة عامة، فيقول عن اختيار الكتاب: " ثم انظر في حال كتابك ، فول على امورك خيرهم .. ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك،

---

[1] النظام الاداري الاسلامي ، قراءة في عهد امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب لمالك بن الحارث الاشتر،مرجع مذكور

[2] المرجع السابق ، ص ٨٩

فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا، وأعرفهم بالأمانة وجها، فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره "[1] .

ويشير في هذا العهد الى اهمية مراقبة كبار الموظفين العموميين في اداء اعمالهم ومحاسبتهم حين يسيئون استغلال مواقعهم، وعدم التساهل معهم في اداء واجباتهم، فيقول: " وتحفظ من الاعوان ، فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما اصاب في عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، وسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة "[2] .

ونظرا للدور المهم في ارساء معالم القانون والعدل والسواسية بين الناس، يعطي اهتماما بالغا باختيار القضاة الذي يفصلون فيما يقع الناس فيه من خلاف، فيقول عن اختيارهم لهذه الوظيفة الهامة " ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الامور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه، اوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الامور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، لا يزدهيه اطراء، ولا يستميله اغراء، وأولئك قليل "[3] .

وبالنظر الى أن الفساد يقع عادة من المقربين من الحكام - وهو ما المحت اليه وثائق البرنامج التنموي للأمم المتحدة - فان الامام علي بن ابي طالب يحذر من التساهل معهم بما يؤثر على قضايا التنمية، فيقول لمالك الأشتر في عهده اليه: " ثم ان للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة انصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع اسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة "[4] .

---

[1] المرجع السابق، ص ٩٤

[2] المرجع السابق، ص ٩١

[3] المرجع السابق، ص ٨٩

[4] المرجع السابق، ص ١٠١

والتأمل الدقيق في كل فقرات العهد الذي اخذنا منه الفقرات المتصلة بالتنمية السياسية والحكم الرشيد، يجده حبكة متراصة تستهدف تنمية في كافة المجالات ، وهو المعنى الذي ترومه التنمية بعد ما يزيد على نصف قرن من الابحاث والدراسات والتطبيقات .

ولعل اكبر دعم يقدمه الاسلام للتنمية السياسية ما يدعو اليه من اصلاح في كافة المجالات ، حيث يكثر حديث القرآن الكريم عن الصلاح والاصلاح وادانته الصريحة لكافة انواع الفساد، كقوله تعالى : " لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما "[١] .

وقوله تعالى : " ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وأدعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين "[٢] .

وقوله تعالى : " .. ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين "[٣] .

---

[١] النساء/ ١١٤

[٢] الاعراف/ ٥٦

[٣] القصص/ ٧٧

المبحث الرابع : التنمية الاجتماعية

نتعرض في ثلاثة محاور ضمن هذا المبحث للتعريف بالتنمية الاجتماعية ودور الاسرة وغيرالأسرة فيها ، وما يقدمه الاسلام من دعم لها .

المحور الأول: تعريف التنمية الاجتماعية

كغيرها من انواع التنمية لا يوجد لها تعريف ومفهوم واحد محل اجماع، لذلك لابد لنا من التوقف امام عدد من التعاريف ونخلص منها الى ما يمكن لنا تسمية بالرؤية التي تتوخاها التنمية الاجتماعية، فقد عرف" بعض المفكرين الاجتماعيين التنمية الاجتماعية بانها عملية توافق اجتماعي، ويعرفها آخرون بانها تنمية طاقات الفرد الى اقصى حد مستطاع أو بانها اشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان، أو الوصول بالفرد لمستوى معين من المعيشة ، أو انها عملية تغيير موجه يتحقق عن طريق اشباع حاجات الافراد "[1] .

وتختلف زاوية النظر لتعريف التنمية الاجتماعية باختلاف المجال الذي يدرسها، فقد تعني التوافق الاجتماعي لدى افراد المجتمع بحسب العلوم الانسانية والاجتماعية، وقد تعني العتبة المعيشية المقبولة باعتبارها حقا تلتزم به الدولة اتجاه الافراد حين تدرسها العلوم السياسية والاقتصادية، او توفير التعليم والصحة والمسكن الملائم والعمل المناسب لقدرات الانسان والامن الاجتماعي بحسب المصلحين الاجتماعيين، وعند المتدينين تعني الحفاظ على كرامة الانسان باعتباره خليفة الله في ارضه وتحقيق العدالة، وهكذا .

ولعل مفهوم التنمية الاجتماعية من مفاهيم التنمية القديمة التي ترجع لما قبل منتصف القرن الماضي، حيث يرى بعض ان هذا المفهوم ظهر في " مؤتمر لمناقشة الشئون الادارية للمستعمرات الافريقية، والذي عقده مكتب المستعمرات البريطانية بإنجلترا عام ١٩٤٨م. وقد استخدم مفهوم تنمية المجتمع بديلا عن مفهوم التربية الشعبية، وعرفت تنمية المجتمع بأنها: حركة الغرض منها

[1] ابو زيد ، ابو الحسن عبد الموجود ابراهيم ، التنمية الاجتماعية وحقوق الانسان ، ص ٢٠ ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩م

تحسين الاحوال المعيشية للمجتمع على اساس من المشاركة الايجابية لهذا المجتمع بناء على مبادرة المجتمع بقدر الامكان "[١] .

قد عرفت الجامعة العربية التنمية الاجتماعية: " انها التغيير الحضاري المقصود والمخطط والذي يتناول كل جوانب الحياة المادية والبشرية في اطار المجتمع القومي ، وكذا كل ما يتصل بالعادات والتقاليد وانماط السلوك التي تحكم اتجاهات الافراد بما يحقق استيعاب اكثر للطاقات وتنميتها في سبيل رفع المستوى الاجتماعي ، واطراد نموه لمقابلة الاحتياجات المتطورة والمتزايدة للجماعات والافراد في ظل ايديولوجية تترجم آمال الأمة وتحاول ان تصور ما يجب أن يكون عليه مستقبلها في كل الميادين "[٢] .

اما الامم المتحدة فقد قدمت في العام ١٩٥٦ تعريفا للتنمية الاجتماعية قالت فيه، هي: " العمليات التي تستهدف توجيه جهود المواطنين والحكومة لتحسين الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية ، وتكامل هذه المجتمعات في حياة الامم والشعوب ومساعدتها على الاسهام الفعال في التقدم القومي "[٣] .

يشار الى ان البعض رأى ان مفهوم التنمية الاجتماعية مرادف لمفهوم الرعاية الاجتماعية ، " والتي يقصد بها الخدمات التي تقدم للجماعات التي لا يمكنها الاستفادة بصورة تامة من الخدمات الاجتماعية القائمة كالخدمات التعليمية والصحة والسكنية "[٤] . او انها ذات الخدمات التي تقدم في مجالات الصحة والتعليم والاسكان، ومن دون شك ان هذا المفهوم للتنمية الاجتماعية لا يرقى للنضج الذي تتطلبه عمليات التنمية في حد ذاتها .

وفي تقدير الباحث ان التنمية الاجتماعية هي العمليات التي تصل بالمجتمع الى مستوى التحدي الحضاري الذي وصلت اليه البشرية في اللحظة الحاضرة، وتمنحه القدرة على انتاج صورة جديدة لمجتمع قوي و متماسك وفعال وقابل للتطور في كافة الاصعدة والمجالات .

---

[١] التنمية اجتماعيا – ثقافيا- اقتصاديا – سياسيا – اداريا – بشريا ، ص٧ ، مرجع مذكور.

[٢] المرجع السابق، ص ٩

[٣] المرجع السابق، ص ٨

[٤] ابو زيد، ابو الحسن عبد الموجود ابراهيم، التنمية الاجتماعية وحقوق الانسان، ص ٢٨ ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية، ٢٠٠٩م

المحور الثاني: دور الاسرة والاطر المجتمعية الأخرى في التنمية الاجتماعية

تعتبر الاسرة النواة الاولى للمجتمع، وينعكس تماسكها وطبيعة العلاقة الداخلية فيها بشكل تلقائي على المجتمع الذي تعيش فيه كما تتأثر هي في تكوينها ونوعيتها بالمجتمع، وتعد الاسرة محور حياة الناس، " بصرف النظر عن انماط حياتهم (البداوة والفلاحة والحضارة) وانتماءاتهم الطائفية والاثنية والإقليمية والقبلية، وهي ايضا الوسيط بين الفرد والمجتمع، والمؤسسة التي يتوارث فيها الافراد والجماعات انتماءاتهم الدينية والطبقية وحتى الثقافية والسياسية الى حد بعيد "[1].

وبرغم الدراسات التي اولت الاسرة اهتماما، الا ان هنالك غيابا تعريفيا للأسرة في الدراسات العربية وفي الفكر الاسلامي كما وجد ذلك الطاهر لبيب في دراسته " الاسرة العربية : مقاربات نظرية "، فيقول : " هذا الغياب التعريفي للأسرة واضح في الفكر الاسلامي بوجه عام، رغم اهمية التنشئة الاسلامية التي توكل الى الاسرة، في وحدتها وتماسكها، لهذا ليس مستغربا ان نعثر في موسوعة لمصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والاسلامي، على مصطلح العائلة او الاسرة، في حين نجد مصطلحات القبيلة والعشيرة والنسب – بما فيه الوالدان والمولودون والمناسبون – كما نجد النكاح وآدابه ، اضافة الى مكارم الاخلاق وآداب الوالد والولد"[2] .

لكن بالرغم من ذلك لا يمكن لنا ان نفغل الدور الذي اناطه الاسلام بالأسرة في سبيل بناء فرد صالح ومجتمع متقدم، حيث نجد تشريعات خاصة بهذا الكيان، يرى المتأمل فيها انها تساهم في التنمية من خلال رفد المجتمع بالموارد البشرية المؤهلة من الناحية الانسانية من جهة ووقاية المجتمع من الاخطار والجرائم التي تستهلك الكثير من موارده، من جهة اخرى، ذلك ان للجرائم تكلفة محاسبية تؤثر في المحصلة النهائية على المجتمع ككل، ولو درسنا تكلفة جريمة تعاطي المخدرات كمثال على ذلك، ودور الاسرة في التقليل والتغلب على هذه الظاهرة، او حتى تجفيفها من منابعها الأولى، لوجدنا ان الاسرة ككيان له دور تنموي كبير، ذلك " ان ظاهرة تعاطي المخدرات تعتبر احدى اعقد المشكلات الاجتماعية الاقتصادية التي تواجه المجتمعات البشرية

---

[1] بركات ، حليم ، المجتمع العربي المعاصر ، ص ١٧١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٩١م

[2] لبيب ، الطاهر ، الاسرة العربية : مقاربات نظرية، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث ، ص ١٦٧ ، الدار العربية للعلوم - ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧ م

قاطبة (باختلاف حدتها وانتشارها من مجتمع الى اخر) ، مما ترك اضرارا متنوعة على مختلف مناحي الحياة وعلى الرغم من تزايد اهتمام المجتمع الدولي بهذه الظاهرة ومخاطرها "[١]

وبحسب الشريعة الاسلامية فان الوضع الأسري "ليس مجرد تعبير عن التزام قانوني بين الرجل والمرأة، وليس مجرد ارتباط عاطفي وادبي بينهما، وانما هو ذلك كله، وفيه - زيادة على ذلك - شيئ من معنى العبادة لأنه التزام روحي بين الرجل والمرأة وذريتهما، ولأنه يتكون لتحقيق غاية من غايات خلق الله للأرض والانسان، واستخلاف الانسان في الارض "[٢] والذي هو ابرز مصاديق مفهوم التنمية كما وجدنا في الفصل الاول من هذه الدراسة . " فمؤسسة الاسرة ليست شيئا قائما بذاته منفصلا عن الفرد والمجتمع وتشريعاتهما ، وليست شيئا منفصلا عن العبادة والنشاط الدنيوي وتشريعاتهما، وانما هي موصولة الوشائج تشريعا بذلك كله "[٣] .

ولنا ان نتفق مع السيد زهير الاعرجي أن " الاسلام ينظر الى المؤسسة العائلية باعتبارها نقطة استقرار لعالم متحرك، تنتقل من خلالها ممتلكات الجيل السابق للجيل اللاحق عن طريق الارث والوصية الشرعية، ومؤسسة اجتماعية لتعويض الخسائر البشرية الحاصلة نتيجة موت الافراد، ومحطة فحص وتثبيت انساب الافراد عن طريق الزواج والاقرار بالنسب، ومركز حماية الافراد فيما يتعلق بالحب والحنان والدفء و المطعم والملجأ، ومكانا لتهذيب السلوك الجنسي، ومسرحا لتعلم المعارف قبل الخروج للساحة الاجتماعية ، وموضعا عظيما لتعلم النشاطات الروحية والدينية وممارستها "[٤] . وفي المحصلة يصب كل ذلك لصالح التنمية الاجتماعية بشكل خاص وكافة مجالات التنمية بشكل عام .

وبمثل ما للأسرة من دور في التنمية الاجتماعية كذلك مؤسسات المجتمع المدني حيث تساهم بشكل كبير في تعاون وتماسك المجتمع و منحه قدرة افضل لمواجهة التحديات واستثمار الفرص. فمن " الواضح ان المجتمع المدني لابد ان يلعب دورا هاما في تحقيق التنمية المبتغاة ، اذ لم تعد التنمية تقتصر على امور مثل التغذية الكافية او الحياة الصحية او حتى التعليم واكتساب

---

[١] الحيالي ، وليد ناجي ، دراسات في المشاكل المحاسبية المعاصرة ، ص ١٤٨ ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م

[٢] شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، في الاجتماع السياسي الاسلامي ، ص ٣٨ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، قم ، ايران ، ١٩٩٤م

[٣] المرجع السابق، ص ٣٨

[٤] الاعرجي ، السيد زهير ، النظام العائلي ودور الاسرة في البناء الاجتماعي الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ص ١١ ، قم ، ايران ، ١٤١٥ه ، منشور على موقعه الرسمي

المهارات ، فهي مطالب وحاجات ضرورية ولكنها غير كافية للإحاطة بالمفهوم الجديد للتنمية ، فالاهم هو الحرية التي يمارسها الانسان لتحقيق هذه الفعاليات او القدرة على تحقيقها "[1] وهو ما توفره مؤسسات المجتمع المدني .

يضاف الى مؤسسة الاسرة والمجتمع المدني الاطر الاجتماعية الاخرى كالمدرسة والمسجد باسهاماتها في التنمية الاجتماعية، حيث تساهم في تحقيق الرؤية التي تسعى التنمية الاجتماعية لتحقيقها، في بناء مجتمع قوي وفعال وقادر على مجابهة التحديات و متطور ، وقد اشار البحث في الفصل السابق للعلاقة بين هذه المؤسسات المجتمعية والتنمية بشكل عام .

المحور الثالث: دعم الاسلام للتنمية الاجتماعية

اشار البحث في الفصل الاول في مبحث مجتمع التنمية ان المجتمع الذي يتطلع اليه الاسلام هو مجتمع التنمية، وعليه يمكن التأسيس بالقول ان الاسلام يؤكد على قيمة التنمية الاجتماعية في سبيل الوصول لمجتمع التنمية الذي يحقق التنمية بمعناها الشامل، وهنا يمكن التفصيل في دور الاسلام في دعم التنمية الاجتماعية بشكل خاص .

ينطلق الاسلام في دعمه للتنمية الاجتماعية من خلال بنائه التربوي للأفراد على اساس اجتماعي، فمن البداية يلزم هذا المكلف بمسئوليات اجتماعية لا ينفك منها، ويعتبره خارجا عن اطار الاسلام في حالة عدم التقيد بها، فالفرد بحسب عضويته الاجتماعية ملزم بالاهتمام بالشأن العام للمجتمع المسلم، فمن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم، في مفهوم الاسلام عن الفرد المسلم، وهذا محرك فعال لخدمة التنمية الاجتماعية، يضاف الى ذلك الزامه بمشاركة الناس في الانشطة الاجتماعية التي تمنع عليه تضخم الفردية على حساب الاخرين .

فهو عباديا يصلي في المسجد جماعة مع الناس، ويصوم معهم في ذات الفترة التي يصومون فيها، ويحج واياهم في زمن واحد، ويخصص جزءا من ماله على وجه الوجوب والاستحباب للأخرين في المجتمع، ويتشارك معهم في الدعوة الى البر والاحسان، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

[1] علي ، حيدر ابراهيم ، المجتمع المدني ، بحث منشور في المجلد الثالث من الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م

ثم يدعوه لتكوين عائلة فاعلة في المجتمع، يلزمه بتربيتها وتنشئتها تنشئة سليمة ويبعدها عن مصادر الفساد والانحراف، وهذه العائلة التي تشكل النواة الاولى في البناء الاجتماعي كما المح البحث في الصفحات السابقة، تتحمل مسئولية اجتماعية عن كل فرد فيها، تظهر في التشريعات التي الزم بها الاسلام هذا الكيان الاجتماعي الاساس، وهناك مجموعة من الامثلة التي تعبر عن المسئولية الجماعية كما في عقل الدية .

ولم يكتف الاسلام ببناء عائلة قوية متماسكة، بل اكد على اواصر اسرية تجعل المجتمع متماسكا، فالزم كل فرد بالتواصل مع من يجمعه رحم معه، واعتبر التعمد في القطيعة من مدعاة سخط الله عز وجل والخسارة في الدنيا والاخرة، وهذا ما عبر عنه الفقهاء المسلمون بوجوب صلة الارحام وحرمة قطعها، فقد فهم المفسرون والفقهاء ان قوله تعالى: " والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب "[1] يلزم بصلة الارحام، وكما ذكر الطبري في تفسيره " والذين يصلون الرحم التـي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها."[2]

ومن تأكيد الاسلام على قيمة التنمية الاجتماعية ودعمه لمساعيها، انه اعتبر العلاقة بين افراد المجتمع علاقة اخوية، فالمؤمنون به اخوة، ودعى لتدارك اي خلل في هذه العلاقة الاخوية بالإصلاح منعا لتفتت المجتمع وانهيار اواصره، يقول تعالى : " انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون "[3] .

كما انه رحب كثيرا باي علاقة تعاونية في المجتمع في سبيل سد حاجة مجتمعية لشريحة من المجتمع ، او تطويره في اي مجال من المجالات .

يضاف الى ذلك ان الاسلام له تصور واضح في الرؤية التي ينبغي للمجتمع ان يكون عليها ، ليكون مجتمعا تنمويا ، وهي مجتمع المتقين ، الذي تقوده كل الممارسات العبادية والتشريعية الفردية والجماعية للوصول اليه . وهذا في تقديرنا اهم ما يقدمه الاسلام للتنمية الاجتماعية في المجتمعات المسلمة .

---

[1] الرعد/٢١

[2] جامع البيان في تفسير القرآن . تفسير الآية ٢١ من سورة الرعد، http://www.altafsir.com

[3] الحجرات/ ١٠

المبحث الخامس : التنمية الشاملة والمستدامة

نتعرض في محاور هذا المبحث لمفهومي التنمية الشاملة والمستدامة وملامح دعم الاسلام لهما.

المحور الأول: التنمية الشاملة

يقصد بالتنمية الشاملة التنمية التي تأخذ كافة الابعاد بعين الاعتبار، فل يكفي اخذ الجانب الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي او غيرها فقط، ولايكفي تنمية اقليم او قطاع مع اهمال الاقاليم والقطاعات الاخرى، "ان التنمية الشاملة تعني أنها يجب أن تكون اقتصادية واجتماعية في الوقت عينه ، وأنها يجب ان تتناول الزراعة والصناعة معا ، وتحقق التوازن في التنمية المكانية ، وان يفرد اهتمام خاص لقضايا توزيع الدخل والقضاء على الفقر."[١] .

والمعروف أن الدول النامية يغلب عليها الطابع الزراعي ، في حين تتميز الدول المتقدمة بغلبة النشاط الصناعي فيها ، مما دفع الكثير من الدول النامية إلى صياغة برامجها الإنمائية في الخمسينات والستينات من القرن الماضي على التصنيع مع إهمال قطاع الزراعة ، لكن هذه التنمية الجزئية لم تحقق ما كانت تصبو إليه هذه الدول من آمال ، وتبين لها آن التصنيع الكفء يتطلب عدم إهمال قطاع الزراعة بل ضرورة إعطائه الاهتمام الكافي .

كذلك ركزت بعض الدول النامية عل تنمية أقاليمها الجغرافية التي تتوافر فيها البنية الأساسية ، وأهملت أقاليمها الأكثر فقرا ، وأدى هذا التوجه إلى زيادة عدم العدالة الإقليمية داخل الدولة الواحدة ، كما أدى إلى معاناة الدولة من مشاكل عدة وصلت إلى درجة الحرب الأهلية بين الأقاليم المرفهة والمحرومة والى انفصالها عن بعضها البعض .

إذ يعتقد أن هذا ما حدث بين باكستان الشرقية وباكستان الغربية عندما كانتا تحت لواء دولة واحدة ، فقد تركزت الاستثمارات في باكستان الغربية وأهمل الإقليم الشرقي ، ثم اندلعت الحرب الأهلية واستقل الإقليمان عن بعضهما البعض ، فأصبحتا باكستان الحالية وبنغلادش .

---

[١] ابو علي، محمد سلطان، نظريات التنمية الاقتصادية وسياساتها ، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الرابع ، البعد الاقتصادي ، الدار العربية للعلوم - ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧ م

كما أن بعض الدول لا توفر عناية كافية للجوانب الاجتماعية للتنمية (مثل درجة الفقر المنتشرة فيها أو إهمال الاهتمام بالصحة والتعليم أو العلاقات السائدة بين فئات المجتمع وغيرها) أثناء حصولها ، فينعكس ذلك سلبا على التنمية الاقتصادية بعد وقت غير طويل .

المحور الثاني: التنمية المستدامة

تزايد الاهتمام بمفهوم التنمية المستدامة في بداية السبعينات من خلال مجموعة من الدراسات التي تناولت قضايا سوء استغلال الإنسان للبيئة وضرورة التركيز على القيود البيئية والربط بين الاهتمام بالبيئة والتنمية .

ومفهوم التنمية المستدامة يجمع بين بعدين أساسيين ، هما التنمية كعملية للتغيير والاستدامة كبعد زمني ، والدافع وراء ظهور هذا المفهوم ادراك أن عملية النمو في حد ذاتها لا تكفي لتحسين مستوى معيشة الأفراد على نحو يتسم بقدر من العدالة في توزيع ثمار التنمية ، كما أن التركيز على البعد المادي لعملية النمو قد تراجع ، ليحل بدلا منه الاهتمام بالعنصر البشري، على أساس أن الإنسان هو هدف عملية التنمية وأداتها في الوقت نفسه .

" وقد حظي مفهوم التنمية المستدامة باهتمام دولي خلال عقد السبعينات في مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية البشرية عام ١٩٧٢ والذي ركز أساسا على قضايا البيئة التي كانت واضحة بصورة كبيرة في الشمال وارتبطت بالتنمية الصناعية والنمو المتسارع لمعدلات الاستهلاك ، ولم تستأثر القضايا التي تهم الدول الأقل نموا بالاهتمام الكافي وخصوصا حاجتها إلى اقتصاديات أكثر استقرارا وكذلك تحسين أوضاع البيئة فيها ، إلا أن الحاجة إلى الربط بين أهداف البيئة والتنمية أصبحت أكثر وضوحا ، ولفت الانتباه إلى القيود التي تفرض على النمو نتيجة النقص في الموارد الطبيعية مثل الثروات المعدنية ومصادر الطاقة "[١].

لقد وضعت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مجموعة مؤشرات لدراسة أبعاد التنمية المستدامة[٢] ، وهي مؤشرات المصدر التي تقيس التغير في الأصول الاقتصادية والبيئية والاجتماعية

---

[١] الخواجة، علا محمد، العولمة والتنمية المستدامة ، منشورة في الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الأول ، ص ٤٢١ ، عن الأكاديمية العربية للعلوم ، الدار العربية للعلوم - ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦م

[٢] المرجع السابق.

، حيث تقيس نوعية الهواء والتغير في الموارد المائية والتغير في الأراضي واستخداماتها والتغير في استخدام مصادر الطاقة ، وصافي التغير في الأصول المنتجة وصافي

التغير في الأصول المالية والتغير التكنولوجي والتغير في راس المال البشري وفي الإنفاق على الاستثمار في راس المال البشري ، ومؤشرات النتيجة ، وتشمل أنماط الإنفاق ومعدلاته وتوزيع الدخل والصحة والتعليم والعمل .

وجدير بالذكر أن هناك الكثير من الهيئات الدولية المعنية بقضايا التنمية المستدامة وعلى رأسها الأمم المتحدة وبرامجها والمؤتمرات المنبثقة عنها مثل برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، ومؤتمرات الأمم المتحدة للبيئة والتنمية واللجنة العالمية للتنمية المستدامة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي .

ويقصد بالتنمية المستدامة الاهتمام باحتياجات الأجيال القادمة عند إحداث التنمية ، وليس مجرد سد حاجات الجيل الحاضر ، كما أنها تشتمل على ضرورة المحافظة على البيئة، وعدم تلويثها حيث أن هذا يؤثر سلبا على التنمية ذاتها في المستقبل .

ومثال ذلك في الزراعة ، حيث يمكن زراعة الأرض زراعة كثيفة جدا ونحصل منها حاليا على محصول وفير دون أن يعوض ذلك بالتسميد أو غيره ويترتب على ذلك أن إنتاجية الأرض سوف تنخفض في المستقبل ، إما لتآكل التربة أو لانخفاض منسوب المياه الجوفية أو غيرها من الأسباب ، ومثل هذا الإجراء يتعارض مع استدامة التنمية و اطرادها .

ومن الأمثلة أيضا ما حدث لمنطقة حلوان ، فقد كانت منطقة حلوان في مصر شهيرة بحماماتها التي كان يؤمها كثير من المصريين والسياح الأجانب لأغراض الاستشفاء ، نظرا لتوافر عيون مياه كبريتية فيها، غير أن إقامة صناعات الحديد والصلب والاسمنت منذ أواخر خمسينات القرن الماضي في هذه المنطقة، أدت إلى تلوث الجو والبيئة ، وقضي على الحمامات المذكورة .

وعلى ذلك يمكن تعريف التنمية المستدامة على أنها تلك التي تأخذ في الاعتبار احتياجات الأجيال القادمة عند تلبية حاجات الجيل الحاضر، ويتطلب ذلك الحفاظ على البيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية ، وبعدم تدمير الموارد وحسن إدارتها أثناء عملية التنمية ، وتعزيز موضع ومشاركة مختلف فئات المجتمع في الجهود الإنمائية .

المحور الثالث: الاسلام والتنمية الشاملة والمستدامة

مفهوم التنمية الشاملة المشار اليه في الصفحات السابقة ركزت عليه الدراسات الاسلامية المهتمة بموضوع التنمية حيث اكدت على ان التنمية في الاسلام شاملة ومتوازنة، نذكر منها ما ذكره ابراهيم العسل في كتابه التنمية في الاسلام مفاهيم مناهج تطبيقات " وبما أن الاسلام لا يحصر التنمية بالجانب المادي بل يتعداها الى الانسان الفرد والمجتمع الانساني ، فان التنمية المتكاملة والشاملة لا يمكن تصورها الا في مجتمع مسلم "[١] .

واعتبر ان من ابرز خصائص التنمية في الاسلام تميزها بالشمولية، حيث: " ان مبدأ الشمول في التنمية الاسلامية يقتضي تحقيق الاحتياجات البشرية كافة من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية وغيرها "[٢] .

وقال في موضع اخر " فالإسلام لا يقبل ان تنفرد التنمية بالنواحي الاقتصادية دون القضايا الصحية او الثقافية او الاجتماعية ، وأن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، او ان يركز على المباني الفخمة والمنشآت المتطورة دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية ، وأن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى "[٣] .

اما دعم الاسلام لفكرة الاستدامة فهي جلية جدا في تعامل الاسلام مع الموارد الاقتصادية والبيئة وتشجيعه على المشاريع الوقفية التي تخدم المجتمع في مختلف المجالات ، فالإسلام له موقف واضح من هدر الموارد الاقتصادية وهي الحرمة الصريحة ، وعدم جواز اخذ اكثر من الحاجة للأجيال الحالية ، كما يحث على الاستثمار الامثل الذي يمنع الاسراف وتبديد الطاقة فيما لا منفعة فيه لصالح الافراد والمجتمعات " فقد سمح الاسلام للإنسان باستغلال كافة الموارد – المسخرة له – من اجل عمارة الارض للقيام بواجبات الخلافة وفقا للضوابط الاسلامية العامة المتمثلة في تقييد النشاط ضمن دائرة الحلال ، والاحتكام لمقاصد الشريعة وقاعدة لا ضرر ولا ضرار ، والابتعاد عن الاسراف والتبذير ، فالموارد مقدرة "[٤] .

---

[١] التنمية في الاسلام مفاهيم – مناهج وتطبيقات ، ص ٦٢، مرجع مذكور .

[٢] المرجع السابق ، ص ٧٢

[٣] المرجع السابق ، ص ٧٣

[٤] العاني ، اسامة عبد الحميد ، المنظور الاسلامي للتنمية البشرية ، ص ٣٤ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، دولة الامارات العربية ، ٢٠٠٣م

كما اهتم الاسلام بعناصر البيئة من ماء وهواء وتربة ونبات وحيوان ، فعن الماء فقد نهى ان يبال في الراكد والجاري ، وواجه التصحر بدعوته لا حياء الارض واستصلاحها ، ومنع من قتل الحيوان عبثا وتلهيا ، وفي كل ذلك احاديث نبوية شريفة يمكن الرجوع اليها في مصادرها .

ولعل الوقف الذي دعا اليه الاسلام وحث عليه ، يشكل ممارسة عملية لفكرة التنمية المستدامة ، ولاتزال في حياة المسلمين وقوفات يرجع تاريخها الى جيل المسلمين الأول ، كأبيار علي في الطريق من المدينة الى مكة المكرمة .

المبحث السادس : التنمية البشرية

نتطرق في محاور هذا المبحث لمفهوم التنمية البشرية واهدافها والدليل الاممي للتنمية البشرية ومؤشراتها ، ثم نعرض للخطوط العامة لدعم الاسلام لهذه التنمية .

المحور الأول: مفهوم التنمية البشرية

يعتبر مفهوم التنمية البشرية احد المفاهيم الحديثة في العلوم الاجتماعية ، بعد ان ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي وشاع استخدامه. وقد تطور كمفهوم كما تطورت مؤشرات التنمية وتعددت مكوناتها واهتماماتها من مجرد مؤشرات النمو الاقتصادي إلى حركة المؤشرات الاجتماعية ومؤشرات الحاجات الأساسية ومن ثم مؤشرات التنمية المستدامة والتنمية البشرية وأهداف الألفية الإنمائية.

وتعكس مسيرة التنمية البشرية كمفهوم، مسيرة " نظريات التنمية نفسها ومسيرة نظريات النمو الاقتصادي ، ذلك ان التنمية البشرية هي جزء من كل ، فهي لم تطرح مستقلة بحد ذاتها ، وقد تطور مفهوم التنمية البشرية من عقد الى اخر مع تطور الاصل "[1] .

وفي ادوار هذا التطور استخدمت عدة تعابير للدلالة على مفهوم التنمية البشرية ، منها تنمية العنصر البشري ، أو تنمية الرأسمال البشري ، أو تنمية الموارد البشرية أو التنمية الاجتماعية أو الإنسانية كما تعبر عنها بعض الكتابات العربية ، وقد تطلق على التنمية الذاتية على الصعيد الشخصي ، وكان مفهوم التنمية البشرية يختلف باختلاف التسميات المعتمدة .

لقد أطلق عليها في الخمسينات من القرن الماضي بمسائل الرفاه الاجتماعي ، وانتقل بعد ذلك للتركيز على التعليم والتدريب ومن ثم إشباع الحاجات الأساسية ، وأصبح اليوم يركز على تطوير القدرات البشرية وكذلك تمتع البشر بقدراتهم المكتسبة في جو من الحرية السياسية واحترام حقوق الإنسان .

---

[1] القصيفي ، جورج ، التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون ، بحث منشور في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي ، ص ٨١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٥م

وقد عرف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في أول تقرير أصدره حول التنمية البشرية عام ١٩٩٠ هي: " عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس "[١] ، أما محبوب الحق الخبير التنموي الباكستاني ، الذي اعد تقارير الامم المتحدة بشأن التنمية البشرية ، فيعرفها بأنها: "زيادة فرص الاختيار ، وما الدخل إلا واحدا من هذه الفرص وليس كل ما تنطوي عليه أنفسهم "[٢] وبحسب مكتب العمل العربي أن " هذا المفهوم أصبح يتضمن التركيز على أنماط التفكير والسلوك ونوعية مشاركة الجماهير في اتخاذ القرار والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد، وثقافة الشعوب ، وطرق وأساليب العمل والإنتاج ، أي تعبئة الناس بهدف زيادة قدراتهم على التحكم في مصائرهم وقدراتهم "[٣] ، وقد خلص الدعمة الى تعريف للتنمية البشرية مفاده : " أن التنمية البشرية هي عملية تنموية مستدامة تهدف إلى الاستثمار في قدرات البشر من خلال تحسين مستواهم التعليمي والصحي والغذائي بهدف تحسين قدراتهم ومهاراتهم لزيادة الإنتاجية وتحقيق النمو الاقتصادي وتوزيع عوائده على أفراد المجتمع على نحو عادل يضمن رفع مستوى رفاهيتهم وتمكينهم من المشاركة في هذه العملية التنموية في إطار الموارد الاقتصادية المتاحة وفي ظل السياسات المعتمدة في هذا الشأن "[٤] .

ويمكن القول أن التنمية البشرية بهذا المفهوم ، تختلف عن نظريات تكوين رأس المال البشري وتنمية الموارد البشرية ، حيث أن هذه النظريات تتوجه إلى الناس باعتبارهم وسيلة وليس غاية ، ولا تهتم هذه النظريات إلا بجانب العرض ، أي في اعتبار البشر أدوات لازمة لعملية إنتاج السلع ، بينما تنظر التنمية البشرية أن البشر هم أكثر من عوامل الإنتاج نشاطا لكنهم ليسوا سلعا إنتاجية تستخدم لإنتاج سلع أخرى ، فهم الهدف الأسمى للعملية الإنتاجية والمنتفعون بها .

كما تختلف التنمية البشرية عن مناهج الرفاهية البشرية التي تنظر إلى الناس باعتبارهم منتفعين من عملية التنمية أكثر من كونهم مشاركين فيها ، وهذه المناهج تهتم بسياسات التوزيع أكثر مما تهتم بهياكل الإنتاج .كما أنها تختلف عن منهج الاحتياجات الأساسية التي تركز على مجموعة من السلع والخدمات التي تحتاجها الفئات السكانية المحرومة ، مثل الغذاء والمأوى والملبس .

---

[١] للاطلاع على تقارير الامم المتحدة بشأن التنمية البشرية تباعا يمكن الدخول على موقع تقرير التنمية البشرية على شبكة الانترنت ، http://www.un.org/ar/esa/hdr/

[٢] الدعمة ، ابراهيم ، التنمية البشرية والنمو الاقتصادي ، ص ١٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢م

[٣] المرجع السابق، ص١٧

[٤] المرجع السابق ، ص١٧

لقد قيل أن للتنمية البشرية جانبين ، يتمثل الأول في تشكيل القدرات البشرية ، مثل تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات ، والثاني انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة إما للتمتع بوقت الفراغ ، أو في الأغراض الإنتاجية ، أو في الشئون الثقافية والاجتماعية والسياسية، وسوف تفقد برامج التنمية البشرية غاياتها حين لا يتم التوازن بين هذين الجانبين .

وفي ضوء ذلك تركزت الخيارات الأساسية في ثلاثة : وهي أن يحي الناس حياة طويلة خالية من العلل ، وان يكتسبوا المعرفة ، وان يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة ، وفي حالة عدم توفر هذه الحاجات الأساسية فان الخيارات الأخرى ستكون بعيدة المنال .

اذن يمكن القول ان مفهوم التنمية البشرية: " مفهوم مركب من جملة من المعطيات والاوضاع ، وهي عمليات تحدث نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل المتعددة والمتنوعة من اجل الوصول الى تحقيق تأثيرات وتشكيلات في حياة الانسان وفي سياقه المجتمعي ، وهي حركة تتواصل عبر الاجيال زمانا وعبر المواقع الجغرافية والبيئية "[١] .

وقد ذكر بعض ان للتنمية البشرية ابعادا متعددة[٢] منها بعد التمكين وبعد التعاون وبعد الانصاف او العدالة وبعد الاستدامة وبعد الامن ، ومن وجهة نظر ثانية البعد الاقتصادي والبعد البيئي والبعد السياسي والبعد الاجتماعي ، كما ان لها عناصر هامة متداخلة ، وهي التعليم والصحة والتغذية والبيئة والعمل والحرية السياسية والاقتصادية . وكل هذا الذي ذكر تفصيل في عملية التنمية ومتطلباتها .

لكن مفهوم التنمية البشرية تطور إلى ما هو ابعد من ذلك ، في ضوء التحديات التي برزت في سبيل الوصول إليها في مختلف دول العالم، ما حدا بمناقشة الأمر على مستوى أممي في المؤتمر الذي عقدته الأمم المتحدة في سنة ٢٠٠٠ لملاحظة التفاوتات الصارخة القائمة في العالم بالنسبة للتنمية البشرية ، وصاغوا إعلانا يعرف بإعلان الألفية ويتكون من ثمانية أهداف يلزم تحقيقها بحلول ٢٠١٥ من اجل التقدم بالتنمية البشرية ، وقد حددت سنة ٢٠١٥ بالتاريخ الأقصى لبلوغ كل هدف من هذه الأهداف وحددت سنة ١٩٩٠ بالسنة المرجعية لقياس التقدم .

---

[١] محمد ، عبد الرحيم ، التنمية البشرية ومقومات التنمية المستدامة في الوطن العربي ، بحث منشور في اعمال المؤتمر العربي السادس للإدارة والبيئة ، المنظمة العربية للتنمية الادارية ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠٠٧م

[٢] ابو زيد ، ابو الحسن عبد الموجود ابراهيم ، التنمية الاجتماعية وحقوق الانسان ، ص ٢٠٢ ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩م

وتمثلت الأهداف الثمانية في القضاء على الفقر المدقع وعلى الجوع ، تأمين التعليم الابتدائي للجميع، تطوير المساواة بين الجنسين واستقلالية النساء ، تخفيض وفيات الرضع ، تحسين صحة الأم ، مكافحة فيروس فقدان المناعة ، تأمين استدامة الموارد البيئية ، وإنشاء الشراكة من أجل التنمية .

المحور الثاني: دليل التنمية البشرية

وضعت الأمم المتحدة دليلا للتنمية البشرية في العام ١٩٩٠ ، يقاس من خلاله مستوى التنمية البشرية في كل بلد سنويا ، وهو يتركب من ثلاثة مكونات تتمثل في الصحة والتعليم والدخل ، وأربعة مؤشرات تابعة لهذه المكونات ، فمكونة الصحة وضع له مؤشر العمر المتوقع عند الولادة ، ومكونة التعليم وضع لها مؤشران ، الأول وهو معرفة القراءة والكتابة ، والثاني معدل التمدرس للمراحل الدراسية الثلاث، ومكونة الدخل ومؤشرها الدخل المحلي الإجمالي للفرد .

وقد جاءت هذه المبادرة بوضع الدليل السنوي للتنمية البشرية، بعد أن أظهرت التجارب منذ السبعينات من القرن الماضي، أن النمو الاقتصادي المرتفع في بعض البلدان النامية لم يقلل من أعداد الفقراء بل العكس تماما في بعضها ، ولم يكن قياس مؤشر نصيب الفرد من الناتج العام في الدلالة على التنمية وعلى توزيع الثروة بين السكان ، غير أن الدليل التركيبي للتنمية البشرية بمكوناته الثلاثة يوفر خلاصة أفضل عن مستوى التنمية بمختلف البلدان وهو ما لا نحصل عليه من خلال قياس نصيب الفرد من الدخل العام فقط .

ومع الاعتقاد ان هذه المؤشرات غير كافية في الكشف عن مستويات التنمية عامة والبشرية خاصة ، لان مفهومها اعمق واغنى من ان يقاس باي مقياس او حصره بمؤشرات محددة ، الا ان هذه المؤشرات افادت في تركيز الانتباه ، وتبسيط قياس التنمية البشرية ، اضافة الى عدم كفاية مؤشرات اخرى كالناتج المحلي على تقديم صورة عن مستوى التنمية البشرية .

وإزاء النقد الذي وجه إلى هذا الدليل حول عدم شموله لكافة أبعاد التنمية البشرية قدمت مقترحات بتعديله ، واستهدف إعلان الأمم المتحدة للألفية الصادر سنة ٢٠٠٠ تخفيف القيود المفروضة على قدرة الناس في الاختيار عن طريق معالجة الدخول غير الكافية ، والجوع الواسع الانتشار ، وعدم المساواة بين الجنسين ، والتدهور البيئي والافتقار إلى التعليم والرعاية الصحية والمياه النظيفة ، وان لم يهتم بتوسيع مشاركة الناس في القرارات التي تؤثر على حياتهم أو تزيد حرياتهم المدنية والسياسية .

لكن التقارير بعد ذلك ادخل عليها مؤشرات اضافية يمكن من خلالها قياس التنمية البشرية في البلدان ، منها ما يتصل بالجانب السياسي كالمشاركة والحرية والمساواة ، ومنها ما هو اقتصادي واجتماعي وماله علاقة بالبيئة والاستدامة ، وجوانب اخرى .

وقد عمل تقرير التنمية البشرية لسنة ٢٠٠٢ على تقييم مدى تقدم مختلف البلدان في التنمية البشرية على ضوء الأهداف المرسومة للتنمية في (إعلان الألفية) حيث صنف التقرير البلدان إلى خمسة أصناف[١] :

أ:بلدان حققت الهدف : وهي البلدان التي أنجزت الهدف المرسوم لسنة ٢٠١٥ .

ب: بلدان سائرة إلى تحقيق الهدف : وهي البلدان التي أنجزت ما لا يقل عن ٩٠% من التقدم الذي ينبغي تحقيقه خلال الفترة ١٩٩٠ ـ ٢٠٠٢ لبلوغ الهدف المرسوم لسنة ٢٠١٥ .

ج: بلدان متأخرة : وهي البلدان التي أنجزت ٧٠% و٨٠% من التقدم خلال الفترة المذكورة باتجاه ٢٠١٥ .

د: بلدان متأخرة جدا : وهي التي أنجزت اقل من ٧٠% من التقدم الذي ينبغي تحقيقه خلال الفترة ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٢ لبلوغ الهدف المرسوم لسنة ٢٠١٥ .

ه: بلدان متقهقرة : وهي التي انخفض مستواها ب ٥% على الأقل عما كان عليه سنة ١٩٩٠ .

[١] لبيب ، علي ، السكان والمستوطنات البشرية ، بحث منشور في الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، المجلد الثالث ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م

المحور الثالث: الاسلام والتنمية البشرية

الاسلام كدين يستهدف تطوير الانسان ، واخراجه من الضلال الى الهدى ، ومن الظلمات الى النور، ليستثمر فرصة حياته ليعيش افضل ما يمكنه في هذه الدنيا وينقلب الى الجنة في الاخرة ، وهذا ما يتفق فيه الاسلام مع التنمية البشرية في توجهها مباشرة للإنسان وجعله محورا لها ، بل فوق ذلك ينظر الاسلام للإنسان انه محور الكون ، وكل ما في هذا الكون مخلوق من اجله ، وما الدين الا الوصفة التي تمكنه من استثمار كل ذلك لصالحه .

فالإسلام ينظر الى التنمية البشرية ، انها : " تهدف الى تنمية الانسان وبيئته وثقافته وتطوير اوضاعه الاجتماعية ، وقد اعطى الاسلام الانسان اعلى المراتب حينما كرمه الله وامر الملائكة بالسجود له "[١] و " ان تكريم الانسان يشمل تفضيل الله اياه على المخلوقات الاخرى ، وهي بحسب النصوص الدينية : الجماد والنبات والحيوان والجن والملائكة "[٢] .

وما القضايا التي تطرحها التنمية البشرية كمكافحة الفقر والمرض والمساواة والعدالة والمشاركة والاستدامة ومساواة المرأة بالرجل من حيث الفرص الحياتية وغيرها ، الا اهدافا مشروعة وحقوقا يراها الاسلام ويحض عليها ، وتجد في تعاليمه ما ييسر الوصول اليها والعمل بها.

وقد حاول الجابري[٣] مقاربة الاسلام والتنمية البشرية من خلال ما تصوره من حقوق يفرضها الاسلام للإنسان ، وهي انعكاس للتكريم الالهي لهذا الانسان ، التي سبق الاسلام فيها مفهوم التنمية البشرية الحديث ، فوجد ان الاسلام يعطي الانسان حق الحياة، وحق التمتع بالحياة ، والحق في حرية الاعتقاد ، والحق في المعرفة ، والحق في الاختلاف ، والحق في الشورى ، والحق في المساواة ، والحق في العدل ، وحق الضمان الاجتماعي .

---

[١] العاني ، اسامة عبد الحميد ، المنظور الاسلامي للتنمية البشرية ، ص ٣٣ ، اتحاد كتاب وادباء الامارات ، دولة الامارات العربية المتحدة،٢٠٠٣م

[٢] الجابري ، محمد عابد ، الروافد الفكرية العربية والاسلامية لمفهوم التنمية البشرية ، بحث منشور في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي ، ص ٤٧ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥م

[٣] مفكر مغربي اهتم بالدراسات الاسلامية، ودرس في الجامعات الفرنسية.

ويخلص بالقول : " ونحن نعتقد ان التنمية البشرية في الوطن العربي والعالم الاسلامي يجب ان تجعل من مهامها الاساسية : تنمية التفكير في حقوق الانسان كما يقررها القرآن والحديث "[1] .

[1] الجابري، الروافد الفكرية العربية لمفهموم التنمية البشرية، ص ٧٢، مرجع مذكور.

المبحث السابع : تنميات أخرى

نتعرض في محاور هذا المبحث لبعض التنميات الاقل شيوعا في وسط الدراسات التنموية ، لكنها جديرة بالاهتمام في التخطيط لمشاريع التنمية اذا ما اردنا الأخذ بالنظرة الشاملة والمستدامة للتنمية ، ومن هذه الانواع من التنميات ، التنمية الثقافية والتنمية المستقلة والتنمية الادارية والتنمية الاسرية والتنمية الشخصية، نتعرض لكل واحدة منها في عنوان مستقل مع الالماح لدور الاسلام في دعهما.

المحور الأول: التنمية الثقافية

تتخذ الثقافة اكثر من معنى في التعريف ، فقد ينظر اليها على انها والحضارة امرا واحدا ، كما نظر الى ذلك الفلاسفة الالمان واقترب منهم الماركسيون مع اضافتهم صفات كالتاريخية والطبقية والعالمية على تعريفهم لمصطلح الثقافة ، بينما " التفسيرات الانجليزية والفرنسية فقد ظلت محافظة على التمييز القائم بين الثقافة والحضارة ، رغم انها ادرجت تأثير العقل والعلم والدين في سياق تأويلها للثقافة "[١] .

ويمكن لنا فهم الثقافة انها مجموع من المعلومات والعادات والتقاليد والتقنيات التي توصل اليها مجتمع ما في فترة معينة من تاريخ تطوره ، وهي " ترمز الى الهوية الخاصة بكل جماعة، في نفس اللحظة التي تكون فيها الثقافة علما موضوعيا يؤكد واقع التعدد والاختلاف في مواجهة الطبيعة الثابتة أو المركزية الثقافية "[٢] .

ومع ان السيادة الحضارية لامة ما يدفعها لمحاولة اذابة كل الثقافات المحلية وتحويلها الى ثقافة واحدة، هي ثقافة الحضارة المنتصرة ، الا ان تاريخ الشعوب والامم اثبت ان لكل مجموعة بشرية ثقافتها الخاصة التي تشكل هويتها ، وتنافح من اجل الابقاء على خصوصيتها الثقافية ومنع ذوبانها في الثقافات الاخرى .

---

[١] الشامي ، علي ، الحضارة والنظام العالمي ، اصول العالمية في حضارتي الاسلام والغرب ، ص٣٦ ، دار الانسانية ، بيروت ، ١٩٩٥م

[٢] المرجع السابق، ص ٤٥

وقد اشار حليم بركات الى ما اسماه بثقافة عربية مشتركة ومتنوعة في آن " وذلك في شتى مجالات الحياة اليومية، تستمد الثقافة العامة هذه من اللغة وآدابها، ومن الدين ، والعائلة، وانماط الانتاج المتشابهة، والتحديات، والنظام العام السائد، ووحدة التجربة التاريخية "[١] .

ولعلنا نفهم ان ما استدعى وجود التنمية الثقافية امران:

الأول : سعي المجتمعات للحفاظ على هويتها الخاصة في قبال ثقافات الامم المستعمرة والمهيمنة على الفضاء الحضاري لتلك المجتمعات . اذ تشير الدراسات المهتمة بموضوع التنمية الثقافية الى بروز مفهومها بعد حركة الاستقلال الوطني في افريقيا، " وكان مؤتمر باندونج الذي عقد عام ١٩٥٥ نقطة الانطلاق في موضوع التنمية الثقافية، ففيه ناقش المؤتمرون حق الشعوب في تقرير مصيرها، والتعايش السلمي، واحتمالات المستقبل، كما ناقشوا قضية استعادة الثقافات الافريقية "[٢] .

الثاني : الاستثمار الاقتصادي للمعطيات الثقافية في هذه المجتمعات، مما ينعكس على المحصلة العامة لإنتاج المجتمع، فقد " ظهر علم جديد يسمى علم اقتصاد التنمية الثقافية يستهدف معرفة افضل الوسائل لأسس العمل الاقتصادي في المؤسسات الثقافية أو ما يسمى بالصناعات الثقافية للجماهير وسوق الانتاج الفني والدعم المالي للفنون الجميلة والفنون المسرحية والانفاق العام والخاص في مجال الثقافة ، وفي ادارة الموارد الثقافية "[٣] .

يشار الى ان منظمة الأونسكو اعطت اهتماما مركزا للقضية الثقافية وعقدت عددا من المؤتمرات ووضعت فيها سياسة تنمية ثقافية اهتمت بغايات التنمية الثقافية ووسائل هذه التنمية ودور القطاع العام والقطاع الخاص في كل ذلك .

وفي تقديرنا ان الاسلام يدعم التنمية الثقافية وتطوير انماط الحياة ولا يعترض على العادات والتقاليد عند الشعوب الا اذا كانت تصطدم بشكل واضح مع الحقائق الدينية والعلمية ، الى ذلك تشير الآيتان الكريمتان :

---

[١] المجتمع العربي المعاصر ، ص ٥٠ ، مرجع مذكور.

[٢] التنمية اجتماعيا ثقافيا اقتصاديا سياسيا اداريا بشريا ، ص ١١٦ ، مرجع مذكور.

[٣] المرجع السابق، ص ١١٥

قوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ "[1]

وقوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ "[2] .

المحور الثاني: التنمية المستقلة

على عكس اكثر التنميات التي تم التعرض لها ، نجد ان الابحاث المتصلة بالتنمية المستقلة في حالة تراجع، بل ربما امكن القول مع بعض المهتمين بموضوع التنمية المستقلة، وبسبب التغيرات الكبيرة والمتسارعة على الصعيد العالمي، ان " فكرة التنمية المستقلة نفسها فكرة خيالية لا تخطر الا ببال المجازفين والحالمين، واصبحت بعيدة عن الواقع الأليم الذي تعيشه البلدان النامية، وبعض الدول المتقدمة ايضا ، في ظل النظام الدولي، لكنها تبقى هدفا حيويا يرتبط بحرية هذه البلدان وتماسكها واساس قوتها وتقدمها في المستقبل، اذ لا يمكن تصور الانجاز التنموي من دون اتسامه بالاستقلال "[3] .

ويرجع هذا التقهقر للتنمية المستقلة ، لما تكسبه العولمة من مساحات اضافية تنعكس بشكل تلقائي على قضايا التنمية ، وتدخلها في تفاصيلها ، فقد اصبح للعولمة كآلية اليوم ، " ابعادا عدة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ، الا ان البعد الاقتصادي للعولمة قد حظي باهتمام متزايد من الباحثين ، نظرا لما له من تداعيات وتأثيرات على غيره من المتغيرات ، فهي تشمل الى جانب التحرير المتزايد لتدفقات السلع ، تحركات واسعة لرؤوس الأموال عبر الحدود الوطنية للدول نتيجة الطفرة الهائلة في التطور التكنولوجي ، خصوصا في مجال الاتصالات والمعلوماتية ، الى جانب الاتجاه المتزايد نحو تدويل الانتاج بحيث اصبح العالم يبدو كسوق عالمي واحد تحكمه قواعد الاقتصاد الحر بشكل متنام ، وبحيث اصبحت اقتصادات الدول اكثر اندماجا في الاقتصاد العالمي

---

[1] البقرة/ ١٧٠

[2] المائدة/ ١٠٤

[3] فتح الله ، سعد حسين ، التنمية المستقلة المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج ، ص ١٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٥م

من خلال انفتاح الاسواق وتحرير تدفقات السلع والخدمات والاستثمار وانتشار المعلومات والافكار والثقافات "[١] .

وفوق ذلك فان المنحى التنموي يتجه اليوم نحو الاهتمام بالنمو الاقتصادي العالمي والتنمية العالمية ، وهو توجه يؤثر على التنمية المستقلة ، غير ان الفكرة الاساس التي قامت عليها التنمية المستقلة، ستبقى دائمة الحضور والحيوية ، بالنسبة لأي بلد يخطط للتنمية بشتى ابعادها ، ويتداخل فيها النظري والعملي ، ولابد له من تغليب الذاتي على الخارجي ، ليتميز حضاريا ، ويختط تنمية يمكن ان توصف بانها مستقلة حين تقارن بغيرها في بلدان اخرى ، فما التنمية المستقلة الا تعبير عن استثمار امثل لموارد ذاتية ، تكشف عن خصائص حضارية يتميز بها بلد من البلدان ، وتعطيه ميزة في ساحة التنافس العالمي .

وربما امكننا قراءة البدايات الأولى لفكرة التنمية المستقلة في الندوة التي عقدت في المكسيك في خريف ١٩٧٤م ، وتحت الرعاية المشتركة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، وحكومة المكسيك ، بعنوان : انماط استخدام الموارد واستراتيجيات البيئة والتنمية ، حيث شدد الاعلان " على حق البلدان في انتهاج طرق مختلفة للتنمية ، حسب أوضاعها التاريخية والثقافية وما الى ذلك من اوضاع أخرى .. والاعتماد في المقام الأول على الموارد الذاتية ، البشرية منها والطبيعية ، والقدرة على تحديد الأهداف واتخاذ القرارات بصورة مستقلة "[٢] .

ومع تطور الاهتمام بمفهوم التنمية المستقلة حصل شبه اتفاق بين المهتمين بها ، " انها تتمثل في اعتماد المجتمع على نفسه وتطوير قدرات افراده الخاصة مع اعطاء أولوية لتعبئة الموارد المحلية وتصنيع المعدات الانتاجية ، وبناء قاعدة علمية وتقنية محلية بكل مقتضياتها من نشر المعارف وتكوين المهارات ، وتأهيل الكوادر البشرية اللازمة لذلك "[٣] .

---

[١] الخواجة ، علا محمد ، العولمة والتنمية المستدامة ، بحث منشور في المجلد الأول من الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة ، ص ٤١٠ ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للعلوم - ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦م

[٢] غانم ، السيد عبد المطلب ، ادارة التنمية المستقلة ابعاد وتخوم جديدة ، بحث منشور في كتاب صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان : دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق ، ص ٧٨ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٨م

[٣] فتح الله ، سعد حسين ، التنمية المستقلة ، ص ٣٩ ، مرجع مذكور

غير ان الاعتماد على الذات في مفهوم التنمية المستقلة ، " لا يعني الانغلاق والعيش حد الكفاف ، وانما يفترض العمل على تأسيس القوة الذاتية لمواجهة هيمنة الدول المتقدمة في النظام الدولي ، والتي تقلص من حجم التعامل معها ، وتمكن البلد ، او مجموعة البلدان المتعاونة ، من

التعامل مع الخارج من موقع اقرب الى التكافؤ والندية بدلا من التبعية والضعف التي توسم تعامل البلدان النامية مع الدول المتقدمة بشكل عام "[١] .

المحور الثالث: التنمية الادارية

تعتبر التنمية الادارية مدخلا هاما لنجاح كافة انواع التنمية ، وهي تهتم بالدرجة الاولى بتطوير اداء المنظمات والمؤسسات الرسمية و الاهلية وفي القطاع العام و الخاص ، وهي " عملية تغيير موجه ومنظم ومستمر "[٢] ، تستهدف زيادة حيوية وفاعلية المنظمات والمؤسسات من خلال اعتاد الاساليب الادارية والتقنيات السلوكية المتطورة ، والارتقاء بالمهارات القيادية لدى المدراء في المنشئات والمنظمات .

والتنمية الادارية لا تقتصر على مستوى اداري معين بل تقدم الوصفات لكل العاملين في مجالات التنمية وفي اي بعد من ابعادها ، وقد برزت قيمة واهمية التنمية الادارية بعد الحرب العالمية الثانية بعد اتساع مشاريع تطوير البنى التحتية للبلدان التي خاضت الحرب والمشاريع التي قامت بها في البلدان الاخرى ، من قبيل مشروع مارشال في المانيا .

لقد فاقم كبر حجم المشروعات الحاجة للمدراء الاكفاء ، الذين يمكن لهم التصدي للمواقع الادارية العليا في تلكم المشروعات ، التي بدورها كانت تتطلب دقة متناهية وسرعة انجاز ، وتخصص في مختلف المجالات .

ان طبيعة الاعداد العلمي والتأهيل والتدريب لشاغلي الوظائف الادارية والتخصصية ، والطبيعة المتغيرة للوظائف الادارية تأثرا بالبيئة المحيطة ، و زيادة الدور الذي يقوم به الموظفون المساعدون ، وزيادة الطلب على الوظائف الادارية والتطور المعرفي والتكنولوجي ، كل ذلك ادى الى تعاظم الحاجة للتنمية الادارية ، وخطورة دورها وتأثيرها على التنمية بشكل عام ، و " تبرز اهمية التنمية الادارية في كونها الاداة التي تستطيع الدول من خلالها رفع كفاءة اجهزتها الادارية بما يكفل قيامها بمتطلبات خططها التنموية "[٣] .

---

[١] المرجع السابق ، ص ٤٤

[٢] التنمية اجتماعيا ثقافيا اقتصاديا سياسيا اداريا بشريا ، ص ١٥٧ ، مرجع مذكور.

[٣] زويلف ، مهدي حسن/ اللوزي ، سليمان احمد ، التنمية الادارية والدول النامية ، ص ٣ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ١٩٩٣م

لقد كان التعريف الاولي للتنمية الادارية بانها عملية تدريب الإداريين ، لكن هذا التعريف لم يكن جامعا مانعا لها، فجاء تعريف اخر لها ، بانها : " الجهود التي يجب ان تبذل باستمرار لتطوير الجهاز الاداري في الدولة سعيا وراء رفع مستوى القدرة الادارية عن طريق وضع الهياكل التنظيمية الملائمة لحاجات التنمية وتبسيط انظمته واجراءاته ومحاولة تنمية سلوك ايجابي لدى العاملين تجاه اجهزتهم وتحسين بيئة العمل التي تؤثر في الجهاز الاداري وتتأثر به ، وذلك لتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية بكفاءة عالية وباقل قدر من التكاليف "[1] .

واذا كان لنا من تعليق على هذا التعريف فهو عدم صحة حصر التنمية بالتنمية الاقتصادية، فالنظرة اليوم للتنمية اعم من التنمية الاقتصادية ، وتقديرنا ان التنمية الادارية تحتاج اليها كافة انواع التنميات لتؤتي ثمارها بأفضل ما يمكن . وهي تهتم بمعالجة المسائل الاجرائية الادارية ودراسة الوقت والحركة والبناء الهيكلي للوظائف وتطوير قدرات صنع القرار والمشاركة فيه والانماط السلوكية .

وكما وجدنا تعدد المداخل في التنمية السياسية ، كذلك نجدها في التنمية الادارية ، فهناك مساران لها، وهي المداخل التقليدية والمداخل الحديثة ، واذا كانت المداخل التقليدية تتضمن مدخلين هما المدخل القانوني والمدخل التنظيمي الاجرائي ، فان المداخل الحديثة تتعدد ، فمنها المدخل البشري ، ومدخل تنمية المنظمات ، ومدخل النظم ، ومدخل منهجية البحث العلمي . ولكل واحد من هذه المداخل طريقته الخاصة في التنمية الادارية .

---

[1] المرجع السابق، ص ٩

المحور الرابع: التنمية الشخصية

قليلة هي الدراسات الاكاديمية المنشورة عن التنمية الشخصية وهذا راجع لجدة هذا المجال من البحث في ساحة العلوم الاجتماعية وغيرها ، كما ان مفهوم هذه التنمية ليس من الوضوح والدقة بما يمكن الاعتماد عليه لتأسيس تصورات نظرية وعملية لتحقيقه في الواقع ، رغم وجود عدد من المعاهد والمراكز التي تتبنى التدريب والتعليم تحت مسمى التنمية الشخصية، او التطوير الذاتي، واغلب الاحيان تحت مسمى التنمية البشرية ، بمعناها الفردي ، لأنها تصب في المحصلة النهائية لصالح التنمية البشرية ، او لأنها تعبر عن تنمية للموارد البشرية .

والحق ان التنمية الشخصية مجال بالغ الاهمية في الحياة الانسانية ، لان المجتمعات ماهي الا تفاعل بين افراد، وحين يتطور هؤلاء الافراد بصورة واضحة ، لتحقيق رؤية ترسخت بداخلهم عن قناعة ، فان ذلك من دون شك سيقود لبناء مجتمعات قوية ومنسجمة ومتطورة ، وسيكون في المحصلة النهائية التنمية الحضارية التي يتبناها البحث ، كما في الفصل الاول من هذه الاطروحة .

اننا نجد في الديانات والفلسفات على مختلف مشاربها ، والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وربما غيرها ايضا ، ما يلفت النظر الى اهمية البناء الشخصي ، ويقدم بعضها تصورات نظرية لما ينبغي ان تكون عليه الشخصية الانسانية ، وكل ذلك يهيئ لتصور نظري يمكن الانطلاق منه لتأسيس علمي للتنمية الشخصية .

ان التنمية الشخصية او التطوير الذاتي ، هي العملية التي " تركز على اكتشاف قدرات ومهارات الانسان ، ثم تعظيم هذه القدرات والمهارات ، من خلال التعليم والتدريب واستخدام التقنيات الحديثة في الرقي بمستوى الانسان ، بما يحقق اهدافه سواء على المستوى الشخصي او المستوى العملي "[١] .

ان تطوير الشخصية يتطلب التعامل مع الجانب المعرفي في شخصية الانسان ، وتطوير قدراته ومهاراته المعرفية حيث ان " تحصيل المعلومات المتصلة بالبيئة المحيطة به ، على نحو

[١] محمد ، عبد الرحيم ، تنمية الذات بداية طريق النجاح ، الموقع الرسمي للدكتور عبد الرحيم محمد ، ٢٠١٢/٧/١٩، http://dr-ama.com/?p=687

يمكنه من فهم الوقائع وتقويمها وتفسيرها بصورة ملائمة ، واعادة تشكيلها وتطويرها بطريقة ابداعية ، تثري حياته الشخصية وحياة الآخرين من حوله "[١] .

كما تتطلب التعامل مع مهارات التواصل الاجتماعي ، فهو كائن اجتماعي يتعزز دوره بناء على تطوير هذه المهارات، ولابد لها من التعامل الانفعالات الشخصية وطريقة الاستجابة لمختلف الضغوطات التي يمر بها الانسان في حياته ، ويتفرع على ذلك تدربه على مهارات يحسن بها ادارة وقته و علاقاته وحياته .

وللتعامل مع كل هذه الابعاد في شخصية الانسان ، سيكون لزاما علينا الاستعانة بالأديان والعلوم والفلسفات الانسانية الخيرة ، وهذا ما سيمكن من رسم خارطة طريق للتنمية الشخصية .

واذا ما فتشنا عن دور الاسلام في التنمية الشخصية فسنجده داعما قويا لها ، بل محرضا عليها ومعتبرا لها بانها اس النجاح الفردي والمجتمعي ، يقول تعالى : " قد افلح من زكاها "[٢] والتزكية على ما مر سابقا ، تعني التطهير والتنمية ، وهي من متطلبات التنمية الشخصية الضرورية ، حيث قبل كل شيء لابد للإنسان من تطهير نفسه من المعوقات النفسية والمادية والمعنوية ، ثم بعد ذلك اكتساب كل المهارات والقدرات التي تفتح له الطريق نحو التطور والارتقاء في مختلف المجالات ، ولعل الفارق بين التنمية الشخصية التي يراها الاسلام وغيرها ، ان الاسلام يولي اهتماما كبيرا لتنمية البعد الروحي عند الانسان ، فيفرض عليه ممارسات عبادية تجعله دائم الارتباط بالله سبحانه وتعالى .

كما " عنيت السنة النبوية المطهرة بالعنصر البشري ، روحا وفكرا ، وعقيدة وسلوكا ، فكانت السامية بروحه ، والموجهة لفكره وعقيدته ، والمهذبة لأخلاقه وسلوكه ، وعنيت بتنمية الانسان تنمية شاملة ، ليقوم بالعبء المناط به من استخلاف الارض واعمارها ، مدركة ما به من مواهب وطاقات ، حباه الرحمن اياها "[٣] .

---

[١] السيد ، عبد الحليم محمود / فرج ، طريف شوقي/ يوسف ، جمعة سيد/ خليفة ، عبد اللطيف محمد/ محمود ، عبد المنعم شحاته ، الاسس النفسية لتنمية الشخصية الايجابية للمسلم المعاصر ، ص ٩ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، اتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م

[٢] الشمس/٩

[٣] يراجع التنمية البشرية في السنة النبوية دراسة موضوعية ، للباحثة سماح احمد الغندور ، المقدمة ، الجامعة الاسلامية - غزة ، ٢٠١١م

المحور الخامس: التنمية الاسرية

تشكل التنمية الاسرية " هدفا استراتيجيا بعيد المدى في التنمية الاجتماعية الشاملة . كما أن احاطة الاسرة بأسباب الاطمئنان وصيانة وتعزيز وجودها والارتقاء بنوعية هذا الوجود وفاعلية ادوارها تدخل في صلب استراتيجية الأمن الاجتماعي الوطني "[1]، ولا بد من القول هنا ان التنمية الاسرية كعملية لا تتوفر على مصادر اكاديمية يمكن الاعتداد بها ، وهي لم تعط الاهمية التي تستحق، رغم انها تقع في الطريق الى كل انواع التنميات ، ويمكن في ضوئها فحص صلاحية الموارد البشرية للمواقع القيادية في مشاريع التنمية بمختلف ابعادها.

وبرغم وجود مصطلح التنمية الاسرية في بعض الكتابات، والوسائل الاعلامية، الا ان الباحث لم يقع على تعريف لهذه التنمية ، و يمكن اعتبراها العملية او العمليات التي تقع في طريق تطوير الاسرة لتكون قوية ومتماسكة وفاعلة، وقادرة على الاستجابة لحاجات افرادها وتنميتهم على الصعيد الشخصي، ورفد المجتمع بالموارد البشرية المؤهلة للمساهمة الايجابية في مشاريع التنمية .

ولعل احد اسباب عدم الاهتمام اكاديميا بالتنمية الاسرية، النظرة الفلسفية التي قللت من دور الاسرة بل واعتبرتها سلبية في طريق التنمية، والحرية الشخصية، خصوصا بالنسبة للمرأة، وهي الفلسفة الاكثر رواجا في الغرب، وقد برز تيار اممي، يضعف من دور الاسرة التقليدية، ويدعو الى تجاوزه، اما بتغيير نمط العلاقة الداخلية في الاسرة، بحيث تصبح المرأة شريكا تاما مع الرجل في ادارة الاسرة وتحمل تبعاتها، فتتراجع سلطة الرجل لصالح المرأة، وتتزايد مساهمات انفاق المرأة لصالح الرجل ، واما بالدعوة لما اطلق عليه بالأسر الحديثة ، بحيث يمكن للعلاقة المثلية ان تشكل تكوينا ، يطلق عليه اسرة .

لكن هذا لم يمنع الدول الاسلامية، باعتبارها تنتمي لفلسفة ودين يعلي من الاهتمام بالأسرة، من التفكير والتخيط لبرامج تصب لصالح تنمية الاسرة وان لم يكن تحت هذا العنوان، فقد " نظم المكتب التنفيذي في المنامة خلال شهر مارس ١٩٩٤ ورشة عمل تدريبية خصصت لدراسة ومناقشة موضوع التخطيط الاجتماعي من اجل رصد وتلبية احتياجات الاسرة العربية الخليجية، حيث ابرزت نتائج اعمال الورشة بان مخططات العمل الاجتماعي مع الاسرة في اقطار مجلس

---

[1] التخطيط الاجتماعي لرصد وتلبية احتياجات الاسرة بين الاسس العلمية والتطبيقات العملية ، بمناسبة السنة الدولية لأسرة ١٩٩٤ ، ص ٩١ ، اصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية (٢٧) ، الطبعة الاولى ، المنامة ، ١٩٩٤م

التعاون الخليجي قد بلغت مستويات عالية من التقدم والتطور سواء على مستوى شمولية التوجهات والسياسات والمنطلقات ام على مستوى كفاءة التجهيزات والكوادر الوظيفية العاملة واتساع نطاق وامكانيات المؤسسات وتنوع البرامج والانشطة والخدمات المقدمة في مجال الاهتمام بشؤون الاسرة ورعاية افرادها "[١] .

وقد جاءت هذه الجهود بمناسبة السنة الدولية للأسرة، التي اعلنت عنها الامم المتحدة وخصصت لها سنة ١٩٩٤ ميلادية، فقد تبنت الامم المتحدة " العقود والسنوات والايام العالمية مثل يوم الطفل ، يوم المرأة، السنة الدولية للمعاقين، الاحتفال بالشباب، العقد العالمي للمرأة وغير ذلك . وقد تركزت معظم الانشطة في تلك المناسبات على قطاع معين وجاء الوقت الآن لتأطير كل هذه المواضيع في اطار واحد وتناولها ككل لا يتجزأ، وبما ان الاسرة هي المجال الذي يتم من خلاله خدمة كل تلك القطاعات مجتمعة ونظرا للقلق المتزايد الذي يبديه المجتمع الدولي على مستقبل الاسرة فقد وافقت الجمعية العمومية في اجتماعها الحادي والأربعين المنعقد عام ١٩٩٠ على اعتبار عام ١٩٩٤ عاما دوليا للأسرة "[٢] .

وبحسب مصطفى حجازي[٣] ، فان الاهتمام الدولي بالأسرة جاء ، " بعد تفاقم الآفات الاجتماعية في الغرب الذي عمل جاهدا طوال قرون على تحطيم الاسرة لصالح الفردية، وافراغها من معظم وظائفها النفسية والاجتماعية، وتفتيتها وصولا الى حالة تنذر بخطر القضاء عليها "[٤] .

وفي تصورنا الاولي ان الاسلام اعطى اهتماما بالغا بالأسرة لدورها الخطير في مستقبل التنمية الشخصية والمجتمعية، ويمكن لبحث مستقل ان يكشف عن دور البناء الاسري بحسب الشريعة الاسلامية في التنمية ، وحسب قناعة البعض " ان مفهوم الاسرة المسلمة مفهوم سماوي او مفهوم اجتماعي من الله ، فقد حدد الله اهداف الأسرة ووظائفها والحقوق والواجبات فيها والعلاقات بين افرادها "[٥] وهذا ما يستدعي لفت عناية القيادات التنموية للاهتمام بالتنمية الاسرية ، سيما مع بروز عدد من الظواهر التي تثير القلق بشان مستقبل الاسرة ، حيث أن " الاسرة في هذا العصر

---

[١] المرجع السابق، ص ٧

[٢] المرجع السابق ، ص ٢١ ، اعداد سبيكة النجار

[٣] رئيس قسم علم النفس بجامعة البحرين

[٤] التخطيط الاجتماعي لرصد وتلبية احتياجات الاسرة بين الاسس العلمية والتطبيقات العملية ، ص ١٧، مرجع مذكور.

[٥] مرسي ، كمال ابراهيم ، الاسرة والتوافق الأسري ، ص ١٧ ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠٠٨م

تواجه تحديات كثيرة تهدد كيانها بالاضطراب والاهتزاز ، وتسلبها مقومات دورها ، وعناصر القوة في وجودها "[1] .

وعليه " تحتاج مجتمعاتنا الى مؤسسات تعنى بالتنمية الاسرية ، لتنهض بمهمة الدراسة والتخطيط ، ووضع المناهج والبرامج ، واقتراح الحلول والمعالجات واستقبال حالات المشاكل الحادثة للمساعدة في احتوائها ومعالجتها "[2] .

[1] الصفار ، حسن موسى ، في التنمية الاسرية ، ص ٥ ، الطبعة الاولى ، اطياف للنشر والتوزيع ، القطيف ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢م

[2] المرجع السابق ، ص ٨

الفصل الرابع : التنمية في الاسلام

المبحث الأول: اي تنمية يريدها الاسلام.

المبحث الثاني: نظرة عامة للرؤية التنموية في الاسلام.

المبحث الثالث: متممات الرؤية التنموية.

المبحث الأول: اي تنمية يريدها الاسلام

وجدنا في الفصل السابق دعما من الاسلام لكافة مجالات وابعاد التنمية، بدءا من النمو الاقتصادي وختاما بالتنمية البشرية، وهذا يكشف ان الاسلام يدعم اي بادرة لتطوير العمران الانساني، فضلا عن تحول هذه البادرة الى مشاريع تنهض بمجال انساني محدد، او تستديم معه، لكن الادارة العلمية تتطلب تحديدا واضحا للمجال المستهدف من اجل صياغة استراتيجية تحققه بأقصر الطرق واقل الموارد و الاوقات، وهذا ما يتطلب منا معرفة اي تنمية يريدها الاسلام، لنتصور في ضوئها الخطوط العريضة لصوغ استراتيجياته، وهو ما سيناقش البحث في المحاور التالية:

المحور الأول: تنمية بشرية ام انسانية

الواضح من تعاليم الاسلام انه يريد توجيه كافة مشاريع التنمية لصالح الانسان، واذا كانت التجربة البشرية مع قضايا التنمية، قد وصلت في نهاية المطاف الى هذه النتيجة، وهي ان اي تنمية انما تكتسب قيمتها من خلال مردودها على الانسان، حتى درجت الامم المتحدة على اصدار تقريرها السنوي بعنوان التنمية البشرية، للتأكيد على كون هذه التنمية من الانسان وللإنسان، فان الاسلام من البدايات الأولى لنزول الوحي على رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه، قد اوضح ان كل شيء في هذا الكون لخدمة الانسان، بل حتى الاديان التي انزلها الله سبحانه وتعالى على رسله وانبيائه، انما جاءت لخدمة هذا الانسان بغية تزكيته وتطهيره وتنميته.

يقول تعالى: " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ظلال مبين "[1]

وحين الحديث عن التنمية التي تستهدف الانسان، فلا مناص من الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة تتصل بحياته، حيث ان النظرة الاستراتيجية للحياة، لا تغفل اي نقطة يمكن لها ان تساهم سلبا او ايجابا في مسيرة هذا الانسان، ولعل هذا ما جعل التقارير العربية الصادرة عن الامم المتحدة بشأن التنمية تتحول من لفظة البشرية الى التنمية الانسانية، لما قد توحي لفظة البشرية من اهتمام بالموارد البشرية من حيث انتاجيتها، او النظرة للإنسان ككائن منتج فحسب، واختيار لفظة الانسانية لما تشكله من ايحاء بالاهتمام الاشمل للإنسان بما هو انسان بشكل عام.

---

[1] الجمعة /٢

وقد عرفت التنمية الانسانية: " بانها عملية توسيع الخيارات. ففي كل يوم يمارس الانسان خيارات متعددة، بعضها اقتصادي وبعضها اجتماعي وبعضها سياسي وبعضها ثقافي. وحيث ان الانسان هو محور تركيز جهود التنمية، فانه ينبغي توجيه هذه الجهود لتوسيع نطاق خيارات كل انسان في جميع ميادين سعي الانسان."[١]

ولا يحتاج الباحث الى بذل جهد كبير للوقوف على الآيات التي تعلي من شأن الانسان وقيمته، وهنا امثلة لذلك:

قوله تعالى:" ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "[٢]

وقوله تعالى: " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا.."[٣]

وقوله تعالى :" الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير "[٤]

ويجدر القول هنا ان في القرآن الكريم سورة كاملة باسم الانسان "سورة الانسان"، في هذه السورة صورتان للإنسان، الصورة الأولى للإنسان الكفور، و الثانية للإنسان الشكور، وهي تمجد بموقف الشكور، وتعتبره انموذج الانسان الحضاري الذي يجسد الصورة المثلى للإنسان، وتطلق على المجسدين لهذه الصورة لفظة الابرار، وهي جمع بر، التي تعني التوسعة في الخير، وهذا يشير الى نوع التنمية التي يعنيها الاسلام ويريدها لاتباعه، انها التنمية التي تساهم في اسعاد الانسان ورفع المعاناة عنه، وكل ما عملت التنمية على ذلك، استحقت التقدير والاحترام.

وخلاصة القول: اذا كان كل ما في الكون مسخرا من اجل الانسان، فان اي تنمية يجب ان تصب في صالحه وتتوجه له بالدرجة الاولى لتعلي من شأنه وتعظم من سعادته، وهذا ما توصلت اليه التنمية البشرية من خلاصة، بعد مرورها بكافة مجالات وابعاد التنمية، ولا يضر الاختلاف

---

[١] تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢، ص ١٣، برنامج الامم المتحدة الانمائي- الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، المكتب الاقليمي للدول العربية، عمان، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠٠٢م

[٢] الاسراء/٧٠

[٣] البقرة/ ٣٤

[٤] لقمان / ٢٠

اللفظي الذي وقع بين الدراسات المهتمة بالتنمية، سيما باللغة العربية منها، في انها تنمية بشرية ام انسانية.

غير ان ما يجب ان نتوقف عنده هو النظرة للإنسان، اذ التنمية التي تستهدفه لابد ان تأخذ بعين الاعتبار ماهية هذا الانسان، والا فقد تتحول تنميته الى شيء ضده، وهذا ما يوقفنا الاسلام امامه بشكل جدي، ففي الوقت الذي اكد فيه على تسخير كل شيء من اجله، وحرث على اسعاده بالقول والفعل، واعلى من شأنه، فانه ركز بشكل واضح على طبيعة هذا الانسان الأولى وما به من نقاط ضعف، يمكن لها ان تعوق مسيرته التنموية على الصعيد الشخصي والحضاري.

وهذا ما نجده في الآيات التي تتحدث عن الانسان، حيث وردت ٥٦ مرة في القرآن الكريم، نذكر بعضا منها:

قوله تعالى: " يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا "[١]

قوله تعالى: " وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ"[٢]

قوله تعالى: " وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ "[٣]

قوله تعالى: " خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ "[٤]

قوله تعالى: " وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً "[٥]

قوله تعالى: " قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا "[٦]

---

[١] النساء/ ٢٨

[٢] هود/ ٩

[٣] ابراهيم/ ١٤

[٤] النحل /٤

[٥] الاسراء/ ١١

[٦] الاسراء/ ١٠٠

قوله تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا "[1]

قوله تعالى: " لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ "[2]

قوله تعالى: " إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا "[3]

هذه الآيات المباركات تشير الى طبيعة الانسان الأولى، اي ما قبل التربية والتعليم والتهذيب والتأهيل، فهو كائن ظلوم لابد من وضع اجراءات تحد من ظلمه، وكفور يحتاج الى اثارة عقله بصورة دائمة ليقدر ما به من نعم ويحترم من اعطاه اياها ومكنه منها، وخصوم يحتاج الى التدرب على التسامح والتعايش مع الاخرين، وكثير الجدال فيحتاج الى قواعد يلتزم بها لكي لا يتحول جدله الى هدف بحد ذاته، ويؤوس فيحتاج الى ما يذكره بصورة دائمة ان لا حياة مع اليأس، وافاق الحياة ورحمة الله اوسع من قنوطه، وهو قتور ما يدفعه لتعطيل الموارد بدل توظيفها، كما انه عجول فيحتاج الى التدرب على التأني، وهو مخلوق قلق، وهذا القلق يشكل القاعدة التي تستوي عليها كافة الاصابات النفسية فيحتاج الى قاعدة صلبة تبعث في قلبه السكينة والاطمئنان " الا بذكر الله تطمئن القلوب"، وفوق كل ذلك هو كائن ضعيف، فيحتاج للتمسك بعقله ليتدبر به التغلب على ضعفه.

وهذه الطبيعة الأولى في الانسان قد لا تشكل خطرا على التنمية ومشاريعها اذا اقتصرت على افراد محددين يمكن اتخاذ بعض الاجراءات لعزلهم الى حين تأهيلهم، وارتفاع الرشد عندهم، غير ان الخطورة تكمن في تحول بعض هذه النقاط الى حالة عامة، قد تطبع مجتمعا بأكمله، وهذا ما اشارت اليه بعض الآيات المباركات، حين ركزت على ما يتصف به اكثر الناس، من عدم الايمان والكفر وعدم الشكر والجهل.

يقول تعالى: " المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ "[4]

---

[1] الكهف/ ٥٤

[2] فصلت/ ٤٩

[3] المعارج/ ١٩

[4] الرعد/ ١

ويقول تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا "[١]

ويقول ايضا: " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ "[٢]

ويقول جل اسمه: " لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[٣]

هذه الملامح السلبية في هذا الانسان، لابد ان تؤخذ في الاعتبار بصف عناصر القوة حين التفكير في برامج تنميته وتطويره، وعلى حد تعبير الاسلام تزكيته التي تعني تطهيره من المعوقات النفسية والمعنوية والمادية والبناء على قاعدة نظيفة لا تشوبها شائبة.

وبحسب تعبير العقاد: " وفيما ذكر فيه الانسان من آيات الكتاب وصف له، وهو في الذروة من الكمال المقدور بما يستعد له من التكليف، ووصف له وهو في الدرك الاسفل من الحطة التي ينحدر اليها بهذا الاستعداد، وكل هذه الآيات توسع مفصل فيما ورد من نصوص الامر والنهي والعظة والتذكير والثواب والعقاب، فالإنسان اكرم الخلائق بهذا الاستعداد المتفرد بين خلائق السماوات والارض من ذي حياة او غير ذي حياة."[٤]

---

[١] الاسراء/ ٨٩

[٢] غافر /٦١

[٣] غافر/ ٥٧

[٤] العقاد، عباس محمود، الانسان في القرآن، ص١٢، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ

المحور الثاني: الحياة في مفهوم الاسلام

يطلق الاسلام على الحياة التي نعيشها بالحياة الدنيا، ففي واحد وستين موضعا منه، اضاف لفظة الدنيا للحياة، لكي يركز في الاذهان مفهومه الخاص لهذه التجربة الانسانية التي نعيشها على وجه الارض فترة من الزمن افرادا وجماعات، ثم نغادرها عبر بوابة الموت، وبلغة قاطعة يؤكد القرآن الكريم على الموت، مخاطبا افضل الخلق بقوله تعالى: " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ "[١]. ثم يعقبها مباشرة بقوله تعالى: " ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ "[٢]

وهو ما يشير الى حياتين، هذه الحياة التي نعيشها، وحياة اخرى بعد موتنا، بل تنقل آية على لسان الذين لم يكونوا يصدقون بتلك الحياة، صدمتهم وندمهم على نظرتهم القاصرة للحياة وتمنيهم العودة من جديد لهذه الحياة الدنيا لعلهم يعملون فيها بخطة مختلفة عن ما مضى منهم، يقول تعالى على لسانهم: " قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ "[٣]

بل يستشعر من القرآن الكريم ان هنالك نوعا من حياة للكائن البشري سبقت هذه الحياة، بحسب قوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ "[٤]

فالشهادة والقول تعكس نوع حياة، وان كان تصوره بحاجة الى منطق خاص، وقد نقل صاحب تفسير الامثل نظرية لدى بعض المفسرين حول هذه الحياة، تقول: " حين خُلق آدم ظهر أبناؤه على صورة الذّر إلى آخر نسلِ له من البشر "وطبقاً لبعض الرّوايات ظَهرَ هذا الذّر أو الذرّات من طينة آدم نفسه" وكان لهذا الذرّ عقلٌ وشعور كافٌ للاستماع والخطاب والجواب، فخاطب الله سبحانه الذرّ قائلا (الستُ بربّكم) ؟!... فَأجاب الذرّ جميعاً: (بلى شهدنا)."[٥]

وعليه يمكن تصور حياة الانسان من ثلاث مراحل، مرحلة الذر ومرحلة الحياة الدنيا ومرحلة الأخرة، وما يهمنا هو أخذ هذا المفهوم في الاعتبار لفهم برامج التنمية التي ارادها الاسلام

---

[١] الزمر/ ٣٠

[٢] الزمر/ ٣١

[٣] غافر/ ١١

[٤] الاعراف / ١٧٢

[٥] الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، ج٥، ص١٧٩، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

للإنسان في هذه الحياة، والتي قد تلتقي وقد تختلف مع البرامج التي يخطط لها للتنمية هنا وهناك، ان على الصعيد الشخصي او المجتمعي او الحضاري.

وفي ضوء ذلك يمكن ايضا فهم الصورة التي يرسمها القرآن الكريم للحياة الدنيا، حين يجعلها هدف طريق وليس هدفا نهائيا، ويقارن في اغلب الآيات التي يتحدث عنها، بينها والحياة الاخرة، التي هي ما ينبغي ان يكون هدفا نهائيا للإنسان حيث الخلود والاستمرار، فالحياة الدنيا مقارنة بالأخرة، متاع قد يغري الانسان، وهي اشبه بلعبة او تسلية سرعان ما تنقضي، ومتعتها قصيرة مهما طالت حياة الانسان في قبال متعة الحياة الأخرة، وعليه فان الحياة الحقيقية - الحيوان بتعبير القرآن الكريم - هي الحياة التي سيعيشها الانسان بعد الموت وليست هذه الحياة، لكن خطورة الحياة الدنيا على ما قيل عن ضآلتها في قبال الأخرة، ان الانسان فيها، يرسم نوع حياته في الدار الأخرة، فهو يكتب خطته الحياتية هنا في الدنيا، ليعيشها مردودها في الأخرة، ونوع تنمية شخصيته ومجتمعه وحضارته ستنعكس عليه هناك في الأخرة.

يقول تعالى في وصف الحياة الدنيا: " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ "[1]

وفي آية ثانية: " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "[2]

وفي آية اخرى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ "[3]

ويقول ايضا جل وعلا: " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "[4]

---

[1] ال عمران / ١٨٥

[2] الانعام /٣٢

[3] التوبة / ٣٨

[4] العنكبوت /٦٤

وفي تمثيل حسي للحياة الدنيا، يمكن للإنسان فهمه، والتعامل مع هذه الحياة على اساس منه، يقول عز وجل: " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا

يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[1]

وفي آية تشبهها في التمثيل، يقول تعالى: " وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا "[2]

والهدف من التمثيل الحسي للحياة الدنيا، لكي لا يضيع الانسان الهدف النهائي، تحت تأثير الاهداف القصيرة، اذ ان الاغراءات في هذه الحياة قد تشعر الانسان انها غايات في حد ذاتها، فيحذر القرآن الكريم من مغبة الوقوع في تضليل الاهداف القصيرة على حساب الحياة الحقيقية في الأخرة، وهذا ما نجده واضحا في قوله تعالى: " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "[3]

فهذه الحياة الدنيا، التي هي خليط من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، تشبه المطر الذي ينزل على الارض فتنبت الزرع الذي لا تطول دورته الحياتية، ثم تعود الارض جرداء، وهناك من الناس من يستثمره وهناك من يهمله، وفي كلا الحالتين لا يبقى، لكن كيفية الاستثمار هي التي تنفع الانسان، في قادم ايامه، فإما رضوان من الله للذي احسن الاستثمار او العذاب الشديد، لمن اهمل، واي كان فالآية تؤكد على فكرة قصر الدورة الحياتية للإنسان، وتحذر من سوء استثمارها، وهو ما نجده واضحا ايضا في قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ "[4]

ومن دون شك ان التنمية الفردية والمجتمعية والحضارية، هي افضل حالة استثمار لهذه الحياة، وهو ما دعا اليه القرآن الكريم، تحت عناوين متعددة، تعرض البحث لها في الفصل الاول من هذه الاطروحة، كالتزكية والاعمار والخلافة، والاحياء والفلاح.

---

[1] يونس/ ٢٤

[2] الكهف /٤٥

[3] الحديد / ٢٠

[4] الروم / ٥٤

المحور الثالث: دور الرؤية في التنمية

لا يمكن حصول تنمية من دون رؤية مستقبلية، فالتنمية عملية تتم وفق تصور مسبق، وهي ضرورية للأفراد والمجتمعات والامم في سبيل التطور، بل ان العظماء في تاريخ البشرية والمجتمعات المتقدمة والحضارات الرائدة، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا لوجود رؤية مسبقة عندهم لما يتطلعون اليه، " فلقد كانت لكل حضارة قديمة رؤية، ولكل دولة قوية رؤية، بل لقد اقترن وجودها دائما بالمضي قدما الى الامام، حتى اننا اذا انتقلنا الى المستوى الفردي فسوف نجد انه ما من مفكر مرموق او فيلسوف او عالم فذ او فنان ذائع الصيت، الا وقد وقفت وراء اعماله رؤى شاملة وتأملات عميقة."[١]

والرؤية بمنزلة الرأس في التفكير الاستراتيجي، وهي القاطرة التي تقود العمليات الادارية للتنمية للأمام، ومن دون تفكير استراتيجي لا تتم تنمية، وهي تأخذ حيزا مهما في تخطيط المؤسسات والمنظمات والدول، بغض النظر عن حجمها والامكانيات المتاحة لديها، وهي: " ذلك التصور الشامل والالمام الكامل بكافة جوانب ما نتصدى له، فهي تعني بالضرورة الاتجاه نحو المستقبل، كما انها تشير دائما الى خصوبة الخيال الذي نستشرف به ملامح الغد."[٢]

ومثل بعض المفكرين للرؤية " بالأحلام المطلوب تحقيقها، والآمال العامة والعريضة التي يسعى الفرد او المنظمة - ويمكن القول ايضا والدولة - الى تحقيقها في الأجل الطويل."[٣]

ويصف اخر الرؤية بالرؤية الاستراتيجية، ويعتبرها بالنسبة للمؤسسة، هي :" المسار المستقبلي للمؤسسة الذي يصل بالمؤسسة الى المكانة المستهدفة من كافة الابعاد ومن وجهة نظر كل الاطراف، وهذا المسار المستقبلي هو الذي يحدد الوجهة التي ترغب المؤسسة في الوصول اليه، والمركز السوقي الذي تنوي المؤسسة تحقيقه، ونوعية القدرات والامكانات التي تخطط المؤسسة لتنميتها، ونوع وعمق العلاقات التي ترغب في بنائها وتنميتها."[٤]

---

[١] الفقي، مصطفى، الرؤية الغائبة، ص ٨، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م

[٢] المرجع السابق، ص ٧

[٣] الصيرفي، محمد، الادارة الاستراتيجية، ص١٦٢، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٨م

[٤] ابو بكر، مصطفى محمود / النعيم، فهد بن عبد الله، الادارة الاستراتيجية وجودة التفكير والقرارات، ص ٤٦٥، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٨م

والمراجع لتعاريف الرؤية، يجد " أن اغلب التعاريف الخاصة بالرؤية تركز على كونها صورة ذهنية للمستقبل المرغوب. وهي وصف لمجموعة من الغايات والاسبقيات ومجموعة من المبادئ الجوهرية التي توجه المنظمة – او الافراد والمجتمعات والامم – ومجموعة واسعة من المعايير التي تساعد على تعريف النجاح المنظمي "[١]

ويعتبر بعض " ان الرؤية المستقبلية توفر الارشاد بشأن الاساس الذي يجب المحافظة عليه، وتصور المستقبل الذي ينبغي حث خطى الاعمال تجاهه، ووفقا لمنظور اكثر تحديدا يعبر عن الرؤية ضمن المنظور الاستراتيجي بكونها تشير الى مجموعة من المقاصد التي تكون واسعة وشاملة، وباتجاه التفكير لتصف اكتشاف المستقبل مع خصوصية الوسائل التي يتم استخدامها لتحقيق النهايات المرغوبة."[٢]

وانك لتجد الرؤية في رأس هرم التخطيط الاستراتيجي، ففي خطوات التخطيط والتنفيذ لأي استراتيجية لأي دولة او منظمة، يعتبر القادة القائمون بذلك، ان الرؤية " تعبر عن تطلعات القيادات العليا في المنظمة – او الدولة – بشأن المكانة (الوضع) الذي يرغبون ان تصل اليه المنظمة في المستقبل."[٣]

وتكمن اهمية الرؤية بالنسبة للتنمية في كونها تولد المهمة او الرسالة التي يفترض القيام بها خلال فترة زمنية، وهي اي المهمة بدورها تستوجب وجود اهداف محددة تعمل الاستراتيجية على تحقيقها وفق الامكانات المتاحة والزمن المتوقع.

وبالنسبة للإسلام فانه يضع رؤية واضحة للأفراد والاسر والمجتمعات والامم، ويرتب عليها مهام واضحة، والذي يحتاجه كل جيل، الشروع في تفاصيل الرؤية والمهمة او الرسالة وتحديد الاهداف وصياغة الاستراتيجيات، فرؤية الاسلام التي تصلح لكافة المستويات، هي النجاح والسعادة في الدنيا والفوز بالجنة في الاخرة، واذا كانت الأخرة هي حصاد الدنيا كما اسلفنا، فان ما ينبغي استنطاقه من القرآن الكريم هو ما يقدمه من بصيرة حول النجاح في هذه الدنيا، وكيف يفترق الاسلام عن الفهم السائد عن موضوع النجاح والتفوق ؟.

---

[١] رشيد، صالح عبد الرضا / جلاب، احسان دهش، الادارة الاستراتيجية مدخل تكاملي، ص ١٦٩، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٨م

[٢] الظاهر، نعيم ابراهيم، الادارة الاستراتيجية المفهوم الأهمية التحديات، ص ٢٦١، عالم الكتب الحديثة، اربد، الاردن، ٢٠٠٩م

[٣] شريف، علي / مسلم، علي عبد الهادي / منير، محمد، الادارة المعاصرة، ص ١٧٧، دار الفكر الاجتماعي، الاسكندرية، ٢٠٠٨م

والحق انه لا توجد كلمة النجاح في القرآن الكريم، ولا أي كلمة مشتقة من الجذر نجح، وهذا ما يدفع البعض للقول أن القرآن الكريم لم يعن بموضوع النجاح، وأن محاولة استنباط ثقافة النجاح من القرآن الكريم تكلف مفضوح، لكن هذا الإدعاء يضمحل حين نراجع المعنى اللغوي لكلمة النجاح، ومقاربتها بما يعطي معناها في القرآن الكريم.

قال في لسان العرب: "النُجح والنجاح الظفر بالشيء، ويقولان عن معنى كلمة الفوز التي تعطي معنى النجاح أنه: النجاة والظفر بالخير، أو النجاء والظفر بالأمنية والخير."[١] أما الكلمة الأخرى التي تعطي معنى النجاح في القرآن الكريم، فهي كلمة الفلاح و: " الفلح والفلاح الفوز بما يغتبط به وفيه صلاح الحال، أو هو الفوز والنجاة والبقاء في النعيم الدائم"[٢] والتأمل في المعاني اللغوية للكلمات الثلاث يرينا أن كلمة الفلاح تختزن بداخلها كلمتي النجاح والفوز، وتعطي معنى أشمل وأوسع من الكلمتين. حيث أننا نجد أن أي فلاح هو نجاح ولكن ليس كل نجاح فلاح .

من هنا نجد أن الراغب الأصفهاني يعطي كلمة الفلاح معنى دنيويا - وهو ما يطابق النجاح - وآخر اخرويا، حيث يقول في غريب مفردات القرآن: "الفلاح الظفر وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيوي واخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز، وفلاح أخروي وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل"[٣].

وبهذا المعنى يكون الفلاح في الدنيا هو السعادة والنجاح الذي ينشده ويتطلع اليه الناس " كرؤية" سواء على الصعيد الفردي أو المجتمعي أو الحضاري، والفلاح في الآخرة هو الفوز بالجنة التي يطمح فيها كل المؤمنين بالرسالات السماوية، ولعل هذا المعنى هو ما جعل المفسرين للقرآن الكريم يساوقون بين الفلاح والنجاح، ويفسرون كلمة "المفلحون" بالناجحين.

يقول الطبري في قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"[٤] قال: "أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله، من الفوز بالثواب، والخلود في الجنان.. ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنه: أي الذين أدركوا ما

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، باب نجح، مرجع مذكور

[٢] المصدر

[٣] الاصفهاني، الراغب، مفردات الفاظ القرآن في غريب القرآن، ص ٣٨٥، المكتبة المرتضوية، قم، ايران، ١٣٧٣ه.

[٤] البقرة /٥

طلبوا ونجو من شر ما منه هربوا.[1]" وفي تفسير الآية ١٣٠ من سورة آل عمران، "واتقوا الله لعلكم تفلحون"،قال: "لتنجحوا فتنجوا من عقابه وتدركوا ما رغبتم فيه من ثوابه، والخلود في جنانه."[2]

وفي تفسير ابن كثير، قال: " أولئك هم المفلحون: أي المنجحون."[3]

وخلاصة هذا الفهم اللغوي للكلمات الثلاث:

الف: أن كلمة النجاح بحسب المتداول تعني النجاح المحدود في مضمار معين، أو النجاح في تحقيق تطلع في حدود الحياة الدنيا. وهي كلمة لم تستخدم هي ولا مشتقاتها في القرآن الكريم.

باء: أن كلمة الفلاح التي استعملها القرآن الكريم كجذر لأربعين لفظة وردت فيه، تعني النجاح المستمر من الدنيا إلى الآخرة، وهو أيضا النجاح الشامل لكافة مناحي حياة الإنسان. وبذلك فان كلمة الفلاح تتضمن بداخلها معنى النجاح وليس العكس.

جيم: أن كلمة الفوز والتي تعني النجاح أيضا، استعملت في القرآن الكريم للتأكيد على أن النجاح النهائي والحقيقي هو ما انتهى بالفلاح في الآخرة، " كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور[4]."

دال: بالنظر للمعنى المضاد لهذه الكلمات الثلاث نجد كلمة واحدة يمكنها أن تقابلها جميعا، مما يعني اشتراكها اللغوي، وهي كلمة "الخسر والخسارة" والتي تعني النقصان والضياع، وفي القرآن الكريم مقابلة واضحة بين كلمتي الفلاح والخسارة.

يقول تعالى: "فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون"[5]

---

[1] تفسير الطبري للآية ٥ من سورة البقرة، مرجع مذكور.

[2] تفسير الطبري للآية ١٣٠ من سورة آل عمران، مرجع مذكور.

[3] ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٧، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م.

[4] ال عمران / ١٨٥

[5] المؤمنون / ١٠٢- ١٠٣

وينبغي القول هنا انه في ضوء هذه الرؤية تجسدت رسالة الامة الاسلامية وصيغت اهدافها، حيث كانت مهمتها ان تكون جهة مرجعية لكافة الامم، وقد تجسدت هذه المهمة والرسالة في زمن رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهو ما يمكن التطلع اليه في اي فترة تاريخية من قبل كافة المسلمين او بعض منهم.

نجد هذا الفهم فيما اورده بعض المفسرين للقرآن الكريم لقوله تعالى: " وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.. "[1]

فمهمة هذه الامة ان تكون مثالا تقتدي به البشرية، بمختلف توجهاتها، وترى في طريقتها في الحياة وفي انشطتها وبرامج تنميتها ما يستحق الاقتداء والاتباع، وبذلك تكون في مقدمة الركب الحضاري عند البشر" فإن كون الأمة وسطا إنما يصحح كونها مرجعا يرجع إليه الطرفان – اليمين واليسار في اي مجال - وميزانا يوزن به الجانبان."[2]

وشهادتها على النّاس، وشهادة النّبي عليها "قد تكون إشارة إلى الأُسوة والقُدْوَةِ، لأن الشاهد يُنتخب من بين أزكى النّاس وأمثلهم، فيكون معنى هذا التعبير القرآني أن الأُمّة المسلمة نموذجيّة بما عندها من عقيدة ومنهج، كما أن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرد نموذجيّ بين أبناء الأُمّة."[3]

---

[1] البقرة/ ١٤٣

[2] الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص322، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، قم، ايران، 1973م.

[3] الشيرازي، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل، ج1، ص 357، الطبعة الأولى، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992م.

المبحث الثاني : نظرة عامة للرؤية التنموية في الاسلام

الفلاح هو الرؤية التنموية التي يقدمها القرآن الكريم للأفراد والمجتمعات والحضارات، وهو ما يتطلب من المهتمين الكشف عن تفاصيل هذه الرؤية في القرآن الكريم، و ما سنحاوله في عدد من المحاور في هذا المبحث، هو التوقف عند الآيات التي تلقي الضوء على هذه الرؤية لفهم بصيرتها.

المحور الأول: سلم التنمية في ضوء الرؤية القرآنية

أربعون كلمة مشتقة من لفظة فلح وردت في القرآن الكريم، ومن هذه الآيات الأربعين يتشكل سلم من أربع مجموعات، واحدة لا نصيب لها من التنمية وتخسر حياتها في الدنيا والأخرة لأنها تقف على الطرف السلبي من هذا السلم، وثانية في بداية السلم يتوقع لها النجاح في التنمية ان عملت بشروطها ومبادئها وسياساتها وقيمها ومهاراتها، وثالثة في حركة تصاعدية في التنمية، وهم المرشحون لقيادة عمليات التنمية، الا انهم لم يصلوا بعد الى تحقيق الغايات النهائية للتنمية التي يريدها الاسلام، ورابعة يعتبرها القرآن الكريم قد حققت التنمية المنشودة وقد استقرت في القمة.

المجموعة الأولى القابعة على الطرف السلبي من السلم، هم الذين يستحيل عليهم الفلاح، وهو ما يعني ان لا امل للتنمية بهم و معهم طالما اتصفوا بالصفات التي يذكرها القرآن الكريم في هذه المجموعة من الآيات، والاسلام يعتبر هؤلاء من الخطوط الحمر التي لا يمكن التسامح معهم في قيادة عمليات التنمية. نرى في هذه المجموعة احدى عشرة آية تتحدث عن خمس مجموعات بشرية، وهي تتصف بالظلم والكفر والكذب والسحر والإجرام، وقد وردت في الآيات التي بها لفظتي لا يفلح ولا يفلحون.

وفيما يلي آيات هذه المجموعة مرتبة بحسب ما وردت في القرآن الكريم:

قوله تعالى:" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[1]

قوله تعالى: " قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[2]

---

[1] الانعام / ٢١

[2] الانعام / ١٣٥

قوله تعالى: " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ "[١]

قوله تعالى: " قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ "[٢]

قوله تعالى: " قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ "[٣]

قوله تعالى: " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[٤]

قوله تعالى: " وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ "[٥]

قوله تعالى: " وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى"[٦]

قوله تعالى: " وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ "[٧]

قوله تعالى: " وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[٨]

قوله تعالى: " وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ "[٩]

---

[١] يونس / ١٧

[٢] يونس / ٦٩

[٣] يونس / ٧٧

[٤] يوسف / ٢٣

[٥] النحل / ١١٦

[٦] طه / ٦٩

[٧] المؤمنون / ١١٧

[٨] القصص / ٣٧

[٩] القصص / ٨٢

المجموعة الثانية: وهم الذين يتوقع لهم النجاح في مشاريع التنمية، إذ أنهم في بداية الطريق اليها، و الأمر يعتمد بالدرجة الأولى على جدارتهم وجديتهم في توفير شروط تحققها بحسب القرآن الكريم، ومواصلة الدرب والتمسك بالأصول والمبادئ للنجاح ومقوماته، ووفروا في انفسهم المهارات الضرورية لصناعة التنمية.

تقابلنا في القرآن الكريم اثنا عشر آية، تتحدث عنهم، وهي الآيات التي تنتهي بجملة "لعلكم تفلحون" أو "عسى أن يكون من المفلحين". ولفظة لعل تفيد ان الأمر يعتمد عليهم بالدرجة الأولى في الوصول الى اهداف التنمية، اما الله عز وجل فقد هيئ الامور بما يؤدي الى التنمية المنشودة، بحسب ما نفهم من تفسير بعض المفسرين للفظة لعل، فهي على الله بالتأكيد والتحقيق وعند الناس بالترجي، وكذلك الأمر بالنسبة لعسى، وهنا استعراض للآيات التي تحدد هذه المجموعة:

قوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[١]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٢]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٣]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٤]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٥]

قوله تعالى: " قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٦]

---

[١] البقرة / ١٨٩

[٢] ال عمران / ١٣٠

[٣] ال عمران / ٢٠٠

[٤] المائدة / ٣٥

[٥] المائدة / ٩٠

[٦] المائدة / ١٠٠

قوله تعالى: " أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[1]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ "[2]

قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[3]

قوله تعالى: " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[4]

قوله تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[5]

قوله تعالى: " فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ "[6]

---

[1] الأعراف / ٦٩

[2] الانفال / ٤٥

[3] الحج / ٧٧

[4] النور / ٣١

[5] الجمعة / ١٠

[6] القصص / ٦٧

المجموعة الثالثة: وهي المجموعة التي يعتبرها القرآن الكريم في تنمية متواصلة، وفي تصاعد مستمر باتجاه القمة لتحقيق التنمية المنشودة، من خلال الالتزام المتواصل بالمبادئ والقيم والالتزامات التي تحافظ على تواجدهم الدائم في طريق التنمية المنشودة، وهنا تقابلنا كذلك اثنا عشرة آية كريمة في كتاب الله جل وعلى. وهي الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: "أولئك هم المفلحون". وفيما يلي آيات هذه المجموعة:

قوله تعالى: " أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[1]

قوله تعالى: " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2]

قوله تعالى: " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[3]

قوله تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[4]

قوله تعالى: " لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[5]

قوله تعالى: " فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[6]

---

[1] البقرة / ٥

[2] ال عمران / ١٠٤

[3] الاعراف / ٨

[4] الاعراف / ١٥٧

[5] التوبة / ٨٨

[6] المؤمنون / ١٠٢

قوله تعالى: " إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[١]

قوله تعالى: " فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٢]

قوله تعالى: " أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٣]

قوله تعالى: " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٤]

قوله تعالى: " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٥]

قوله تعالى: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٦]

والمجموعة الرابعة: هي التي وصلت إلى القمة في سلم الفلاح والتنمية واستقرت فيها، وهنا تقابلنا ثلاث آيات تتكلم بلغة القطع والتحقق، وهي الآيات التي تبدأ بأداة التأكيد والتحقيق "قد"، وهذه هي الآيات الكريمات:

---

[١] النور / ٥١

[٢] الروم / ٣٨

[٣] لقمان / ٥

[٤] المجادلة / ٢٢

[٥] الحشر / ٩

[٦] التغابن / ١٦

١- قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ "[١]

٢- قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى "[٢]

٣- قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا "[٣]

ولكي تكون رؤيتنا واضحة لسلم الفلاح، والذي هو سلم التنمية بحسب تصور الباحث لمفهوم الاسلام للتنمية، يجب علينا أن نقرأ الآيات في سياقها الذي جاءت فيه في القرآن الكريم، لا أن نتعامل معها معزولة عنه. ولابد من ملاحظة اننا استثنينا آية واحدة وردت فيها لفظة افلح من سلم التنمية هذا لكون القرآن الكريم ينقلها عن لسان المستكبرين حكاية، ولا يؤكدها حقيقة، بمثل الآيات التي تشكل سلم التنمية، وهي قوله تعالى : " فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى "[٤]

كما استثنينا الآية ٢٠ من سورة الكهف التي وردت فيها لفظة تفلحوا لذات السبب، وهي قوله تعالى: " إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوَاْ إِذاً أَبَداً "[٥]

المحور الثاني: معوقات التنمية

ان من مهام الرؤية ان تقدم ارشادا لما ينبغي تجنبه لعدم الوقوع في المخاطر وانتكاس ما نصبوا الوصول اليه، وتضع ما يشبه الخطوط الحمراء التي ينبغي الوقوف دونها لتتحقق الرؤية المرغوب فيها، وهذا ما نجده في المجموعة الأولى في سلم التنمية والفلاح اعلاه، حيث نجد صفات للذين تستحيل التنمية معهم، وهم خمس فئات بشرية، الكذابون والكفرة والسحرة والمجرمون والظالمون، نسلط الضوء عليهم في هذا المبحث، للتأكيد على استحالة التنمية معهم، ما يعني الدقة والحذر من تصدي مثل هؤلاء لمشاريع التنمية في المجتمعات البشرية، فضلا عن خطورة تلبس اي مجتمع بهذه الصفات المعوقة والمدمرة لأي فرصة تنموية.

---

[١] المؤمنون / ١

[٢] الأعلى / ١٤

[٣] الشمس / ٩

[٤] طه / ٦٤

[٥] الكهف / ٢١

اولا : لا تنمية مع الظلم

الظلم للنفس أو الآخرين يجعل عملية النجاح الشخصي والمجتمعي محفوفة بالتهديد الدائم ومن ثم الفشل الذريع، ثم سقوط اي مشروع تنموي، وظلم النفس يتمثل في الخروج عن حد الاعتدال والتطرف صوب التصلب أو الليونة، وظلم الآخرين يكون بالاستيلاء على حقوقهم من دون وجه حق. ولا شك أن التطرف يسقط الإنسان في لحظة ما، فإذا كان النجاح يتطلب قدرا من الثقة بالنفس فإن الثقة الزائدة لحد الغرور تدفع بالإنسان للتعالي على الآخرين والاستغناء عنهم، وعدم الثقة بالنفس يجعل المرء مترددا في اقتناص الفرص التي تفتح أمامه آفاق المستقبل، وفي كلا الحالتين فشل أكيد، وكذلك فإن انتزاع حقوق الآخرين يدفعهم لانتهاز الفرص لاسترجاعها من الظالم، والمظلومون أشبه بالقناص الذي ينتظر لحظة وقوف الطير على غصن الشجرة، وبذلك يكون الظالم في حالة استنفار دائم لمواجهة التهديد المتواصل مما يستنزف كل طاقاته وحيويته النفسية.

وقد " حرم الاسلام الظلم بشتى انواعه ولم يسمح باي شكل من الاشكال من ممارسته، ووضع العقوبات عليه في الدنيا وتوعد عليه في الأخرة بالعذاب الشديد، ولا فلاح للإنسان في الدنيا ولا نجاة له في الآخرة الا بترك الظلم، فهو ذنب عظيم واثم كبير، وهو سبب لكل انواع المشاكل السياسية والاقتصادية، وهو مصدر لكل انواع الشرور والفساد، وهو بلاء خطير ومنبع لكل العيوب والآفات والامراض والرذائل والموبقات، فمتى ما شاع في امة انعقدت اسباب زوالها واذن الله في افولها في الدنيا قبل الآخرة."[1]

والقرآن الكريم يؤكد بصورة قاطعة أن الظالمين لا نصيب لهم من النجاح على المستوى الشخصي والمجتمعي، سواء في الدنيا أو الأخرة "انه لا يفلح الظالمون"، وبصورة اكيدة فان الظالم يفشل مشاريع التنمية، فيميل بها نحو الافراط او التفريط بسبب ظلمه، فتفقد قيمتها التنموية وتتهاوى، وهنا يقدم لنا من خلال أربع آيات بينات صورا متعددة للظلم الذي قد يمارسه الإنسان بحق نفسه أو الآخرين.

الآية الأولى: قوله تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"[2]

---

[1] الستراوي، عبد الشهيد، الوعي السياسي بين الاسلام والديمقراطية، ص ٣٥٩ ، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢م

[2] الأنعام / ٢١

توضح الآية الكريمة أن أكبر الظلم حين يتجاوز الإنسان حدوده، ويأتي من عنده بعمل أو قول ثم ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ظنا منه أن ذلك سلم يصعد به إلى النجاح بين الناس، وعلى العكس من ذلك حين يقف الإنسان بوجه الحقائق الدينية التي ذكر بها الأنبياء البشرية، وأرادوا لهم التزامها ليعيشوا السعادة في الدنيا والآخرة.

واعتبار القرآن الكريم لهاتين الحالتين أكبر الظلم، لأن الإنسان في كليهما يقطع الطريق على الناس للتفاعل مع الوحي السماوي الذي يعطي معنى إيجابيا للحياة، وبذلك يعوق المسيرة التنموية للناس ويدمر تقدمهم في مجالات الحياة. وهو بذلك لا يفشل فقط بل يدفع الناس في هاوية التخلف المريع.

الآية الثانية: قوله تعالى: " قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[1]

صورة أخرى ينقلها القرآن الكريم من محاولات أنجح شخصية إنسانية مع قومه، حيث أن النبي محمدا(ص) يدعو قومه للتأمل في عواقب أعمالهم المغمسة بالظلم ومصادرة حقوق الآخرين، وعواقب عمله الطاهر المتسم بالعدل والحق في نظرته للآخرين، ويؤكد لهم أنه مستمر في تحركه لصالح الناس وسيترك لهم مواصلة العمل فيما اختاروا، لكن النتيجة النهائية لن تكون أبدا من نصيب الظالمين، ولن يفلحوا في الارتقاء بمجتمعاتهم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[2]

ينقل لنا القرآن الكريم هنا صورة من حياة نبي الله يوسف عليه السلام، إذ وقعت امرأة تحت تأثير جاذبيته الجسدية، واصطادته في لحظة ضعف إنساني منها، وحاولت أن تدفع به ليستجيب لصوت شهوتها العارمة، مستفيدة من كل ما لديها من وسائل الإغراء والسلطة والتحرز، لكن يوسف رأى في استجابته لضعفها وانسياقه خلف شهوتها المؤقتة، ظلم لنفسه وظلم لسيده الذي ائتمنه على داره وظلم لها، إضافة إلى كونه سوء تقدير لحق الله جل وعلا. لذلك رفض يوسف الخضوع لها وآثر عليه ما سيكون من نتيجة عقابية مؤقتة، مع يقينه أن النجاح النهائي له ولها وللمجتمع الذي

---

[1] الأنعام / ١٣٥

[2] يوسف / ٢٣

يعيشون فيه هو من نصيب الذين يتجنبون الظلم في شتى مرافق حياتهم، سواء علم الناس بحالهم أم لم يعلموا.

الآية الرابعة: قوله تعالى: " وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ "[1]

هذه صورة من حياة نبي الله موسى عليه السلام، حيث أن قومه اتهموه بالخداع واستخدام السحر في سبيل التأثير عليهم لقبول رسالته، لكن موسى أكد أن من يتوسل بالسحر فهو ظالم لنفسه وللآخرين، وأن ما جاء به إنما هو دين سماوي من الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يستهدف مصلحة شخصية من وراء تبليغه للناس هذه الرسالة، ولو كان يمارس الخداع والاحتيال لعد واحد من الظالمين الذين لا نصيب لهم من النجاح، ولا امل في تنميتهم للمجتمعات.

وهكذا نجد التأكيد القرآني بعد التأكيد، أن الفلاح والتنمية ستكون من نصيب الذين يتجنبون الظلم لأنفسهم وللآخرين، وان لا تنمية مع الظلم.

ثانيا : لا تنمية مع الاجرام

النجاح والتنمية نتيجة تراكمية لجهد مخلص ودؤوب يقوم به الفرد والمجتمع لتحقيق ما يتطلعون إليه، وتتباين الفترة الزمنية للوصول إلى هذه النتيجة، إذ العملية بحاجة إلى تضافر عدة عوامل وشروط للوصول الى النتيجة النهائية، لكن المجرمين لا يقبلون بهذه الحقيقة ويريدون القفز عليها.

لذلك جاءت البصيرة القرآنية لتؤكد أن المجرمين لا نصيب لهم من النجاح، ولا يمكنهم المساهمة في مشاريع تنمية المجتمعات، فالحياة قائمة على الجد والكفاح، وليس انتزاع النجاح بقوة الذراع والغلبة، هذا ما نجده في قوله تعالى:" فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ "[2]

---

[1] القصص / ٣٧

[2] يونس / ١٧

أورد ابن كثير في تفسيره لهذه الآية، مثلا للمجرمين الذين أرادوا التوسل بالكذب على الله لتكون لهم المكانة والحظوة في المجتمع، وهو مسيلمة الكذاب، إذ أن هذا الأخير لما رأى التجاوب الباهر مع النبي محمد (ص) وانتشار الإسلام في شتى أرجاء الجزيرة العربية، أراد أن يكون له مثل ما للنبي (ص) في الناس، ولكن ـ وكما يقول ابن كثير ـ " الفرق بين محمد (ص) وبين مسيلمة لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل"[1] ثم يأتي ببعض الأمثلة من الفرق بين ما نزل في القرآن الكريم وخرافات مسيلمة الكذاب، يقول: " كم من فرق بين قول الله تعالى: "الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم...." وبين قول مسيلمة قبحه الله: يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كما تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. وقوله قبحه الله: لقد أنعم الله على الحبلى اذا أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى. وقوله: الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل، وقوله: العاجنات عجنا والخابزات خبزا و اللاقمات لقما إهالة وسمنا إن قريشا قوم يعتدون، إلى غير ذلك."[2]

ثالثا : لا تنمية مع الكفر

هنالك آيتان في القرآن الكريم تؤكدان أن لا تنمية مع الكفر وان لا نصيب للكافرين في الفلاح، وهو ما يعني فشلهم وتهاوي مشاريعهم التنموية في الحياة الدنيا، ويتأسس على ذلك النأي بالمشاريع التنموية عن قيادة الذين يتسمون بالكفر في طريقة تفكيرهم، اذا الكفر طريقة تفكير، فمن يكفر بحقيقة كبرى، كوجود خالق مبدع لهذا الكون وهذه الحياة، ليس بعيدا عنه الكفر باي حقيقة بعد ذلك.

لنتابع بداية الآيتين الكريمتين، ثم لنتأمل في مدلولاتهما، وما يمكن لنا أن نستخلص من بصيرة قرآنية نستفيدها في طريق التنمية.

قوله تعالى: " وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ "[3]

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية ١٧ من سورة يونس، مرجع مذكور.

[2] المرجع السابق.

[3] المؤمنون / ١١٧

قوله تعالى: " وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ "[1]

وهنا نقل لجزء مما ذكره صاحب "من وحي القرآن"، في تفسيره للآية الأولى، قال:" (انه لا يفلح الكافرون) الذين لا يملكون أرضا يقفون عليها، فيما هو العلم، وفيما هو البرهان، بل يعيشون الاهتزاز في الفراغ فلا يصيرون إلى استقرار حتى يلاقوا النار، لأن الإيمان في كل مفرداته هو سر الربح وسر النجاح، كما أن الكفر بكل ممارساته هو سر الخسارة وسر السقوط."[2]

والحق أن المراجعة الدقيقة لمعنى كلمة الكفر، وانطباقها كصفة على أي إنسان أو ملامسة شخصية أي إنسان لبعض أبعادها يؤدي به إلى الفشل وعدم النجاح في الدنيا قبل الآخرة، فالكفر ما هو إلا التغطية على الشيء الواضح، فكفر يعني غطى وستر، والكافر: هو الزارع لستره البدر بالتراب، وهو الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء، وبهذا المعنى يكون الكافر هو الذي يغطي إيمانه ويحجبه ويمنعه من الظهور.

ثم إن شخصية الإنسان الناجح، والذي يفترض فيه قيادة مشاريع التنمية، يجب ان تتسم بالواقعية، بمعنى قبول الحقائق التي يمكن الاعتماد عليها، وكلما جحد بحقيقة اثر ذلك نتائج التنمية بشكل تلقائي، وأي الحقائق أعظم جلاء من وجود الله سبحانه وتعالى؟!

لقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلا واضحا للكافرين الذين قد يظن بعض الناس أنهم ناجحون من خلال ما يرونه من استعراض للثروة والإمكانيات، بقارون الذي وصل حدا فاحشا من الثراء، لدرجة أن مفاتيح كنوزه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وكان إذا استعرض في يوم من الأيام يبهر الجميع بتنوع ممتلكاته، فيتمنون لو ينالون بعض ما عنده، أو مثله ولو ليوم أو ساعة.

لكن قارون كفر بما عنده من نعمة، والكفر بالنعمة هو عدم استثمارها في تنمية الواقع الاجتماعي، حسب الموازين الشرعية، ودفعه ثراؤه الفاحش إلى التكبر والتجبر على الناس، والتطاول على أصحاب الرسالات، بل وقوفه أمام نبي الله موسى (ع)، وحسب ما يقوله المفسرون، أن موسى عليه السلام دعا قارون للمساهمة في تنمية المجتمع بماله، فتآمر قارون مع جماعة من المترفين على

---

[1] القصص / ٨٢

[2] فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ١١٧ من سورة المؤمنون، مرجع مذكور

موسى، وأغروا فاجرة بالمال، لتدعي أن موسى واقعها، ليسقط موسى بين الناس، ويتخلص قارون من التزامه بدفع جزء من ماله، لكن المرأة استفاق ضميرها في لحظة تجمهر

الناس لسماع قولها، وقالت لقد فعلت كل شيء من الآثم ولكن هيهات أن أتهم نبي الله بما ليس فيه، ثم صرحت أن قارون وجماعته، أغروها بالمال لتقول كذبا على موسى ما روجوا له، حينها فتحت الأرض فاها لتبتلع قارون وأتباعه، وإذا بالذين تمنوا الحصول على ما عند قارون يعلنون الندامة على تلك الأمنية الزائفة.

رابعا : لا تنمية مع السحر (الحيلة والخداع)

البصيرة القرآنية تقول أن الفلاح والتنمية لا يمكن أن تقوم على الخداع والحيلة، ولأن من أبرز صور الخداع والاحتيال اعتماد السحر لتضليل حواس الناس، عبر مسارات يتقن الساحر أداءها جيدا، نرى أن القرآن الكريم يركز بشكل كبير على فشل السحرة والذين هم على طريقتهم في الحيلة والخداع.

وقد وردت هذه البصيرة في آيتين كريمتين، ضمن سياق الحديث عن المجابهة بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون الذي استعان بالسحرة ليتغلب على موسى، لكن النتيجة كما قصها علينا القرآن الكريم، ليس تراجع السحرة فقط، بل اكتشافهم أن فرعون أراد توظيفهم لصد الناس عن الدعوة الربانية التي جاء بها موسى من الله سبحانه وتعالى، فقرروا الانقلاب عليه والدخول مع موسى في دينه رغم تهديدات فرعون المتتالية.

الآيتان هما:

قوله تعالى:" قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ "[1]

وقوله تعالى:" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى "[2]

---

[1] يونس / ٧٧

[2] طه / ٦٩

يقول صاحب تفسير الأمثل بصدد تعليقه على الآية الأولى: "أن السحرة وبحكم عملهم وفنهم الذي له صفة الانحراف والإغفال، أفراد يفكرون في الربح، ومنحرفون يستغلون الناس

ويخادعونهم، ويمكن معرفتهم من خلال أعمالهم، أما الأنبياء فهم رجال يطلبون الحق، حريصون على هداية الناس، مطهرون لهم هدف وغاية رسالية "[1].

لقد تكررت قصة المجابهة بين موسى وفرعون واستعانة الأخير بالسحرة أربع مرات في القرآن الكريم، وهو ما يدل على غاية قرآنية في توضيح فشل الذين يلجؤون للحيلة والخداع كوسيلة للنجاح والفوز، وقد كان السحر فيما مضى من الزمن أبرز ألوان الاحتيال، في سوق الدعاية للتأثير على الناس لصناعة توجه معين، بل إن الأنبياء أنفسهم تعرضوا لتهمة مزاولة السحر، لكي تسقط دعواهم في أنهم أصحاب رسالات سماوية، وهو ما يكشف أيضا عن تعاظم دور السحر في حياة الناس. يقول تعالى:" وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب"[2]

ويقول أيضا:" ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون"[3]

بقي لابد من القول أن السحر في العصور الماضية كان يمثل أشهر وسائل الخداع، أما اليوم فان باب الخداع متطور بتطور وسائل التقنية والتأثير في الناس، ولعل ابرز صور الخداع ما تقوم به وسائل الاعلام من تضليل للناس فتدمر بلدانا و مشاريع تنموية ضخمة، لصالح واهداف جهات معينة.

خامسا : لا تنمية مع الكذب

التنمية بحاجة الى شفافية تامة، وصدق في المعلومات، وفي حالة عدم الوضوح والتضليل في المعلومات المتصلة بمشاريع التنمية تفشل، فكم من معلومة مضللة ادت الى انهيار مشاريع تنموية ضخمة، هذا ما يلفت القرآن الكريم النظر اليه، ففي أكثر من أية منه، يركز على أن الذين يتجرؤون في الكذب على الله سبحانه وتعالى، لا يفلحون ولا يمكن لهم قيادة مشاريع التنمية، وما ذلك إلا لان من يكذب على الله سبحانه وتعالى فهو مستعد للكذب على أي احد وفي أي مجال .

تأتي هذه البصيرة في آيتين كريمتين:

---

[1] الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير الآية ٧٧ من سورة يونس، مرجع مذكور

[2] ص/ ٤

[3] الزخرف / ٣٠

قوله تعالى: " قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ "[1]

و قوله تعالى: " وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ "[2]

والمتابع لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الكذب، يجد أنه يكشف عن كثير من المساوئ يعتبر الكذب جذرا لها، فالظلم والإجرام الذين سبق ذكرهما كمعوقين للتنمية يرى القرآن الكريم أن اصلهما الكذب.

يقول تعالى:" ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون"[3]

ويقول أيضا: "فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون"[4]

وحين يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين، الذين يعيشون التذبذب الداخلي والازدواجية الخارجية، يقرر أن جذر النفاق الذي يعتبره مرضا خطيرا هو الكذب.

يقول تعالى في وصف المنافقين: "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون"[5]

أكثر من ذلك فليس الكذب جذر الظلم والنفاق والإجرام فقط بل هو جذر الكفر أيضا، حيث يقول تعالى:" ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين"[6]

---

[1] يونس / ٦٩

[2] النحل / ١١٦

[3] الأنعام / ٢١

[4] يونس / ١٧

[5] البقرة / ١٠

[6] العنكبوت/ ٦٧

والملاحظة الجديرة بالانتباه هنا أن القرآن الكريم يتحدث عن خطورة الناشطين في مجال الدعوة الدينية حين يحرمون أو يحللون دون وجود مسند واضح من الله سبحانه وتعالى فيما يحللون ويحرمون، حيث لا يشكل خطرهم فشلا لهم ومقتا من الله لهم فحسب، بل هو تدمير لمشاريع التنمية على صعيد المجتمع كله وتدمير لحياة الناس في الدنيا، إضافة إلى التضليل عن الوصول إلى ذروة التفاعل بين العقل والوحي.

ويؤكد القرآن الكريم أن السبب الرئيسي للكذب هو عدم الإيمان بآيات الله سبحانه وتعالى:" إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون"[١] وعليه فان تعميق الإيمان بآيات الله سبحانه وتعالى، سيكون له الأثر الكبير في تنمية الصدق عند الإنسان ومن ثم تنمية الثقة بالنفس، التي تؤهله لقيادة المشاريع التنموية الكبرى.

المحور الثالث: الطريق الى التنمية

تنطلق التنمية في ظل قيم ومبادئ وممارسات وسلوكيات والتزامات ومهارات، وهي ما تهتم بها الرؤية عادة، فالرؤية تحدد طبيعة التوجه وسياساته، لكي لا يتوقف قطار التنمية او يتعثر في طريقه، وهذا ما نجده في آيات المجموعة الثانية من سلم الفلاح والتنمية، وهنا تركيز مختصر على آيات هذه المجموعة، مع الاشارة لكل بصيرة تنموية تدلل عليها الآيات المباركات.

الآية الأولى: قوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٢]

المسئول في الآية المباركة هو النبي(ص) والسائل على ما قيل مجموعة من اليهود، والتوقيت على ما ذكر في مجمع البيان هو " تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت، والآخرة ميقات الخلق والإهلال ميقات الشهر والحج."[٣] والمواقيت حسب تفسير

---

[١] النحل / ١٠٥

[٢] البقرة / ١٨٩

[٣] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٨٩ من سورة البقرة، مرجع مذكور.

الميزان " الأزمان المضروبة للأفعال والأعمال، والبر النفع الحسن والتوسع في الخير"[1] ثم بمناسبة ذكر الحج في الآية باعتباره من العبادات القائمة على مواقيت الأهلة، أشارت الآية أيضا إلى عادة جاهلية ترتبط بالحج وهي إتيان البيوت من ظهورها فقد ثبت بالنقل أن جماعة من العرب في الجاهلية كانوا إذا احرموا للحج لم يدخلوا بيوتهم عند الحاجة من الباب، بل اتخذوا نقبا من ظهورها ودخلوا منه، فنهى عن ذلك الإسلام، وأمرهم أن يدخلوا البيوت من أبوابها، وفيما نقله صاحب التبيان، " روي عن جابر عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين(ع) في قوله تعالى "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها.." قال: يعني أن تأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان."[2]

والمتأمل في الآية المباركة يجدها فيها ثلاث بصائر تنموية:

الأولى: إعطاء اهتمام خاص لإدارة الوقت، وإنما ربطت الآية بين الأهلة والتوقيت لان الرجوع لحركة الهلال كانت ايسر في الماضي، وإذا ما تقدم الإنسان في نظام التوقيت بآلات يمكن لها أن تجزئ الوقت إلى ساعات ودقائق ولحظات اصغر مما يوقته الهلال، فهذا يعني أن إمكانية استثمار الوقت تزداد ومن ثم فرص النجاح لمشاريع التنمية تكبر. ولقد اهتمت البشرية كثيرا، بضبط الإنجاز بالوقت، وابتكرت الكثير من الأساليب والآلات، لكن يبقى أن الرجوع للطبيعة، أمر ممكن في ظروف تعطل الآلات.

الثانية: إن إشارة الآية المباركة، إلى إتيان البيوت من أبوابها، وربط ذلك بالفلاح، تأكيد أن للتنمية في أي مجال مداخلها الخاصة وبيئتها الخاصة، وان من الخطأ الكبير عدم اخذ ذلك بعين الاعتبار، وهو ما يؤدي بمشاريع التنمية للفشل، وحسب تفسير من وحي القرآن" أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل شيء في الحياة بابا يدخل منه، فلكل غاية وسيلة معينة تنسجم مع طبيعتها وواقعها، ولكل فكرة أجواؤها التي تتحرك فيها، ولكل حركة قيادتها التي تتحرك من خلالها، وبذلك تلتقي فكرة إتيان البيوت من أبوابها مع خط التقوى، كما أن إتيانها من ظهورها كناية عن الانطلاق من غير مواردها الشرعية بعيدا عن خط التقوى، ويكون البر وعدمه تابعا لذلك."[3]

---

[1] الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٨٩ من سورة البقرة، مرجع مذكور.

[2] الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان، تفسير الآية ١٨٩ من سورة البقرة، http://www.hodaalquran.com/

[3] فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ١٨٩ من سورة البقرة، مرجع مذكور

الثالثة: الحرص على الالتزام بالتقوى يشكل دعامة مهمة لنجاح مشاريع التنمية، ذلك لان الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء عن نواهيه في أي أمر، يقودنا إلى عدم الخروج عن الحدود التي وضعها الله سبحانه وتعالى للأمور، التي قد يجهلها الإنسان أو لا يعرف حكمتها أو قد يسعى الإنسان لتجاوزها، حين يستشعر بالاستغناء والطغيان وتجاوز الحد زيادة أو نقصان ظلم، يؤدي الى الفشل، وهو ما سبق الاشارة اليه.

الآية الثانية: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[1]

ذكر المفسرون أن البيئة الجاهلية قبل الإسلام كانت طافحة بالمعاملات الربوية، وكان أكلهم للربا في جاهليتهم، أن الرجل منهم يكون له على الرجل مال إلى اجل، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك، وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك. بل كان جاريا حتى على مستوى القبائل والجماعات في تبادلهم المنافع، فقد جاء في تفسير الطبري "عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين في بني المغيرة في الجاهلية، فإذا حل الأجل، قالوا: نزيدكم وتؤخرون، فنزلت الآية."[2]

وقد كانت هذه الطريقة في التعامل مبعثا للكثير من المآسي الاجتماعية، ومعوقا لتنمية قطاعات كبيرة في المجتمع، إذ تعوق تحت تأثير أغلال الربا، الذي يتضخم مع مرور الأيام بصورة تلقائية، وإذا بالإنسان نفسه يتحول إلى سلعة تباع وتشتري. ولهذا فقد استخدم القرآن الكريم ـ حسب تفسير الأمثل ـ التدرج في تحريم الربا، لكونه عملية اقتصادية ضخمة في ذلك المجتمع، ولا بد من القضاء عليه بشكل هادئ ليمنع الآثار السلبية المترتبة على ذلك في المجتمع، وقد تم ذلك عبر مراحل أربع:

الأولى: توجيه النصح الأخلاقي في المعاملات الربوية، وذلك في الآية ٣٩ من سورة الروم، حيث يقول تعالى: "وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما أتيتم من زكاة

---

[1] ال عمران / ١٣٠

[2] تفسير الطبري، تفسير الآية ١٣٠ من سورة آل عمران، مرجع مذكور.

تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون"[1] وبهذا يكشف عن خطأ الذين يتصورون أن الربا يزيد من ثروتهم، في حين أن إعطاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله يضاعف الثروة.

[1] الروم / ٣٩

الثانية: يشير ضمن انتقاد عادات اليهود وتقاليدهم الخاطئة الفاسدة، إلى الربا كعادة سيئة من تلك العادات، إذ يقول تعالى: "وأخذهم الربا وقد نهوا عنه"[١]

الثالثة: يشير في الآية ١٣٠/آل عمران، المذكورة أعلاه، إلى التحريم الصريح للربا، لكنه تحريم لنوع واحد من الربا، وهو النوع الشديد والفاحش منه فقط.

الرابعة: يعلن عن التحريم الشامل والشديد لجميع أنواع الربا، واعتباره بمنزلة إعلان حرب على الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون"[٢]

وقد اعتبر احد المفسرين الربا من اكبر الأخطار المتوجهة لوحدة الأمة، ومثاليتها الرسالية، وهو ثغرة اقتصادية كبيرة، وقال: "إن الربا أو الفائدة على المال التي تتضاعف بصورة تلقائية، كلما ازدادت السنين، أدت إلى ازدياد الفقير مسكنة، والغني شبعا وجشعا، إن الربا قد يبدأ بذرة صغيرة لكنه ينمو في نفس الغني حتى يصبح شجرة خبيثة للجشع، وينمو في نفس الفقير حتى يصبح جدارا ضخما من الكراهية."[٣]

إن المعاملات الربوية أحد عوامل تقوية وترسيخ النظام الطبقي في المجتمع، لأن أفرادا معدودين يمتلكون كل شيء بسبب الربا، بينما الأكثرية الساحقة في فقر مدقع، ومع مرور الأيام تزداد الطبقة الأولى غنى بينما الثانية فقرا، كما الطائفة الأولى تقل بينما الثانية تزداد ما يعني انهيار المجتمع بشكل كامل، ولاشك أن ذلك لا يتفق أبدا مع نوعية التنمية التي يريدها القرآن الكريم، إذ يريد تنمية للمجتمع كله وليس لمجموعة من الأفراد.

ومن هنا يتضح معنى ومغزى تأكيد الإسلام على حرمة الربا بتلك العبارات الشديدة والمذهلة في الآيات والأحاديث والروايات، ونعي من ذلك أن الإسلام يريد إحاطة المسائل الاقتصادية في بوتقة العواطف الإنسانية والأخلاقية، فان الربا والمعاملات الربوية تهدم أصول الأخلاق، وتجتث جذور العواطف الإنسانية، وتعرقل جميع أعمال الخير في المجتمعات البشرية.

---

[١] النساء / ١٦١

[٢] البقرة/ ٢٧٨-٢٧٩

[٣] المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، الطبعة الأولى، ج١، ص ٦٥٥، دار الهدى، طهران،١٤٠٦ه .

إن الربا يصنع طريقة تفكير منحرفة لدى الفرد ويبني علاقات اجتماعية متوترة، فالمرابي يصبح انتهازيا بصورة تلقائية لا شعورية، وازدياد طبقة المرابين يجعل من الانتهازية حالة طبيعية بينما هي حالة مرضية، تتنافى وملامح الشخصية السوية، كما أن الرد الطبيعي من قبل المتضررين من المعاملات الربوية، سيكون تعاظم روح الانتقام، وهكذا تسود المجتمع الأمراض النفسية من المرابي والمتضرر من الربا، ومثل هذا المجتمع لا يمكن له أن يصنع نجاحا، وتنمية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1]

عن مجمع البيان أن المفسرين اختلفوا في تفسير الآية على أقوال: " احدها أن المعنى اصبروا على دينكم، أي اثبتوا عليه وصابرو الكفار ورابطوهم في سبيل الله، ثانيها ان المراد اصبروا على دينكم وصابرو وعدي إياكم ورابطوا عدوي وعدوكم، ثالثها اصبروا على الجهاد ورابطوا الصلوات، و نقل عن الإمام الباقر(ع) انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابرو عدوكم ورابطوا عدوكم.[2]"

وقال صاحب الميزان في تفسير الآية: " الأوامر مطلقة فالصبر يراد به الصبر على الشدائد، والصبر في طاعة الله سبحانه وتعالى، والصبر عن معصيته، وعلى أي حال هو الصبر من الفرد بقرينة ما يقابله، والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعة باعتماد صبر البعض على صبر آخرين فيتقوى الحال ويشتد الوصف ويتضاعف تأثيره، ورابطوا أعم من المصابرة وهي إيجاد الجماعة، والارتباط بين قواهم وأفعالهم في جميع شئون حياتهم الدينية، اعم من حال الشدة وحال الرخاء.[3]"

---

[1] ال عمران / ٢٠٠

[2] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران، مرجع مذكور.

[3] محمد حسين، الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران، مرجع مذكور.

ثم يفصل في تفسيره بشكل واسع حول أهمية المجتمع كما يرى الإسلام، وما يهمنا هنا التأكيد على البعد الجماعي في التنمية، وقد نقل في البحث الروائي هذه الرواية عن الإمام جعفر الصادق(ع) قال: "اصبروا على المصائب، وصابرو على الفتنة، ورابطوا على من تقتدون به.[1]"

ولفهم أوضح لقيمة المرابطة بالنسبة لعملية التنمية، لابد من التأكيد أن المرابطة كما في تفسير القرطبي، " فيما رواه عن مالك، قال ابن عطية: والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا، فارسا كان أو راجلا، واللفظ مأخوذ من الربط[2]."

وعليه إذا ما أردنا تنمية في اي مجال من المجالات، فلا بد من مواجهة تحدياتها الطبيعية بالصبر، وان نشحذ روح التنافس مع الآخرين في تحقيق نتائج افضل، وان نلزم مشروع التنمية كالرباط، تماما مثل ما ان المرابط لا تنام عيناه عن ثغره، وان يكون كل ذلك في اطار الالتزام بحدود الله سبحانه وتعالى، فقيمة التنمية فيما انتهت اليه من نجاح في الدنيا وفوز بجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة.

وخلاصة البصائر التي نستفيدها من هذه الآية الكريمة للتنمية، اهمية مهارة الصبر بالنسبة للفرد والجماعة، والتنافس مع الآخرين بمزيد من الصبر، ومرابطة مشاريع التنمية باعتباره جهادا في سبيل الله، والتزام التقوى في كل ذلك.

الآية الرابعة: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[3]

حقيقة التقوى هي ذلك الوازع الداخلي الذي يفرض على الإنسان انضباطا شديدا بالقيم والمبادئ والقوانين الأخلاقية الراقية، وهي الدعوة التي قدمها الأنبياء إلى أممهم، ولا يزال القرآن يصدع في البشرية، يدعوهم إلى العودة إلى الله والتزام التقوى، وهي في الآية الاطار الذي ينبغي الالتزام به في العمليات التنموية.

---

[1] المصدر.

[2] تفسير القرطبي، تفسير الآية ٢٠٠ سورة ال عمران، مرجع مذكور.

[3] المائدة / ٣٥

غير أن الإطار لوحده لا يكفي للتنمية في اي مجال من المجالات بل لا بد من وجود خطة دقيقة تقود اليها، وهذا ما تشير إلية الآية المباركة، في ابتغاء الوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى، فالوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، كما في تفسير ابن كثير[١]، والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله (ص)حسب التفسير ذاته. ثم أورد بعض الأحاديث عن النبي(ص) التي تشير إلى ذلك، منها ما نقله عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص):"سلوا لي الوسيلة لأنه لم يسألها لي عبد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة.[٢]"

ولدى الراغب الأصفهاني في المفردات: " الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة.[٣]" وفي تفسير الأمثل أن: " الوسيلة لها معان كثيرة واسعة، فهي تشمل كل عمل او شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى"[٤] وحسب السيد فضل الله هي: " كناية عن الطرق التي يريد الله للإنسان أن يتحرك فيها على أساس هداه والغايات التي يدعو الناس إلى أن يبلغوها، فيما يتعاملون به من وسائل ويخططون له من أهداف."[٥]

ومن كل ذلك نفهم أن الوسيلة هي الخطة التي توضع للوصول الى تحقيق رؤية معينة، والمثال هنا في الآية الكريمة التقرب الى الله سبحانه وتعالى، والتي تعتبر التنمية اصدق مصاديقها، وتنطبق على اي تنمية في اي مجال من مجالات الحياة، ويمكن لنا القول انها الاستراتيجية المعتمدة لتحقيق التنمية.

وتكتمل إمكانيات تحقيق التنمية، حين يدعم التخطيط ببذل أقصى الجهد في التنفيذ، وهوا شبه بالقتال حيث يرمي الإنسان أقصى ما لديه من قوة وجهد ليتفوق على عدوه ويصرعه، وهذا ما تؤكد عليه الآية المباركة، فبعد التزام التقوى من قبل المؤمنين، واعتماد الوسيلة (الاستراتيجية) المقربة إلى الله سبحانه وتعالى في تحقيق التنمية، يبذلون أقصى الجهد لتحقيق ما خططوا له، وكما

---

[١] تفسير ابن كثير للآية ٣٥ من سورة المائدة، مرجع مذكور.

[٢] المرجع السابق.

[٣] الاصفهاني، الراغب، غريب مفردات القرآن الكريم، مرجع مذكور.

[٤] الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة، مرجع مذكور.

[٥] فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة، مرجع مذكور.

يقول صاحب الميزان " أن المراد بقوله تعالى: "وجاهدوا في سبيله" مطلق الجهاد.[١]" وهو ما يشمل بذل اقصى الجهد لتحقيق استراتيجية التنمية المنشودة.

الآية الخامسة: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٢]

الخمر كما في التفسير ما يخمر العقل "أي يغطيه" من كل مائع مسكر عمل بالتخمير، والميسر هو القمار مطلقا، والأنصاب هي الأصنام أو الحجارة التي كانت تنصب لذبح القرابين عليها وكانت تحترم ويتبرك بها، والأزلام هي الأقداح التي كانت يستقسم بها، وربما تطلق على السهام التي يتفأل بها عند ابتداء الأمور والعزيمة عليها كالخروج إلى سفر و نحوه.

كما ـ يروى ـ أنهم في الجاهلية كانوا يتخذون أخشابا ثلاثة رقيقة كالسهام، احدها مكتوب عليه "افعل" والثاني "لا تفعل" والثالث غفل لا كتابة عليه، فيجعلها الضارب في خريطة معه فإذا أراد الخروج في أمر يهمه كالسفر وغير ذلك أخرج واحدا منها فان كان الذي عليه مكتوب افعل عزم عليه، وان خرج الذي مكتوب عليه "لا تفعل" تركه، وان كان الثالث أعاد الضرب، وسمي استقساما لأن فيه طلب ما قسم له من رزق أو خير..

إن الجامع المشترك بين الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، أنها رجس من عمل الشيطان، والرجس اسم لكل ما استقذر، وتأثيرها على الإنسان كبير في تضليل عقله وتمييع إرادته، وإعطائه أملا كاذبا في النجاح، وكل هذه الامور لا يمكن اعتمادها لتحقيق تنمية ما، بل التنمية تحتاج الى اعتماد على الذات وتوكل على الله ودراسة موضوعية للإمكانات المتاحة.

وحتى على الصعيد الشخصي لكي يكون الانسان ناجحا في الحياة عليه أن يحرر عقله وإرادته من كل ما يمكن له التأثير عليهما، سواء كان ذلك وسواس شيطاني أو تضليل من أحلام اليقظة، او حتى تسلية مضرة بالصحة النفسية والعقلية.والشيطان لا يتورع عن استخدام كافة الوسائل لدفع الافراد والمجتمعات البشرية للسقوط في مستنقع الفاشلين، ولا يمكن التحرر منه إلا بالتمسك بحبل الله القويم، وتحرير الارادات والعقول من كل تأثيراته، وقد وردت لفظة الشيطان في القرآن الكريم ٥٦ مرة، وكان واضحا في تنبيه الانسان منه، ودعوته له ليتخذ الشيطان عدوا، تماما

---

[١] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة، مرجع مذكور

[٢] المائدة / ٩٠

مثل ما جعل الشيطان الانسان عدوه، يقول تعالى: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ "[١]

الآية السادسة: قوله تعالى: " قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[٢]

قال في مجمع البيان " الخبيث أصله الردي مأخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده، ففي الحديد امتزاج جيد بردي"[٣] وفي تقريب القرآن "الخبيث الحرام والطيب الحلال "[٤] ، وفي الميزان " أن الآية مثل مضروب لبيان أن قواعد الدين ركبت على أساس صفات تكوينية في الأشياء من طيب أو خباثة مؤثرة في سبيل السعادة والشقاوة الإنسانيتين، ولا يؤثر فيها قلة ولا كثرة.[٥]" وحسب الأمثل فان " الخبيث والطيب ـ في ـ الآية يشمل كل ما يرتبط بالإنسان، طعاما كان ذلك أم فكرا[٦]" وفي (من هدى القرآن): " الناس فريقان طيب وخبيث، وبينهما مسافة بعيدة وعلى المرء أن يختار لنفسه أحد الفريقين، لكن ليعرف مسبقا أن الفريق الطيب هو الأفضل على رغم قلة أبنائه.[٧]" وان القلة ـ حسب من وحي القرآن ـ " قد تغلب الكثرة إذا كانت الخصائص الذاتية للقلة أقوى من الحجم العددي للكثرة، والقرآن أراد للإنسان أن ينطلق للنظرة للأشياء من جانب الكيف والنوع وليس الكم، لأن الكثرة لا تعبر عن طبيعة الشيء في ذاته، بل هي تعبير عن حجمه.[٨]"

وفي تفسير الألوسي :"لا يستوي الخبيث والطيب :أي الرديء والجيد من كل شيء، فهو حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين النوعين والتحذير من رديها، وان كان سبب النزول أن المسلمين أرادوا أن يوقعوا بحجاج اليمامة وكان معهم تجارة عظيمة فنهوا عن ذلك، وقيل نزلت في

---

[١] فاطر / ٦٠

[٢] المائدة / ١٠٠

[٣] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة، مصدر مذكور

[٤] الشيرازي، محمد الحسيني، تقريب القرآن الى الاذهان، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة، مرجع مذكور.

[٥] الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة

[٦] الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة، مرجع مذكور

[٧] المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة، مرجع مذكور.

[٨] فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ١٠٠ من سورة المائدة، مرجع مذكور

رجل سأل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي واني جمعت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى، فقال النبي(ص):إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب.[1]"

وعليه فان القرآن الكريم يريد لأتباعه أن يسلكوا الطرق الطبيعية والمشروعة في الوصول إلى النجاح وتحقيق التنمية، وان يتحلوا بالنزاهة في ذلك، دونما تأثر ببهرجة الطرق الملتوية، وصخب المروجين لها، ولعل القرآن الكريم في هذه الآية اراد الاشارة الى أهمية الترفع عن الانبهار بضجيج الدعائيين، والذهاب وراء الحقائق لا الأوهام. ويمكن لنا أن نفهم من توجيه الخطاب القرآني لأولي الألباب وهم أصحاب العقول الناضجة في المجتمع، أن الخبراء في المجتمع مسئولون عن توجيه التنمية لتحقيق نتائج حقيقية وان تعتمد الوسائل والاساليب الواقعية، وتحصين المجتمعات من الانخداع بالدعاية على حساب الحقيقة.

الآية السابعة: قوله تعالى: " أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[2]

ذكر بعض المفسرين، أن عادا قوم من العرب كانوا يسكنون الأحقاف من شبه الجزيرة العربية، وقد توفروا على أجساد طويلة، وكانوا أولي قوة وبطش وكانت بلادهم عامرة وأراضيهم خصبة ذات جنات ونخيل وزروع ومقام كريم، وقد عبر عنهم القرآن الكريم إضافة إلى ذلك بقوله تعالى: "التي لم يخلق مثلها في البلاد[3]" . لكن الوثنية كانت تعشعش فيهم، وبنوا بكل ريع آية يعبثون، واتخذوا مصانع لعلهم يخلدون وتفشى فيهم الاستبداد والتجبر والطغيان، فبعث الله إليهم رجلا منهم وهو هود، يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه والتزام التقوى، واستثمار ما منحهم الله من نعم ليطوروا حضارتهم، لكنهم لم يأخذوا بأسباب النجاح التي أرشدهم إليها، فكانت عاقبتهم زوال حضارتهم واندثارها، وانقلابهم إلى مصير مؤلم في الآخرة.

لقد ذكر هود قومه بأهم ما توفروا عليه من نعم يمكنهم الانطلاق بها لتنمية شاملة ويؤسسوا لحضارة رائدة، فهم يتمتعون بقوة جسدية فائقة، إضافة إلى نعم الله الأخرى التي من عليهم بها.

---

[1] تفسير الألوسي، للآية ١٠٠ من سورة المائدة، http://www.altafsir.com/

[2] الأعراف / ٦٩

[3] الفجر /٨

وهي الآلاء التي ذكرهم بها. لكنهم لم يعيروه اهتماما ففشلوا فشلا ذريعا، ومحيت حضارتهم من وجه الأرض.

وما نستفيده من إضاءات هذه الآية المباركة في طريق التنمية، هو استثمار ما نتوفر عليه من إمكانيات منحنا الله سبحانه وتعالى إياها وننطلق منها في مشاريع التنمية، والبحث عن الامكانات الذاتية قبل التطلع نحو الخارج ان في الموارد المالية او البشرية او المادية مهمة جدا في انطلاق التنمية المستقلة، وإن كثيرا من الناس والمجتمعات إنما يفشلون في تنمية انفسهم وبلدانهم، لأنهم لم يكتشفوا المواهب الخاصة التي يتوفرون عليها، أو لم يقيموا ما يتوفرون عليه من امكانيات للتنمية بشكل صحيح، ولا تعتمد التنمية على منافسة الآخرين فيما أبدعوا وتفوقوا فيه، انما على اكتشاف خصائص الآلاء التي اسبغها الله سبحانه وتعالى على الافراد والمجتمعات، ومن ثم الانطلاق منها لتقديم تميز في المنافسة الحضارية.

الآية الثامنة: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ"[1]

مع أن الآية تتحدث عن المواجهة مع الأعداء كما حدث في معركة بدر، إلا أن المفسرين يقولون، أن فيها أمرا الاهيا بالثبات أمام كل مشكلة، فان الله بجانب المؤمنين به والمتوكلين عليه، والثبات يوجب النصر في أي أمر من الأمور، وبالعكس فان الانهزام والفرار يوجبان الفشل والخسران، وقد قال الراغب في مفرداته: " الثبات ـ بفتح الثاء ـ ضد الزوال"[2] وهو في المورد ـ حسب الميزان ـ " ضد الفرار من العدو، وهو بحسب ما له من معنى أعم من الصبر، وذكر الله سبحانه: أن يذكر المؤمن ما علمه الله تعالى من المعارف المرتبطة بهذا الشأن (الذي سعى الإنسان لتحقيقه) وفي الآية أن الله ألهه وربه وبيده الموت والحياة وهو على نصره قدير، وانه هو مولاه نعم المولى ونعم النصير"[3] وعلق مفسر بالقول: "أن الإيمان يفرض على المؤمنين أن لا يدخلوا في معركة مع أي فريق من الناس إلا بعد أن تتضح لهم شرعيتها، من خلال طبيعة الموقف والتحديات الضاغطة على الإسلام والمسلمين.. وعلى هذا الأساس فلا بد لهم أن يثبتوا ويستمروا في المعركة

---

[1] الانفال / ٤٥

[2] الاصفهاني ،الراغب، مفردات غريب القرآن، مرجع مذكور

[3] الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٤٥ من سورة الانفال

حتى النهاية، انطلاقا من وضوح سلامة الهدف من موقع سلامة الرؤية، لأنهم سيقفون بين خيارين، النصر أو الشهادة."[1]

إن الثبات والاستمرارية في العمل لتحقيق التنمية مسألة ضرورية لإتمام التنمية رغم ما يجابهها من تحديات، وعلى العكس من ذلك فان التراخي والتراجع يهدر الطاقات والامكانيات، ويشيع روح الانهزامية وتصدع التنمية.

ويأتي ذكر الله سبحانه وتعالى ليزود القائمين على مشاريع التنمية بالطاقة الاضافية للاستمرار والثبات على مشاريعهم رغم الضغوطات والتحديات، وذكر الله نوعان لفظي وهو ما يظهر على اللسان من ذكر الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى و قدراته الغير محدودة، وقلبي وهو الاعتقاد الراسخ بان الله سبحانه وتعالى هو من يمتلك أسباب النجاح والتوفيق في أي أمر من الأمور.

الآية التاسعة: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[2]

في تفسير النسفي لقوله تعالى :" وكان أول ما اسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود"[3] ، وقد نفاه مفسرون آخرون، وفي مجمع البيان "اركعوا واسجدوا: أي صلوا، واعبدوا ربكم بفعل ما تعبدكم به من العبادات"[4] ، وقال في تفسير من وحي القرآن:" الركوع والسجود يمثلان انحناء الإرادة الإنسانية فيما توحي به من الانحناء الروحي أمام الله"[5] وفي الميزان:" الأمر بالركوع والسجود أمر بالصلاة، ومقتضى المقابلة أن يكون المراد بقوله "واعبدوا ربكم" الأمر بسائر العبادات المشروعة في الدين كالحج والصوم، ويبقى قوله "وافعلوا الخير" سائر الأحكام والقوانين المشروعة فان في إقامتها والعمل بها خير المجتمع وسعادة الأفراد"[6]

---

[1] فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ٤٥ من سورة الانفال، مرجع مذكور

[2] الحج / ٧٧

[3] النسفي، عبد الله بن احمد بن محمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٣، ص ٧٥، مؤسسة الرسالة، مجهول التاريخ ومكان الطباعة.

[4] مجمع البيان، تفسير الآية ٧٧ من سورة الحج، مرجع مذكور.

[5] فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ٧٧ من سورة الحج، مرجع مذكور.

[6] محمد حسين، الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٧٧ من سورة الحج، مرجع مذكور.

لكن مفسرين آخرين يؤكدون أن فعل الخير المأمور به في الآية المباركة، هو فعل جميع أنواع البر، كما في تقريب القرآن[١] ، وفي مجمع البيان: " معناه لا تقتصروا على فعل الصلاة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من أنواع البر من إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وبر الوالدين وما جانسها، ونقل عن ابن عباس قوله :يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق"[٢] وهو ما قاله النسفي أيضا، وقال في من هدى القرآن: " وعن الخير الذي أمرنا به في خاتمة الآية جاء في الحديث النبوي: "راس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر[٣]."

وقال في تفسير الثعالبي :" وهذه الآية الكريمة عامة في أنواع الخيرات، ومن أعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء وأهل الحاجة، وقد روى أبو داود والترمذي عن النبي(ص) انه قال :"أيما مسلم كسا ثوبا على عري، كساه الله من خضر الجنة، وايما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم. ونقل أيضا، روى ابن أبي شيبة في مسنده عن النبي (ص)انه قال :"أيما أهل عرصة ظل فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله[٤]."

وواضح من كلمات المفسرين وما نقلوه من أحاديث نبوية شريفة، أن فعل الخير هو فعل كل ما يصب في مصلحة تنمية المجتمع ورفع العوز عن أهل الحاجات فيه، وهذا ما يدفعنا للقول أن البصيرة القرآنية لتنمية ناجحة، تلزم ابناء المجتمع أن يفكروا في تنمية المجتمع ككل بصف تفكيرهم في مشاريعهم، وان لا يقتصروا على تنمية شخصياتهم او مشاريعهم فحسب.

الآية العاشرة: قوله تعالى: " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا

[١]الشيرازي، محمد مهدي الحسيني ، تقريب القرآن الى الأذهان، تفسير الآية ٧٧ الحج، مرجع مذكور.

[٢]تفسير مجمع البيان للآية ٧٧ من سورة الحج، مرجع مذكور.

[٣]المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير الآية ٧٧ من سورة الحج، مرجع مذكور.

[٤] الثعالبي ، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٣ ، ص٤٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، من دون تاريخ.

عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[1]

قال الألوسي:" المقصود غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، ثم إن غض البصر عما يحرم النظر إليه واجب ونظرة الفجأة التي لا تعمد فيها معفو عنها، ونقل هذا الحديث عن النبي(ص):لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الآخرة."[2] واصل الغض حسب تقريب القرآن: " النقصان، يقال غض من صوته ومن بصره، أي قلل منهما ونقص، والمعنى غمض العين عما لا يحل النظر إليه."[3] وقال السيد فضل الله:" روي عن ابن زيد ـ فيما نقله عن الكشاف ـ قال "كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هنا فانه أراد به الاستتار"[4] وهو أمر قريب من الرواية التي نقلها تفسير الصافي عن الإمام الصادق(ع):"كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر."[5]"

ونقل تفسير البرهان رواية عن الإمام الباقر(ع) حول سبب النزول، تكررت في عدة تفاسير، منها الميزان وقد ذكرها الألوسي نقلا عن الإمام علي بن أبي طالب(ع) قال:" استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها (فدخل في قلبه شيء)ودخل في زقاق قد سماه ببني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه(وهو لم يشعر به)، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال والله لآتين رسول الله فأخبره فهبط جبرائيل بهذه الآية "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم إن الله خبير بما يصنعون[6]."

وقال القرطبي في تفسيره:" البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ثم نقل هذا الحديث عن النبي(ص):قال: إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا يا رسول الله ما لنا بد نتحدث فيها. فقال: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق

---

[1] النور / ٣١

[2] الالوسي، تفسير روح المعاني، تفسير الآية ٣١ من سورة النور، مرجع مذكور.

[3] الشيرازي، تقريب القرآن للأذهان، تفسير الآية ٣١ من سورة النور، مرجع مذكور

[4] فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير الآية ٣١ من سورة النور، مرجع مذكور.

[5] تفسير الصافي، تفسير الاية ٣١ من سورة النور، مرجع مذكور.

[6] تفسير الالوسي للآية ٣٠ سورة النور، مرجع مذكور.

حقه" قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال :غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]."

واختم أقوال المفسرين اختصارا، بما قاله الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير الكاشف، قال :هاتان الآيتان من آيات الأحكام، وقد تضمنتا وجوب غض النظر على النساء والرجال، وحفظ الفروج من الزنا، والحجاب[2]. وقد اتفق أكثر الفقهاء على أن الرجل لا يجوز له النظر إلى شيء من بدن الأجنبية إلا إلى وجهها وكفيها شريطة أن يكون النظر من غير تلذذ، وان لا يخشى معه الوقوع في الحرام.

وبعد كل ذلك نعود لنتساءل عن علاقة غض النظر والاحتشام في اللباس بالتنمية؟!

لابد أن نعرف أن الإنسان له طاقة محدودة، وهذه الطاقة اليومية إما أن يوجهها باتجاه أهدافه واهداف مجتمعه في التنمية من اجل حياة افضل أو يتركها لمعاول التشتيت التي تأتي من الإثارات اليومية التي يتعرض إليها، وابرز الاثارات، إثارة الجنس الأخر، التي تؤدي الى توتر ليس بالقليل، وهو ما يشتت طاقته الحيوية، فيما لا دخل له بمسار النجاح في حياته او تنمية مجتمعه، وهكذا تصبح يوميات الموارد البشرية وطاقاتهم مشتتة لتلقي الإثارات فيضعف التركيز، وإذا بطاقات المجتمع التي ينبغي أن تصب في طريق التنمية، تهدر تحت العلاقة الغير منضبطة بين الجنسين سواء عبر النظرات، او الاسترسال فيما هو ابعد من ذلك.

الآية الحادية عشر: قوله تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[3].

الصلاة غذاء الروح، وهي حاجة انسانية بمثل الحاجة لغذاء البدن، وان عدم التزود بالطاقة الروحية لا تقل خطورة على عملية النجاح والتنمية من عدم التزود بالطاقة الجسدية، بل تزيد عليه، لما للروح من تأثير كبير على عقل الإنسان وفكره واندفاعه وتطلعه في الحياة. ولذلك جاء في البصيرة القرآنية التأكيد على أهمية التزود الروحي للتنمية والنجاح.

---

[1] تفسير القرطبي للآية ٣٠ و٣١ من سورة النور، مرجع مذكور

[2] مغنية، الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف، تفسير الآية ٣٠ من سورة النور، دار الكتاب الاسلامي، مجهول مكان الطبع والتاريخ.

[3] الجمعة / ١٠

والمفسرون لهذه الآية وما قبلها يرون وجوب صلاة الجمعة، وضرورة المسارعة إليها، وترك أي عمل من أجل إقامتها بدل صلاة الظهر من يوم الجمعة، وقد أبدلت الركعتان الأوليان من صلاة الظهر بخطبتين ينشئهما الإمام يؤكد فيهما على ضرورة ملازمة التقوى، التي تعني الانضباط في شتى مناحي الحياة، ويذكر المصلين بما يتصل بشأنهم الاجتماعي ويحفزهم على النجاح في الدنيا والفوز في الآخرة. على الصعيد الفردي والمساهمة في التنمية على صعيد المجتمع ككل.

وكان من شدة اهتمام الرعيل الأول من المسلمين بصلاة الجمعة، أنهم إذا أذن المؤذن يوم الجمعة نادى مناد حرم البيع حرم البيع.

وقد علق احد المفسرين على قوله تعالى: "ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" قال:" لأن النتائج الروحية والعملية التي تحصلون عليها من خلال هذه الصلاة العبادية الثقافية المنفتحة على الجانب الاجتماعي والسياسي لا تقدر بثمن، بحيث لا قيمة لما يربحه الإنسان من الأعمال الأخرى التي ينشغل بها عن الصلاة، أمام الربح المعنوي والمادي الذي يحصل عليه في الحاضر والمستقبل من خلال النتائج الواقعية للصلاة على أكثر من صعيد."[1]

وقال بعض المفسرين: "فإذا قضيت الصلاة" أي أديت صلاة الجمعة، ‘‘فانتشروا" أي تفرقوا أيها المؤمنون، "في الأرض" بأن يذهب كل إنسان إلى عمله الموجب للانتشار والتفرق، ‘‘وابتغوا" أي اطلبوا بالكسب وما أشبه "من فضل الله" أي رزقه ولطفه، وبالطبع فان التزود الروحي من الصلاة ثم الانتشار والبحث المتكرر كل أسبوع يصب لصالح التنمية على كافة الصعد.

الآية الثانية عشر: قوله تعالى: " فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ "[2]

تصحيح المسار يعزز من فرص الإنسان في النجاح ويؤكد طريق التنمية للمجتمع، هذا ما تؤكده البصيرة القرآنية في هذه الآية المباركة، ومن خرج عن مسار التنمية يمكن له تصحيح خطأه والالتحاق بها، وأن الذين يتوقع لهم النجاح في الحياة، هم الذين يتراجعون عن المسار الخاطئ،

[1] فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، تفسير الآية ٩ و١٠ من سورة الجمعة، مرجع مذكور

[2] القصص / ٦٧

ويفتحون صفحة جديدة، مع الله سبحانه وتعالى، وهي تعني طريقة جديدة مع الحياة كل الحياة، بإنسانها وجمادها ونباتها وحيوانها، ثم يدعمون ذلك بمزيد من القناعة في الطريقة الجديدة والعمل الصالح.

وقد ذكر مجموعة من المفسرين، منهم صاحب الجلالين والطبري والنسفي والبيضاوي أن "من تاب" في الآية الكريمة، هو التوبة من الشرك، لكن مجمع البيان ذكر انه التراجع عن المعاصي والكفر، وحسب من هدى القرآن: " أن من شروط التوبة هو الرجوع عن الخطأ بمحو آثاره الباطنية من النفس عن الإيمان بالرسالة، وآثاره الظاهرية من السلوك بالعمل الصالح، إذ لا يكفي أن تفتح مع الله صفحة جديدة، بل لابد من أن تملأها بعمل الصالحات."[١]

لكن المتأمل في الآيات التي تتحدث عن التوبة، والأحاديث والروايات يرى أن التوبة اعم من التراجع عن الشرك أو الكفر أو المعاصي، بل هي التراجع حتى عن الأخطاء الطفيفة، حين تكون هذه الأخطاء بمستوى تعويق الإنسان عن تحقيق النجاح في الدنيا والآخرة او ما يتصل بالتنمية المجتمعية، وهذا ما نجده في قوله تعالى: "..وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون"[٢]

وعليه فان التوبة التي تقود إلى النجاح والتنمية، تعني التراجع عن المسار الخاطئ في الحياة، أو عن الخطوات الخاطئة التي تشوب خطة التنمية بعض الأحيان، وربما نفهم منها المراجعة الاستراتيجية المعتمدة لدى المؤسسات بغية تقويم المسار لتحقيق انجاز افضل، ومنع التدهور.

المحور الرابع: المتصاعدون مع التنمية

في المجموعة الثالثة في سلم التنمية والفلاح كما اشار البحث سابقا، نجد المجموعة التي يعتبرها القرآن الكريم في تنمية متواصلة وهم من يقودون العمليات التنموية، فيبلغون بالتنمية الى منتهاها ويتصاعدون معها، من خلال الالتزام المتواصل بالمبادئ والقيم والالتزامات والممارسات التي تحافظ على تواجدهم الدائم في طريق التنمية المنشودة، وهنا تقابلنا كذلك اثنا عشرة آية كريمة في كتاب الله جل وعلا. وهي الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: "أولئك هم المفلحون". وفيما يلي آيات هذه المجموعة، والبصائر المستفادة منها لاستدامة التنمية وتصاعدها.

---

[١] المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير الآية ٦٧ من سورة القصص، مرجع مذكور

[٢] النور / ٣١

الآية الأولى: قوله تعالى: " أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[1]

هذه هي الآية الخامسة من سورة البقرة، وهي تعطي توصيفا لما ورد في الآيات السابقة من ممارسات والتزامات للمتقين، الذين يمثل القرآن الكريم كتاب هداية لهم، فاعتبرتهم المهتدين الناجحين في الدنيا والفائزين بالجنة في الأخرة، وبفهمنا في هذه الدراسة انهم قادة التنمية والمتصاعدون معها في الحياة الدنيا، والفائزون بالجنة في الأخرة.

ولابد هنا من الوقوف عند ما ذكرته الآيات القرآنية عنهم، وهو قوله تعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ "[2]

فهؤلاء الذين اعتبرهم القرآن الكريم في نجاح مستمر وتنمية متصاعدة، يتميزون بأيمانهم بالغيب، واقامتهم للصلاة وانفاقهم مما يكسبون ويؤمنون بما نزل على رسول الله محمد (ص) وما انزل على الانبياء من قبله ويوقنون بالحياة الأخرة، ومن دون شك فان لكل واحدة منها دور فعال في التنمية، فالذين يؤمنون بالغيب يعيشون حالة من الرقابة الذاتية تمنعهم من استغلال امكانيات التنمية لغير صالحها، لاعتقادهم انهم مهما ابدعوا من اساليب لإخفاء عملهم، فان الله مطلع عليها، واقامة الصلاة التي تعني التواصل المستمر مع الله سبحانه وتعالى، تجعلهم يتذكرون كل يوم القيم والمبادئ التي تحتاجها التنمية لتصل الى مبتغاها، وانفاقهم مساهمة فعالة في التنمية لصالح المجتمع ككل، وايمانهم بما نزل على النبي محمد والانبياء من قبله يجعلهم في تفاعل مستمر مع بصائرهم للحياة، والتي تقود الى تنمية مستدامة، اما ايمانهم بالأخرة فهي تجعل مستقبلهم النهائي حاضرا بصورة يومية بين ايديهم فإما جنة ينعمون فيها او نار يصطلون بها.

ولو اردنا التفصيل اكثر حول الصفة الأولى لهم وهي الايمان بالغيب، لوجدنا أن المؤمنين بالغيب يتجاوزون الواقع المعاش بالتفاعل مع القضايا التي لا يصل الحس إليها بشكل مباشر، وحسب تفسير من هدى القرآن: "الإيمان بالغيب يعني تجاوز الحقائق التي يشهدها الإنسان مباشرة للوصول إلى تلك التي لا يشهدها مباشرة، هذه القدرة التي تجعلنا نحن البشر نحصل على ميزة العلم بالمستقبل (الغيب)عن طريق معرفة الحاضر(الشهود) والعلم بالماضي(الغيب) عن طريق مشاهدة

---

[1] البقرة / ٥

[2] البقرة / ٣-٤

أثاره على الحقائق الحاضرة(الشهود).هذه الصفة تتعمق في المتقين إلى درجة الإيمان فهم يؤمنون بالمستقبل وليس يعرفونه فقط ،ويؤمنون بالماضي وليس يعلمونه فقط[١]".

الآية الثانية: قوله تعالى: " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٢]

تدعو الآية المباركة الى ثلاث ممارسات، وهي الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تؤكد ان القائمين بهذه الممارسات هم الناجحون في الدنيا والفائزون بالجنة في الأخرة، اي انهم الذين يمكن لهم قيادة المجتمعات نحو تنمية مستدامة، وهذا يستدعي منا الوقوف على طبيعة العلاقة بين هذه الممارسات والتنمية.

المعروف "هو كلّ ما يعرف وهو مشتق من عرف، و المنكر كلّ ما ينكر وهو مشتق من الإنكار، وبهذا النحو وصفت الأعمال الصالحة بأنها أُمور معروفة، والأعمال السيّئة والقبيحة أُمور منكرة، لأن الفطرة الإنسانية الطاهرة تعرف القسم الأول وتنكر القسم الثاني."[٣]"وقيل كل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا أو شرعا والمنكر ما ينكره العقل أو الشرع."[٤]

والدعوة الى الخير تعني اشاعة الثقافة الايجابية في المجتمع، ومن دون شك ان التنمية بحاجة لثقافة ايجابية ان على صعيد العمل لتنشيط العمليات التنموية او على صعيد الفكر حيث ان الفكر الايجابي يساهم في استيلاد القيم الايجابية ويقلل من حالات التوتر التي تبدد الكثير من الطاقات في المجتمعات، واذا كان المعروف كل ما مدحه الشرع والعقل، والمنكر كل ما انكره الشرع والعقل، فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكمل الدورة الايجابية في المجتمع فتطوره بصورة دائمة وتطهره ذاتيا من اي تلوث، وتحافظ على وحدة المجتمع وتماسكه.

" لأن فقدان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يفسح المجال للعوامل المعادية للوحدة الاجتماعية بأن تنخرها من الداخل، وتأتي على كلّ جذورها كما تفعل الأرضة، و تمزق وحدة الأُمة

---

[١] المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير الآية ٣ من سورة البقرة، مرجع مذكور

[٢] ال عمران / ١٠٤

[٣] الامثل تفسير الآية ١٠٤ ال عمران ، مرجع مذكور.

[٤] مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية ١٠٤ من سورة ال عمران، مرجع مذكور.

وتفرق جمعها، ولهذا فلابدّ من مراقبة مستمرة ورعاية دائمة لهذه الوحدة، ولا يتم ذلك إلاَّ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[١]

وربما دعت الحاجة لتشكيل اجهزة خاصة بذلك، لما تشكل من فهم لدى المفسرين، ان الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتطلب معرفة خاصة بالخير والمعروف والمنكر، فبحسب الرازي: " ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة "[٢]

الآية الثالثة: قوله تعالى: " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٣]

قال في تفسير جامع البيان في تفسير القرآن:" الوزن: مصدر من قول القائل: وَزَنْت كذا وكذا، أَزِنُه وَزْناً وزَنةً، مثل: وَعَدْته أَعِدُه وَعْداً وعِدَةً، وهو مرفوع بالحقّ، والحقّ به. ومعنى الكلام: والوزن يوم نسأل الذين أُرسل إليهم والمرسلين، الحقّ. ويعني بالحقّ: العدل. وكان مجاهد يقول: الوزن في هذا الموضع: القضاء."[٤]

ومثله قال في الكشاف" والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق، أي العدل."[٥]

وقال الشوكاني:" أي الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جور فيه"[٦]

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: " والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله

---

[١] الامثل، تفسير الآية ١٠٤ ال عمران، مرجع مذكور.

[٢] الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، تفسير الآية ١٠٤ ال عمران، مرجع مذكور.

[٣] الاعراف / ٨

[٤] الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مرجع مذكور.

[٥] الزمخشري، الكشاف، مرجع مذكور.

[٦] تفسير فتح القدير/ الشوكاني، مرجع مذكور.

سبحانه "[1]وقال: " فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر."[2]

وقال صاحب الميزان: " فالأقرب بالنظر إلى هذا البيان أن يكون المراد بقوله: (والوزن يومئذ الحق) أن الوزن الذي يوزن به الأعمال يومئذ إنما هو الحق فبقدر اشتمال العمل على الحق يكون اعتباره وقيمته والحسنات مشتملة على الحق فلها ثقل كما أن السيئات ليست إلا باطلة فلا ثقل لها، فالله سبحانه يزن الأعمال يومئذ بالحق فما اشتمل عليه العمل من الحق فهو وزنه وثقله."[3]

وما يمكن لنا فهمه من اقوال المفسرين عن هذه الآية فيما يتصل بالتنمية، ان التنمية الحقيقية هي التي تلتزم بمعيار الحق، لكي تتصف بالاستدامة، فتكون حقا في الدنيا وحقا في الأخرة، وربما يفهم من ضلال الآية المباركة الماحا الى معايير الجودة في قضايا التنمية، فأي تنمية لا تعطي معايير الجودة اهتماما تتقهقر، وهو ما يشير الى ان القائمين على قيادة مشاريع التنمية يسعون ابدا للوصول بها الى حد الكمال، بما يتوفرون عليها من امكانيات وتصورات، ليس فقط من اجل ان يحققوا تنمية طويلة الاجل في الحياة الدنيا، بل لانهم سيساءلون عن الحق في هذه التنمية التي صنعوها في حياتهم الدنيا.

الآية الرابعة: قوله تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[4]

الآية الكريمة تكشف التواصل بين الرسالات السماوية، وان خاتم الانبياء والمرسلين هو امتداد لمن سبقه من الانبياء حيث اشارت الرسالات السماوية التي نزلت في التوراة والانجيل اليه، ودعوته للناس لا تتعارض مع من سبقه من الانبياء والرسل اذ ان مصدرهم واحد وهو الله سبحانه

---

[1] الطبرسي، تفسير مجمع البيان، مرجع مذكور.

[2] المرجع السابق.

[3] الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٨ من سورة الأعراف، مرجع مذكور.

[4] الاعراف / ١٥٧

وتعالى، ما يعني ان التنمية الدينية لكل البشرية، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلل الطيبات ويحرم الخبائث، ويرفع كل نوع من القيود عن الناس لينطلقوا في تشييد التنمية في الحياة

الدنيا، و ينقلبوا بالفوز بالجنة في الأخرة، ولقد استطاع المسلمون الأول القيام بذلك حين آمنوا بالنبي المرسل وعزروه ونصروه واتبعوا التعاليم الإلهية التي أنزلت عليه.

" والأمي: إما نسبة إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب، وهم العرب، أو نسبة إلى الأم. والمعنى أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب ولا يقرأ المكتوب؛ وقيل نسبة إلى أمّ القرى، وهي مكة. "[1]

وعن قوله تعالى: (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)، قال في مجمع البيان في تفسير القرآن:" معناه يجدون نعتة وصفته ونبوته مكتوباً في الكتابين."[2]

و " الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال."[3]

وجاء في تفسير مفاتيح الغيب عن معنى الخبائث: " كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس كان تناوله سبباً للألم، والأصل في المضار الحرمة، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا لدليل منفصل."[4]

وما يهمنا هنا هو التأكيد على ان الالتزام بالقيم التي التزم بها المسلمون الأوائل وادت بهم الى التقدم في الحياة، والتفوق على من سواهم، يمكن لها ان تساهم اليوم ايضا في تشييد تنمية تستحق الاحترام والتقدير، وتكون مثالا يحتذى به.

الآية الخامسة: قوله تعالى: " لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[5]

---

[1] الشوكاني، فتح القدير، مرجع مذكور.

[2] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، مرجع مذكور.

[3] الزمخشري ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف، ج2، ص 53، مكتبة المعارف، الرياض، من دون تاريخ.

[4] الرازي، تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، مرجع مذكور.

[5] التوبة / ٨٨

يقدم القرآن الكريمة في هذه الآية المباركة، مثالا واضحا للذين يمكن لهم ان يصنعوا التنمية ويتصاعدون معها، وهو النبي محمد (ص) والجيل الذي عاش معه، وقيمة هذا المثال، من كون التنمية بحاجة الى نماذج سابقة يمكن الاستفادة من خبرتها، والبناء على طريقتها، وهذا ما نجده في

آيات اخرى حيث يدعو القرآن الكريم بشكل واضح للتعلم من التجربة الاسلامية الأولى للحياة الدنيا، والاخرة.

والقرآن الكريم يقدم لنا مثالا واضحا للناجحين ويطلب منا تمثله في حياتنا لكي نحقق إنجازا في الحياة يمكن له أن يحاكي ما حققه القدوة من إنجاز.

لقد استطاع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد(ص) أن يحول أمة متخلفة إلى امة قدمت أقوى حضارة رأتها البشرية في لحظتها التاريخية، كما أنه تحول في فترة زمنية وجيزة من يتيم إلى أقوى رجل على وجه الأرض بمقاييس الدين والدنيا .يقول تعالى:" ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.."[1]

والأسوة هو القدوة والمثال كما يقول المفسرون، ولاشك أن القرآن الكريم حين يطلب منا أن نجعل النبي مثالا نقتدي به يريد لنا أن نتمثله في جانبه الإنساني الذي استطاع من خلاله أن يحقق رسالته في الحياة، ولقد كان نجاحه عليه السلام نجاحا منقطع النظير بكل المقاييس، واسس لتنمية شاملة ومستدامة، أما ما يتصل بالسماء في شخصيته فلا يمكن لنا أن نصل إليه إذ هو اختيار إلهي لا دخل للناس فيه.

وبكل وضوح يعتبر القرآن الكريم النبي محمدا (ص) والجيل الأول من المسلمين، الذين كانوا معه، ناجحين في دنياهم وأخرتهم، ويمكن الاقتداء بهم في تشييد تنمية من جديد، وهو ما نستقرؤه من هذه الآية المباركة.

ويكشف القرآن الكريم عن الحيوية والفاعلية التي اتسم بها هذا المجتمع مما جعله بحق يسطر الإنجاز بعد الإنجاز والنجاح تلو النجاح، يقول تعالى واصفا إياهم: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على

[1] الاحزاب / ٢١

سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما"[1]

[1] الفتح/ ٢٩

الآية السادسة: قوله تعالى: " فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[1]

هذه الآية تكرر ما سبق في الآية ٨ من سورة الأعراف، قوله تعالى: " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2] لكننا سنشير هنا الى المقارنة التي اراد القرآن الكريم لفت عناية الناس اليها، حين يكتشفون كم فرطوا في فرصة حياتهم ولم يستثمروها لتنمية دنياهم واخرتهم، فبعد هذه الآية مباشرة يقول تعالى: " وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ "[3]

ومن دون شك فان المؤمنين تحرك فيهم مثل هذه الآيات الدافعية نحو مزيد من الانتاجية لصالح تنمية شخصية ومجتمعية وحضارية، تعود عليهم بالنفع في الأخرة.

الآية السابعة: قوله تعالى: " إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[4]

يمكن فهم هذه الآية المباركة من خلال وضعها في السياق الذي جاءت فيه، وهي الآيات ٤٧ وحتى ٥٢ من سورة النور، وهو قوله تعالى: " وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

---

[1] المؤمنون / ١٠٢

[2] الاعراف / ٨

[3] المؤمنون / ١٠٣- ١١١

[4] النور / ٥١

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ "[1]

ويتضح من السياق ان القرآن الكريم يقارن بين المؤمنين والمنافقين، وهي مقارنة درج القرآن الكريم على الاتيان بها في عدد من السور، وما يجب التنبه له بالنسبة للتنمية، ان وجود تصور لها، وتخطيط ورؤية، غير كاف لتحققها، ما لم يتم التجاوب والتفاعل معها من قبل شريحة كبيرة في المجتمع، وهذا الذي يقوم به المؤمنون حيث يتفاعلون مع الرؤية التي ارادها لهم الاسلام، وقاد عملياتها التنموية النبي محمد (ص) وتجاوب معه المؤمنون ولم يترددوا كما صنع المنافقون، الذين تقتصر تجاوبهم مع ما يرون فيه منفعة شخصية لهم، ودلائل التاريخ تشهد ان النبي (ص) نجح في فترة قصيرة من الزمن في الدفع باتجاه تنمية استمرت لفترة ليست بالقصيرة في تاريخ البشرية، رغم ما مرت به من انتكاسات.

الآية الثامنة: قوله تعالى: " فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2]

قال الزمخشري في الكشاف: "حق ذي القربى: صلة الرحم. وحق المسكين وابن السبيل: نصيبهما من الصدقة المسماة لهما."[3] و علل الرازي اقتصار العطاء في الآية على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل دون غيرهم، أن " في تخصيص الأقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع أن الله ذكر الأصناف الثمانية في الصدقات فنقول أراد ههنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال سواء كان زكوياً أو لم يكن، وسواء كان بعد الحول أو قبله لأن المقصود ههنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للمحسن مال زائد، أما القريب فتجب نفقته وإن كان لم تجب عليه زكاة كعقار أو مال لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فإن من لا شيء له إذا بقي في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته، وإن لم يكن عليه زكاة، وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر دابة يمكنه بها إيصاله إلى مأمن يلزمه ذلك، وإن لم تكن عليه زكاة والفقير داخل في المسكين لأن من أوصى للمساكين شيئاً يصرف إلى الفقراء أيضاً، وإذا نظرت إلى

---

[1] النور / ٤٧- ٥٢

[2] الروم / ٣٨

[3] الزمخشري، تفسير الكشاف، تفسير الآية ٣٨ من سورة الروم، مرجع مذكور.

الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم واعتبر ذلك في العامل والمكاتب والمؤلفة والمديون. "[1]

ومن دون شك ان عطاء هذه الفئات يساهم في رفع حاجتهم من ناحية ويؤدي الى تماسك المجتمع ومنع الجريمة فيه ويرفع من العائد الاقتصادي في المجتمع، فتحريك المال لدى فئات تحتاجه للاستهلاك، والناتج القومي يتأثر كثيرا بزيادة الاستهلاك، اضافة الى منع المال من التجميد في ايدي المستغنين عنه في حاجاتهم الأولية، وكل ذلك من شأنه ان يساهم بفعالية في التنمية الشخصية والمجتمعية.

الآية التاسعة: قوله تعالى : " أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2]

يمكن فهم مدلول الآية المباركة من خلال وضعها في السياق الذي جاءت فيه، حيث انها تكشف عن نتيجة ممارسات للذين وصفتهم بالمحسنين، والذين يمثل القرآن الكريم لهم هدى ورحمة، وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالأخرة، " فإنّ ارتباط هؤلاء بالخالق عن طريق الصلاة، وبخلق الله عن طريق الزكاة، ويقينهم بمحكمة القيامة باعث قوي على الابتعاد عن الذنب والمعصية، ودافع لأداء الواجبات."[3]

وبحسب تفسير من هدى القرآن، فان هذه الآية وما قبلها يدور موضوعها حول الاحسان:" الذي يجب ان يكون صيغة العلاقة بين الانسان و الآخرين ، و لا ريب ان سعي البشر لبناء المستقبل الفاضل لنفسه طموح شريف ، اما اذا كان هذا السعي مبنيا على أساس الاستئثار و الأخذ من الآخرين فقط فهو أمر مرفوض ،اذ ينتهي بالمجتمع الى الصراع و الشقاء ، من هنا يحث القرآن الحكيم على علاقة متوازنة ، تعتمد ركيزتي الأخذ و العطاء ، التي لو انتهجهما المجتمع لتدرج نحو الكمال الحضاري لان العلاقة حينها ستكون البناء و التكامل بين افراد المجتمع. . و لو تدبرنا آيات القرآن لوجدنا ان من أهم ميزات الانبياء الاحسان الى الناس ، بل و قد تكون العامل الهام في اصطفائهم للنبوة ."[4]

---

[1] تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي، مرجع مذكور.

[2] لقمان / ٥

[3] الأمثل تفسير الآية ٥ من سورة لقمان، مرجع مذكور.

[4] المدرسي، محمد تقي، تفسير الآية ٥ من سورة لقمان، مرجع مذكور.

"و الاحسان ليس رحمة للمجتمع و حسب ، بل هو هدى له ايضا ، اذ يهديه الاحسان الى سبل استغلال الطبيعة و تسخيرها في خدمة الانسان ، ذلك ان من صفات المجتمع الايماني ، بحث افراده عن وسائل للعطاء و الاحسان ، و لا يمكنهم ذلك الا بتسخير الطبيعة ، مما يدفعهم لاستغلالها ، و اعمال عقولهم بحثا عن حل لكل المشاكل و العقبات التي تعترض هذا الهدف ، و بالتالي فان أبوابا كثيرة سوف تنفتح أمامهم ، و كلها طرق جديدة للسيطرة على الحياة و استغلالها ، و هذا جانب من الهداية . أو ليست الحاجة أم الاختراع ؟! "[1]

وبذلك يتبين لنا العلاقة بين الاحسان والتنمية، حيث ان الذين يقودون عمليات التنمية كلما توفروا على الاحسان في نظرتهم للناس كلما استطاعوا خدمة مشاريع التنمية بأفضل صورها، على العكس من ذلك فان عباد الذات والمصلحيين لا يفكرون الا في كسبهم الشخصي، على حساب مشاريع التنمية.

الآية العاشرة: قوله تعالى: " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2]

قادة التنمية منسجمون في عقيدتهم وعواطفهم وبين معرفتهم ومشاعرهم، وهذا الانسجام بين المشاعر والمعرفة والعقيدة والعاطفة يجعل التركيز عندهم في قمته، وهو ما يعلي من انتاجيتهم على كافة صعد التنمية، وبرغم ما يمتلكونه من حس انساني رفيع، لطبيعة المرجعية الفكرية التي يؤمنون بها وهي القرآن الكريم، الا انهم يجعلون القرب والبعد بينهم والاخرين بناء على ما يحقق الاهداف التي يتطلعون اليها، وهي تحقيق سعادتهم وسعادة الاخرين في الدنيا والاخرة، لا لمجرد علاقة النسب والالتقاء في الرحم الواحد.

---

[1] المصدر.

[2] المجادلة / ٢٢

"إنّ حبّ الآباء والأبناء والأُخوان والعشيرة شيء ممدوح، ودليل على عمق العواطف الإنسانية، إلاّ أنّ هذه المحبّة حينما تكون بعيدة عن حبّ الله فإنّها ستفقد خاصيّتها، وطبيعي أنّ من يتعلّق بهم الإنسان ليس مختصاً بالأقسام الأربعة التي استعرضتها الآية الكريمة، ولكن هؤلاء أقرب عاطفياً من غيرهم للإنسان، وبملاحظة الموقف من هؤلاء سيتّضح الموقف من الآخرين."[1]

وحينها يترسخ الايمان في قلوبهم، ويؤيدهم الله بطاقة مضاعفة، ويدخلهم الجنة ليخلدوا فيها، ويتلقون الجائزة الكبرى برضى الله عنهم ورضاهم عنه، بما اسبغ عليهم من نعم في الدنيا والاخرة.

واعتبار الروح طاقة متجددة تخدم العمليات التنموية، ينسجم مع ذهب اليه صاحب الميزان في تفسير القرآن، حيث ذكر:" ثم الروح - على ما يتبادر من معناها - هي مبدأ الحياة التي تترشح منها القدرة والشعور فإبقاء قوله: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ على ظاهره يفيد أن للمؤمنين وراء الروح البشرية التي يشترك فيها المؤمن والكافر روحا أخرى تفيض عليهم حياة أخرى وتصاحبها قدرة وشعور جديدان."[2]

الآية الحادية عشر: قوله تعالى: " وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ "[3]

ذكر القرطبي:" كان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غَنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير، دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم. ثم قال: " (إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم). فقال سعد بن عُبادة وسعد بن معاذ: بل نقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم

---

[1] تفسير الامثل، سورة المجادلة، الآية ٢٢، مرجع مذكور.

[2] تفسير الميزان، تفسير سورة المجادلة، الآية ٢٢، مرجع مذكور.

[3] الحشر / ٩

ارحم الأنصار وأبناء الأنصار) " وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار."[١]

لقد اكبر القرآن الكريم في الانصار هذه الروح، وهذا الايثار العظيم، وسجل قانونا عاما للتنمية يجري مجرى الزمان والمكان، ان التنمية مع الايثار وليست مع الاستئثار، وهو ما جرى بالفعل في تاريخ المسلمين، حيث تحولوا في برهة من الزمن الى قوة ضاربة في الارض وحضارة سامقة، يتشرف الأخرون بالعيش تحت ضلالها.

قال بعض المفسرين:" الشح والبخل واحد."[٢] و قيل كما "في الكافي والفقيه عن الصادق (عليه السلام) الشح أشد من البخل إن البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئا إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله."[٣]

ومن دون شك ان تنمية يقودها اناس تغلبوا على شح انفسهم، لقادرون على الوصول بها الى ارقى صور الحضارة التي يمكن للبشرية صناعتها على وجه الارض.

الآية الثانية عشر: قوله تعالى: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٤]

جاءت الآية في سياق التحذير من الوقوع تحت تأثير الاسرة المحيطة بالإنسان، حيث يمكن لها ان تحرفه عن اهدافه التنموية ان على الصعيد الشخص او المجتمعي، وحين يصل تأثير الاسرة الى هذا الحد فإنها تصبح بمنزلة العدو، يقول تعالى:" يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَجِكُمْ وَأَوْلَـدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَـدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ "[٥] و كما أن العداوة تتخذ ألوانا فان عداوة الازواج و الاولاد قد لا تظهر على شفرة سيف ، و لا سنـان رمـح ، و لكنها تتمثل في مظاهر اخرى عاطفية و اجتماعية و

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية ٩ من سورة الحشر، مرجع مذكور.

[٢] الطوسي، التبيان الجامع لعلوم القرآن، تفسير سورة الحشر آية ٩، مرجع مذكور.

[٣] الكاشاني، الشيخ محسن الفيض، تفسير الصافي، الآية ٩ من سورة الحشر، http://www.hodaalquran.com/

[٤] التغابن / ١٦

[٥] التغابن / ١٤- ١٥

اقتصادية ، فحينما يكون المؤمن متفانيا لقضيته منصهرا في بوتقة اهدافه فان معاداة ،أسرته للقضية و الاهداف هي في الواقع معاداة له ذاته "[1]

و " الفتنة ما يبتلى ويمتحن به، وكون الأموال والبنين فتنة إنما هو لكونهما زينة الحياة تنجذب إليهما النفس انجذاباً فتفتتن وتلهو بهما عما يهمها .. والجملة كناية عن النهي عن التلهي بهما والتفريط في جنب الله "[2]

قال الرازي في مفاتيح الغيب: " وقوله تعالى: { وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ } الشح هو البخل، وإنه يعم المال وغيره، يقال: فلان شحيح بالمال وشحيح بالجاه وشحيح بالمعروف، وقيل: يوق ظلم نفسه فالشح هو الظلم، ومن كان بمعزل عن الشح فذلك من أهل الفلاح فإن قيل: { إِنَّمَا أَمْوٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ } ، يدل على أن الأموال والأولاد كلها من الأعداء و { إِنَّ مِنْ أَزْوٰجِكُمْ وَأَوْلـٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ } يدل على أن بعضهم من الأعداء دون البعض، فنقول: هذا في حيز المنع فإنه لا يلزم أن يكون البعض من المجموع الذي مر ذكره من الأولاد يعني من الأولاد من يمنع ومنهم من لا يمنع، فيكون البعض منهم عدواً دون البعض."[3]

وقد نقل الشوكاني عن اسباب نزول هذه الآيات، " أن رجالاً من مكة أسلموا، وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله سبحانه بأن يحذروهم، فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريده الله "[4]

وهنا يمكن لنا فهم هذه البصيرة القرآنية بالنسبة للتنمية، ان قيادات التنمية هم الذين تخلصوا من الضغوطات القريبة والبعيدة التي تحول بينهم وتحقيق تطلعاتهم التنموية، ان على المستوى الشخصي او المجتمعي.

---

[1] المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير الأية ١٥ سورة التغابن، مرجع مذكور.

[2] الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع مذكور.

[4] الشوكاني، تفسير فتح القدير، مرجع مذكور.

المحور الخامس: المحققون للتنمية

المحققون للتنمية بحسب القرآن الكريم، وكما في سلم التنمية حسب ما ذكر في الصفحات الماضية، هي المجموعة التي وصلت إلى القمة في سلم الفلاح والتنمية واستقرت فيها، وهنا تقابلنا ثلاث آيات تتكلم بلغة القطع والتحقيق، وهي الآيات التي تبدأ بأداة التأكيد والتحقيق "قد"، وهذه هي الآيات الكريمات:

قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ "[١]

و قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى "[٢]

و قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا "[٣]

وهنا ينبغي القاء الضوء على كل واحدة من هذه الآيات في سياقها الذي وردت فيه مع استنباط البصيرة التنموية منها.

الآية الأولى: قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ "[٤]

لفظة "المؤمنون" اطلقت تسمية وعنوانا لسورة كاملة في القرآن الكريم، وهي التي وردت في افتتاحها هذه الآية، ومن الأهمية بمكان استعراض المواضيع التي ارادت هذه السورة التركيز عليها بحسب ما نقله بعض المفسرين، ذلك لان هنالك تداخلا وترابطا لا يمكن اغفاله بين المواضيع التي تطرحها كل سورة في القرآن الكريم، حتى انك لتجد السورة وحدة متكاملة، ولعل هذا ما توحي به تسمية السور القرآنية بالسورة، وان كان لدى بعض المفسرين تحفظا على الترابط، لكننا نعتقده.

وبحسب احد التفاسير، فان السورة المباركة تتكون من سبعة اقسام وخاتمة[٥]:

القسم الأوّل: يبدأ بالآية (قد أفلح المؤمنون) وينتهي بعدد من الآيات التي تذكر صفات هي مدعاة لفلاح المؤمنين، وهذه الصفات دقيقة وشاملة تغطّي جوانب الحياة المختلفة للفرد والمجتمع.

---

[١] المؤمنون / ١

[٢] الأعلى / ١٤

[٣] الشمس / ٩

[٤] المؤمنون / ١

[٥] الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير سورة المؤمنون، مرجع مذكور.

القسم الثّاني: التوحيد وآيات عظمة الله وجلاله في عالم الوجود، فعدّدت نماذج لذلك العالم العجيب في خلق السّماء والأرض والإنسان والحيوان والنبات، وهي ما تدعم الايمان.

القسم الثّالث: شرح لما حدث لعدد من كبار الأنبياء، كنوح وهود وموسى وعيسى (عليهم السلام)، وبيّن شرائح من تأريخ حياتهم للعبرة والموعظة.

القسم الرّابع: وجّه الخطاب سبحانه وتعالى إلى المستكبرين يحذّرهم ببراهين منطقيّة تارةً، وأُخرى بتعابير دافعة عنيفة، ليعيد القلوب إلى طريق الصواب بالعودة إليه عزّ وجلّ.

القسم الخامس: بحث مركّز عن المعاد.

القسم السادس: تأكيد لسيادة الله عز وجل على عالم الوجود، وإطاعة العالم لأوامره.

القسم السابع: ذكر حساب يوم القيامة، وجزاء الخير للمحسنين، وعقاب المذنبين.

وتختم السورة ببيان الغاية من خلق الإنسان.

وعموما فالسورة مجموعة من دروس العقيدة والعمل، وقضايا التوعية وشرح لنهج المؤمنين من البداية حتّى النهاية.

وما يهمنا في هذا الاستعراض، هو التأكيد على حقيقة عدم التفكيك بين الآيات في السور القرآنية، فهي وان كان تتحدث عن مواضيع متعددة الا انها في محصلتها النهائية، تؤدي الى مؤدى واحد، وفي تقديرنا انها خدمة هذا الانسان لتحقيق التنمية ليسعد في هذه الدنيا ويفوز بالجنة في الأخرة، وما سورة المؤمنون الا انموذج للسور القرآنية، والتأمل في كل السور سيقود الى ذات النتيجة.

وبالرجوع للآية المباركة فان المقصود بالمؤمنين هم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واخرته، والاداة قد وفعل الماضي افلح للتأكيد على فلاحهم، وهو ما يعني استقرارهم في النجاح الشخصي والتنمية المجتمعية، وفوزهم بالجنة في الأخرة، وهذا الفلاح راجع لالتزامهم بمجموعة من الممارسات، ولكل واحدة منها تأثير بين في التنمية الشخصية والمجتمعية، واذا ما اردنا استعراضها، فهي كالتالي:

أولا: الخشوع في الصلاة. وهو قوله تعالى: "الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَـشِعُونَ"[1] والخشوع هو تمام الخضوع المستقر في القلب والمنعكس على الجوارح، وما الخشوع الا اشعارا بمدى استعداد هؤلاء لتنفيذ ما يؤدي بهم للتنمية المنشودة دينيا لينجحوا في الدنيا ويفوزون بالجنة في الأخرة، حيث ان الصلاة والعمل عندهم بصفة واحدة لأنها لله والعمل لله، وهكذا تتخذ الاعمال لصالح التنمية صبغة عبادية، يتذكرها كلما وقف للصلاة بين يد الله عز وجل، واستشعر الخشوع في صلاته.

ثانيا: الاعراض عن اللهو. وهو قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغوِ مُعْرِضُونَ "[2] واصل اللهو هو كل ما يلهي الانسان عما يجب القيام به، ونفهم هنا ان هؤلاء يتميزون بالتركيز في ما يحقق اهدافهم، ويعرضون عن اي شيء يلهيهم عن مشاريعهم، وهي صفة في غاية الاهمية في تحقيق الاهداف الشخصية والمجتمعية، وبالـتأكيد فان ذلك سينعكس على تصديهم لمشاريعهم وسوف يحققون النجاح فيها.

ثالثا: التزكية لأموالهم بالمساهمة في اعطاء من يحتاجها سواء من المشاريع او الافراد، وهو ما نفهمه من قوله تعالى : " وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَـعِلُونَ "[3] وبالتأكيد فان هذه الممارسة تجعل التنمية في حالة تفاعل من قبل كافة شرائح المجتمع، وتستغني ذاتيا عن الحاجة للتمويل الخارجي.

رابعا: التناول السوي لحاجتهم الجنسية، وهو ما تشير اليه الآيات المباركات " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـفِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ "[4] ومن دون شك فان التناول السوي للغريزة الجنسية يؤثر بشكل كبير على المسيرة التنموية، حيث انها من ناحية تجعل المجتمع طاهرا في العلاقة الجنسين، ويؤدي الى بناء اسري مستقر، ويمنع الوقوع في الجرائم التي تستولد جرائم اخرى، تأخذ من امن واستقرار المجتمع، وهذا الموضوع من المواضيع التي لم تلتفت اليها مشاريع التنمية، لكن في الاسلام يعتبره موضوعا اساسيا في قضية التنمية.

---

[1] المؤمنون /٢

[2] المؤمنون / ٣

[3] المؤمنون / ٤

[4] المؤمنون / ٥،٦،٧

خامسا: المحافظة على الامانة والوفاء بالعهد، وهو ما يشير اليه قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ "[1]، والحفاظ على الامانة والوفاء بالعهد التزام يدعم الثقة في المجتمع، ويساهم في المشاركة المجتمعية في مشاريع التنمية، وهي قضية ملحة في مشاريع التنمية، وهي ما تجعل الشفافية مقبولة، ولا يخشى منها القائمون على المشاريع التنموية، فينجح القائمون على مشاريع التنمية وينجحون معه المشاريع، ويرتقون بالمجتمع ككل.

سادسا: المحافظة على الصلاة، وهو ما يقوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ " والمحافظة على الصلوات تعني الالتزام بأدائها في اوقاتها وبشروطها، وهي تعني التزام يومي، يؤدي الى بناء شخصيات منظمة، دقيقة في ادائها واعمالها، ومن خلال الصلاة يتعلم المجتمع اهمية الالتزام اليومي، والدقة في العمل، وعدم الكلل للتكرار، رغبة في الانجاز والنجاح.

هذه اذن حزمة من المواصفات للذين يعتبرهم القرآن الكريم قد وصلوا الى تحقيق الفلاح، والتنمية المنشودة من وجهة نظر دينية اسلامية، والحق ان التأمل فيها مجتمعة يرى انها بالفعل تصنع شخصيات ناجحة، يمكن لها بناء حضارة تقود بقية المجتمعات البشرية.

الآية الثانية: قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى "[2]

ذكر احد المفسرين ان السورة المباركة، تقدم وصفة الفلاح في الدنيا والأخرة، وهي ذات الوصفة للتنمية، حيث " يهدي الله الانسان الى الفلاح، بالقرآن الذي يقرؤه الرسول فلا ينسى منه حرفا ليذكر به الناس ، و لكن من الذي يتذكر ؟ انما الذي يخشى ، بينما الذي يسد منافذ قلبه من دون التذكر فهو الأشقى الذي يصلى النار الكبرى فلا يموت فيها و لا يحي، و اذا استطاع الانسان الإقلاع من جاذبية الدنيا و التحليق في أفق الآخرة التي هي خير و أبقى فانه يخطو الخطوات الأولى على طريق الفلاح ، أما الثانية فالخشية ثم التذكر، و بعدهما تأتي التزكية كخطوة ثالثة تحمله الى الصلاة و الزلفى الى رب العزة ."[3]

---

[1] المؤمنون / ٨

[2] الأعلى / ١٤

[3] المدرسي، من هدى القرآن، تفسير سورة الأعلى، مرجع مذكور.

ويؤكد أن: "آيات سورة الأعلى لتذكرنا ببلاغة نافذة بذات الحقائق الكبرى التي لابد ان نعيها حتى نبلغ الفلاح . و إنها لمعجزة القرآن ان كل سورة منه تذكر بذات الحقيقة ، و لكن بطريقة متميزة جديدة .. بلى ان الحقائق الكبرى تتجلى في مظاهر شتى لأنها غير ما نشهده من الحقائق الجزئية ، وهي خلاصة صحف الله التي بعثها الى انبيائه العظام كإبراهيم و موسى عليهما السلام."[١]

واذا ما ركزنا الضوء على الآية، سنجد انها تؤكد ان الفلاح يتحقق مع من يتزكى، وكما سبق ان وجدنا ان التزكية كعملية تعني التطهير والتطوير، وهي ذات معنى التنمية، فنفهم منها ان من يعمل على تطهير نفسه وتطويرها، سيحقق اهدافه ان على الصعيد الشخصي او المجتمعي، وهو ما تريده التنمية بالضبط، وهذا يعني ان المجتمعات التي تريد ان تكون متقدمة وحضارية لابد لها من التخطيط للتنمية والعمل الجاد على تنفيذها.

قال الطبري في تفسيره: " قد نجح وأدرك طلبته من تطهَّر من الكفر ومعاصي الله، وعمل بما أمره الله به، فأدّى فرائضه."[٢]

وقال الزمخشري : " (تَزَكَّىٰ) تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة. أو تكثر من التقوى، من الزكاة وهو النماء. أو تفعل من الزكاة، كتصدق من الصدقة. "[٣]

وحسب ابن كثير، ان المقصود بتزكى: " طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه "[٤]

وعند الطبطبائي، ان التزكي هنا بمعنى " التطهر والمراد به التطهر من ألواث التعلقات الدنيوية الصارفة عن الآخرة بدليل قوله بعد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) الخ، والرجوع إلى

---

[١] المصدر

[٢] الطبري، تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير سورة الأعلى، مرجع مذكور.

[٣] الزمخشري، تفسير الكشاف، تفسير سورة الأعلى، الآية ١٤، مرجع مذكور.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، الآية ١٤ سورة الأعلى، مرجع مذكور.

الله بالتوجه إليه تطهر من الإخلاد إلى الأرض، والإنفاق في سبيل الله تطهر من لوث التعلق المالي حتى أن وضوء الصلاة تمثيل للتطهر عما كسبته الوجوه والأيدي والأقدام."[١]

وما يؤكد عليه المفسرون انما هو اصدق امثلة التطهير من اجل التنمية الشخصية، التي تفضي بدورها لتنمية مجتمعية، حين تدب في المجتمع روح التزكية على الصعيد العام.

الآية الثالثة: قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا "[٢]

هذه الآية التاسعة من سورة الشمس، ولو لم يوجد في القرآن الكريم الا هذه السورة لكفت مدلولا قرآنيا على التنمية بمختلف ابعادها، ففي هذه السورة المباركة اشارة الى الموارد التنموية، وتركيز على اهمية تحقيق الهدف الصائب للحياة الدنيا، عبر عملية التنمية، ثم تأتي السورة بمثال لقوم ثمود الذين كانوا يعيشون وفرة من حيث الموارد الاقتصادية، لكن حضارتهم تدمرت في ايام بسبب اعتلال نظرتهم للحياة وسوء ادارتهم لها.

قال المفسرون عن مجمل السورة، ان محور السورة الآيتان التاسعة والعاشرة، " حيث توحيان بالبصيرة النافذة . ان بلوغ قمة الكمال عند النفس لا يتم إلا بالتزكية ، بينما الفشل ينتظر من يدس نفسه في وحل الجاهلية و ركامها."[٣]

و " تذكر السورة أن فلاح الإنسان - وهو يعرف التقوى والفجور بتعريف إلهي وإلهام باطني - أن يزكي نفسه وينميها إنماء صالحا بتحليتها بالتقوى وتطهيرها من الفجور، والخيبة والحرمان من السعادة لمن يدسيها، ويستشهد لذلك بما جرى على ثمود من عذاب الاستئصال لما كذبوا رسولهم صالحا وعقروا الناقة. "[٤]

---

[١] الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير سورة الأعلى الاية ١٤، مرجع مذكور.

[٢] الشمس / ٩

[٣] المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، تفسير سورة الشمس، مرجع مذكور.

[٤] الطبطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تفسير سورة الشمس، مرجع مذكور.

وما يجدر الانتباه له ان في السورة من الاقسام ما لم تحظ به اي سورة أُخرى في القرآن الكريم، وفيها يأتي القرآن الكريم بمثال مجتمعي لمصير من يعطي التنمية الشاملة ظهره، غير عابئ بنتائجها الكارثية، حيث أن قوم "ثمود" كنموذج لأقوام طغت وتمردت، وانحدرت بسبب ترك التزكية (التنمية) إلى هاوية الشقاء الأبدي، والعقاب الإلهي الشديد.

وعن الآية نفسها، " تطل الخطة القرآنية على مسألة التزكية بهذا العنوان الذي يؤكد ارتباط الفلاح بها ارتباطا عضويا في الدنيا والاخرة، للإيحاء بان الفكر المستقيم الصائب لا يكفي في ذلك اذا لم تنضم اليه التربية الروحية والتوجيه العملي الذي يحول الفكر الى ايمان، ويحرك الايمان في دائرة الشعور، لتكون الحركة العامة خاضعة للعمق الايماني الذي يثير المعاني الطاهرة في كل جوانبها واوضاعها العامة والخاصة."[1]

ويمكن لنا ان نستوحي من هذه الآية في سياق السورة المباركة، ان القرآن الكريم بعد ان يلفت النظر نحو مصادر الطاقة والموارد الاقتصادية الطبيعية التي تؤثر بشكل حاسم في كافة ابعاد التنمية، ويأتي بمثال تاريخي لمن اساء ادارة الحياة وهم قوم ثمود، الذين لم يتجاوبوا مع النبي الناصح، وتواطؤا مع الشقي العاثر، ان تزكية النفس بمعني تطهيرها وتنميتها، هي التي تشكل عنصرا حاسما في قضايا التنمية، حيث ان الفرد يمكن له ان يقود المجتمع نحو المزيد من التنمية والتطور، او يجر عليه الدمار والتخلف.

من هنا فان التنمية تبدأ من العنصر البشري الذي يشكل الوحدة الأولى في الموارد البشرية، والعناية بهذا العنصر والعمل على تنميته مسألة في غاية الخطورة بالنسبة لكافة مشاريع التنمية، وهو بالفعل ما خلصت اليه نظريات التنمية.

---

[1] فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، الطبعة الثانية، المجلد ٢٤، ص ٢٨٤، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م

المبحث الثالث : متممات الرؤية التنموية

حتى تكتمل الرؤية التنموية لابد من التعرض لبعض العوامل التي ركزت عليها الرؤية التنموية بشكل اكبر من البقية وتكرر ذكرها في العديد من الآيات، وهو ما سيؤدي الى اكتمال الصورة ودقتها وبلورتها في الأذهان لشحذ الهمم في التفاعل مع هذه الرؤية، سيتعرض هذا المبحث في عدد من المحاور لدور التقوى والصلاة والزكاة وفعل الخير التنموي، بغية استكمال الرؤية التنموية، ورفع اللبس في تصور بعض المفاهيم الدينية.

المحور الأول: دور التقوى في الرؤية التنموية

اننا نجد الربط الواضح بين الفلاح كرؤية تنموية للإسلام والتقوى، في بداية سورة البقرة، التي يعبر فيها القرآن الكريم بانه كتاب الهداية للمتقين، ثم بعد ان يذكر صفاتهم، يؤكد ان هؤلاء هم المهتدون المفلحون "اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون".[١] كما يربط القرآن الكريم بين التقوى والفلاح في الآيات التي تتحدث عن الجانب العملي في تحقيق التنمية، كما في قوله تعالى:" يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون"[٢] وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون "[٣] وقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون "[٤] وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا

---

[١] البقرة / ٥

[٢] البقرة / ١٨٩

[٣] آل عمران / ١٣٠

[٤] آل عمران / ٢٠٠

إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون "[1] وقوله تعالى: "قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون "[2]

وكل ذلك يشير الى مركزية التقوى كممارسة في العملية التنموية، غير أن التقوى كمفهوم، تعد من ابرز المفاهيم الدينية التي شوهت في عقليات المسلمين وغيرهم، بسبب التداول السلبي لهذه اللفظة، فقد يعرض الخطاب الديني التقوى كحالة ماضوية لا يمكن للمعاصرين الوصول اليها، وقد انقضى الوقت الذي يمكن للناس التفاضل (والتنافس)على اساسها، وربما قدم البعض التقوى كقيمة ترتبط بالأخرة فقط، سيما مع الخطابات الدينية المتزمتة التي تخيف الناس من النار اكثر مما ترغبهم في الجنة، فيشعر المرء حين يصرخ عليه الخطيب في كل خطبة: اتقي الله، ان جهنم ستخرج من حنجرة الخطيب لتلتهمه، وبشكل لا شعوري مع التكرار تتحول التقوى الى اثارة مخيفة ترتبط بالأخرة ولا علاقة لها بمعاش الناس ويومياتهم.

ومع التأكيد على ان التقوى تقي الانسان الوقوع في نار جهنم في الاخرة الا ان الصحيح انها تمنع عنه نار الدنيا قبل تلك النار، ومن المشكوك فيه ان يعيش انسان النار في الدنيا ان يتخطاها في الاخرة، ونار الدنيا تتمثل في الجهل والعجز والتخلف والفقر والعوز والامراض النفسية الاجتماعية المدمرة، بينما نجدها في الخطاب الأول للمسلمين مفعمة بالحيوية والفاعلية

والمراجعة المتأملة للآيات التي تتحدث عن التقوى، تكشف عن ربط بين التقوى وكل عوامل التقدم والتحضر في الحياة، فأينما يممت وجهك شطر آية من آيات التقوى وجدت فيها دعوة صريحة لحياة طيبة راقية، وجنة عرضها السماوات والارض في الاخرة، ومن خلال التتبع لهذه الايات المباركات نجد ان التقوى تتخذ عدة ابعاد فتعطينا عدة معان بعدد هذه الابعاد والمعنى الجامع لكلمة التقوى هو ما يجمعها كلها، فقد تعني التقوى حساسية الخوف من النار والشوق للجنة، والايمان بالله عز وجل وكتبه ورسله وملائكته والحساب والجنة والنار، والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء عن نواهيه، وطبع شخصية الانسان بالفضيلة التي تجعله متحضرا في سلوكه وعلاقاته، وفي المحصلة النهائية تؤدي الى النجاح في الدنيا، وتجعل الحياة سهلة وبعيدة عن التعقيد، كما تقود الى تجاوب كل الكون مع الفرد والمجتمع المتمسك بها، لأن "الله مع المتقين" وهي تستمطر الرحمة الالهية في الحياة الدنيا، وتوسع رزق الانسان، وتمنحه حياة شخصية طيبة،

---

[1] المائدة / ٣٥

[2] المائدة / ١٠٠

ومع هذا المعنى الايجابي للتقوى تتحول الى بشرى للناس بحياة طيبة في الدنيا والأخرة، وهذه البشرى نجدها في قوله تعالى: "الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم"[1]

ان البشرى التي يمكن لنا ان نلتمسها من خلال التأمل في آيات التقوى، هي النتائج التي ذكرها القرآن الكريم، بحق الملتزمين بالتقوى والممارسين لها في حياتهم اليومية، وهي الهداية والنجاح، والرحمة واليسر، والحياة الطيبة الراقية، حيث انهم يعيشون السعادة في الدنيا وينقلبون الى النعيم في الاخرة.

وتنعكس التقوى على اصحابها في طريقة تفكيرهم ونظرتهم للحياة، فتصنع منهم شخصيات استراتيجية، ينظرون للأمور من خلال رؤية متكاملة، بينما العاديون نظرتهم تجزيئية محدودة بالموقف الذي يعيشونه، وقل ان يضعوا الامر في اطار موقعه الدقيق من كل شئون حياتهم، كما ان الاستراتيجيين بعيدو المدى، لا تحبسهم اللحظة الآنية وانما ينظرون دائما للمستقبل البعيد، على العكس من العاديين الذي تستهلكهم اللحظة وتفوت عليهم فرصا مستقبلية كبيرة .

ان المتقين هم الذين يشكلون المجتمع الذي يروم الاسلام صياغته، وهو مجتمع الاستراتيجيين، الذين ينظرون الى الامور من خلال وضعها في نصابها المتكامل مع ابعاد الحياة الاخرى، وتمتد نظرتهم الى المدى البعيد، في الحياة الدنيا وفي الأخرة. وهذا ما يمكن للمتأمل في كتاب الله العزيز ان يلمسه وهو يتابع سمات المتقين وصفاتهم وممارستهم العملية، وتجاوبهم مع كل ما يرشد اليه القرآن من خير، وابتعادهم عن كل شر حذر منه.

ويكفي التأمل في الآية ١٧٧ من سورة البقرة، لملاحظة السمات الاساسية عند المتقين، والتفصيل يمكن تحصيله من خلال متابعة الآيات التي توصف المتقين وهي متعددة في كتاب الله العزيز، يقول تعالى:" لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"[2]

---

[1] يونس / ٦٣ – ٦٤

[2] البقرة / ١٧٧

واذا عرفنا ان المقصود بالبر التوسع في الخير، وهو ما يقصد به العمل الحضاري اليوم، نعرف ان المتقين يقومون - يقيمون - اي عمل يصدر منهم في اطار المردود الحضاري له، وبذلك يدربون انفسهم على الخروج من محدودية الموقف او العمل الذي هم فيه، الى رحاب البر الواسع، كما ان نظرتهم تتجاوز الواقع المعاش الى ما بعد الموت، وهي نظرة بعيدة المدى جدا، فمن يؤمن باليوم الأخر، يتصور نفسه في نتائج العمل الذي يقوم به، وهذه النظرة تدرب المتقي على ان يفكر في المستقبل دائما.

وان مراجعة للآيات القرآنية، التي تتحدث عن علاقة المتقين بالمستقبل الدنيوي تؤكد ان من مسئولياتهم النظر لمستقبل عملهم في حياتهم الدنيا، وهذا ما نجده في الآية المباركة:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[1]

ومع ان بعض المفسرين، لم يركزوا على اعطاء مستقبل العمل في الحياة الدنيا، من خلال تفسير هذه الآية بالذات، الا ان صرف الغد الذي يعني المستقبل في هذه الآية، عن المستقبل الدنيوي الى المستقبل الأخروي، لا يتفق مع المعنى المراد من كلمة الغد الواردة في آيات اخرى، حيث قصد به الغد في هذه الدنيا، كقوله تعالى:" أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[2] وقوله تعالى: "وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا"[3] وقوله تعالى:" ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير"[4]

وكل هذا يعني ان المتقين يفكرون بطريقة استراتيجية، يجعلون الموقف في اطاره التكاملي، وينظرون لمستقبل عملهم في الدنيا والاخرة، انهم استراتيجيون، و من دون شك ان الاستراتيجيين ناجحون متفوقون.

---

[1] الحشر / ١٨

[2] يوسف / ١٢

[3] الكهف / ٢٣

[4] لقمان / ٣٤

ولهذا ليس مستغربا أن يثبت القرآن الكريم بين دفتيه حقيقة إلهية وإنسانية، وهي أن المستقبل في الدنيا والآخرة للذين يلتزمون التقوى في حياتهم، ويقدم عددا من الأمثلة على هذه الحقيقة، وهي أمثلة يمكن للمراجعة التاريخية توثيقها، وقد جاءت في فترات تاريخية متباينة، والجامع المشترك بينها هو التزام الذين انتصروا في نهاية المطاف بتقوى الله عز وجل، واندحار الذين وقفوا بالضد منهم، ولعل هذا الانتصار الذي جاء بعد صراع مرير، وبعد معاناة شديدة للمتقين، يؤكد أن التزام التقوى يأتي بالمستقبل، حتى في المنافسات الأخف حدة من الصراعات الطويلة، إضافة للفوز بالجنة في الآخرة .

بين أيدينا مثال من حياة موسى عليه السلام في صراعه مع فرعون، الذي لم يترك أسلوبا في البطش ببني إسرائيل (قوم موسى) إلا واستخدمه معهم، ومع ذلك وجدنا نبي الله موسى يوصي قومه بالصبر والتقوى، ويذكرهم أن النتيجة ستكون لهم طالما التزموا التقوى حتى مع عدوهم، وهكذا كان، التزم بنو إسرائيل بتوصية موسى عليه السلام، وجاءت النتيجة في صالحهم، واندحر فرعون الذي كان يظن انه لا يهزم.

يقول تعالى في سورة الأعراف:((وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ، قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ،قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ،فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ،وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ،فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ،وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ،فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ،وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ "[1]

[1] الأعراف/١٢٧_١٣٧

جاء في التفسير "و العاقبة للمتقين : العاقبة ما يعقب الشيء كالبادئة لما يبدأ بالشيء، و كون العاقبة مطلقا للمتقين من جهة أن السنة الإلهية تقضي بذلك و ذلك أنه تعالى نظم الكون نظما يؤدي كل نوع إلى غاية وجوده و سعادته التي خلق لأجلها فإن جرى على صراطه الذي ركب عليه، و لم يخرج عن خط مسيره الذي خط له بلغ غاية سعادته لا محالة، و الإنسان الذي هو أحد هذه الأنواع أيضا حاله هذا الحال إن جرى على صراطه الذي رسمته له الفطرة و اتقى الخروج عنه و التعدي منه إلى غير سبيل الله بالكفر بآياته و الإفساد في أرضه هداه الله إلى عاقبته الحسنة، و أحياه الحياة الطيبة، و أرشده إلى كل خير يبتغيه."[١]

اضافة الى هذا المثال التاريخي يؤكد القرآن الكريم على ذات الحقيقة في ثلاث آيات اخر، تتحدث عن العاقبة، والتي نفهمها بالمستقبل في الدنيا والاخرة، كقوله تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"[٢]

قوله تعالى: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى"[٣]

قوله تعالى:" تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"[٤]

ويتضح من خلال هذه الآيات أن المستقبل في الحياة الدنيا، يمكن أن يكون لصالح اي جماعة ومجتمع يلتزم بالتقوى، ومع ان كل هذه الآيات تكشف عن خلاصات لأحداث وقعت في الماضي لأنبياء عظام في تاريخ البشرية الا ان نتائجها عامة ولا تقتصر على زمانهم، ويمكن للمتأمل في هذه الآيات المباركات ان يستخلص منها النتائج والعبر التي لا يستغنى عنها اليوم من اجل بناء مستقبل افضل.

---

[١] الطبطبائي، تفسير الميزان، تفسير الآية ١٢٨ من سورة الاعراف، مرجع مذكور.

[٢] القصص/٨٣

[٣] طه/١٣٢

[٤] هود/٤٩

وكما سبق القول أن التقوى لا تعني الخوف من الله سبحانه وتعالى فقط، وان كانت إحدى تجلياته، لكنها تعني الانطلاق في الفضاء الرحب من الحياة المليئة بالسعادة والرقي في ظل الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء عن نواهيه، وهي الطريق المؤدي للنجاح والتنمية الشاملة المستدامة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

والقرآن الكريم حين يقدم لنا النماذج المذكورة، من حياة نوح وموسى ونبينا محمد(ص) وهو اقرب الامثلة الينا، انما يضع بين ايدينا الخبرات السابقة التي يمكننا الاخذ من تفاصيلها لتفاصيل حياتنا اليوم. وكفى غنى بتجربة نبينا محمد (ص) المليئة بالتفاصيل التي لا تترك لنا مجالا للبحث عن غيرها.

المحور الثاني: دور الصلاة في الرؤية التنموية

وردت لفظة الصلاة في القرآن الكريم ٦١ مرة، وجاء الربط بين الصلاة والرؤية التنموية – الفلاح – ست مرات من اصل اربعين اية تتحدث عن الفلاح في القرآن الكريم، كقوله تعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـهُمْ يُنفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالاْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[١]

وقوله تعالى: " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُم بِالاْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٢]

وقوله تعالى:" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[٣]

وقوله تعالى: " يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٤"

---

[١] البقرة / ٣- ٥

[٢] لقمان / ٤-٥

[٣] الجمعة/١٠

[٤] الحج / ٧٧

وقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَـشِعُونَ "[1]

وقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى "[2]

وهذا يعني ان للصلاة دورا كبيرا في تنمية الانسان على الصعيد الشخصي و المجتمعي، وهو ما يتطلب من الدراسة الجادة لموضوع التنمية الكشف عن كيفية مساهمة الصلاة في التنمية بمختلف ابعادها.

وفي تقدير البحث ان هذه الأهمية تأتي من التأثير الخاص الذي تتركه الصلاة على الفرد كوحدة اساسية في الموارد البشرية، اذا تخلق عنده حالة من الطمئنية وتشحنه بالطاقة الروحية التي تحتاجها التنمية، وتملؤه ثقة بالله والنفس ما ينعكس على تجاوبه مع مشاريع التنمية، ومجابهة التحديات التي تعترض طريقه وطريق المشاريع التنموية، وربما هذه الفكرة تدعمها الدراسات التي تهتم بتأثير الاذكار الدينية على الحالة النفسية للإنسان، حيث ان لهذه الاذكار تأثيرا كبيرا على شعور الانسان بالهدوء والاطمئنان وتقبل التحديات، ومن ثم الخروج بنجاح من المواقف الصعبة التي يمر بها.

بل ان الارشاد النفسي ينصح المتعرضين لصدمات نفسية بالتوجه لدور العبادة، للتخفيف من الاثار الضارة للصدمات النفسية، ويسمح للموجهين الدينيين بالجلوس مع المرضى، والمأيوس من حياتهم، لاستخدام المداخل الدينية والاذكار الصلواتية، لجعلهم اكثر تقبلا لأوضاعهم، وقد اصبح بعض الموجهين الدينيين متخصصين في العلاج النفسي من خلال استخدام المداخل الدينية والتي من ابرزها الصلاة.

وهذا المعنى من التأثير النفسي يشير اليه القرآن الكريم اذ يؤكد ان الصلاة تبني شخصية سوية تواجه الضغوطات الحياتية بتوازن وهدوء تام، وهي التي تعينه على التغلب على طبيعته الأولى، المتمثلة في القلق الفطري الذي جبل عليه.

يقول تعالى:" إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا *إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا*وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا *إِلاَّ الْمُصَلِّينَ"[3]

---

[1] المؤمنون / ١- ٢

[2] الأعلى / ١٤ ــ ١٥

[3] المعارج/١٩ -٢٢

وفي تفصيل بديع يرسم القرآن الكريم ملامح هؤلاء المصلين في ابعاد متعددة، ما يساعدهم على تحقيق اهداف الصلاة في حياتهم، يقول جل وعلا في صفات وملامح هؤلاء المصلين:

"الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ *وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ *لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ *وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ *وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ *إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ"[1] والملاحظ الحصيف يجد ان نفس هذه الآيات في مطلع سورة المؤمنون التي تجزم بأن المؤمنين المصلين قد حققوا الفلاح، وهي الرؤية التنموية التي يريدها الاسلام.

من هنا فان اقامة الصلاة تصبح مسالة في غاية الأهمية، وقد ورد في القرآن الكريم ما يزيد على ثمانية عشرة مرة، أمر بإقامة الصلاة سواء بصيغة المفرد أو الجمع، ما يعني وجوب إقامة هذه الصلاة، اذ الفقهاء وعلماء الأصول يفيدون أن صيغ الأمر في كلام الله عز وجل تفيد الوجوب، ما لم تصرفه قرينة عن ذلك، كقوله تعالى: " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين"[2]

وقوله تعالى : "وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون"[3]

وكقوله تعالى: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل.."[4]

وكقوله تعالى: "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا"[5]

---

[1] المعارج/٢٣-٣٥

[2] البقرة/ ٤٣

[3] الأنعام/ ٧٢

[4] هود / ١١٤

[5] الإسراء / ٧٨

وبصف الصلوات الواجبة هنالك الصلوات المستحبة التي تعمق من علاقة الانسان بالله سبحانه وتعالى، وترهف حس المسئولية لديه، حيث يستشعر بصورة دائمة عاقبته في الاخرة اما الى الجنة او النار، ولان كل عمل يهدم التنمية الفردية والمجتمعية يؤدي الى النار، وكل عمل يساهم ايجابا في الصعود بمشاريع التنمية يؤدي الى الجنة، تنعكس هذه الصلوات على التنمية بشكل مباشر.

والحق أننا لو تأملنا الصلاة في أقامتها وألفاظها، وفي المحافظة على حدودها، والمداومة عليها، والالتزام بأوقاتها، وكل جوانبها، لوجدنا فيها أجواء وعناصر النجاح والتنمية والبناء السوي للشخصية وللمجتمع، فهي برنامج يومي يؤديه المسلم خمس مرات، وهي تؤدى في مكان خاص بها مع بقية الناس في المسجد، وبذلك يكون المسجد وتكون الصلاة برنامجا يوميا للتواصل الاجتماعي، والذي له اهمية كبرى في التعاضد والتشارك في التخطيط والتنفيذ للمشاريع التنموية اضافة الى ما تصنعه من ربط الاواصر الاجتماعية وتقوية الوحدة بين الناس، ويتعمق تأثير الصلاة في الناس من خلال اللقاء الاسبوعي في يوم الجمعة، واقامة صلاة الجمعة التي يلتزم فيها امام المسلمين بإلقاء خطبتين تركزان على مواضيع ذات اتصال بالتنمية الفردية والمجتمعية.

المحور الثالث: دور الزكاة في الرؤية التنموية

وردت لفظة الزكاة في القرآن الكريم ٢٨ مرة، وقد تسمى بالصدقات التي وردت في القرآن الكريم ست مرات ، و تؤكد الرؤية التنموية للإسلام على دور الزكاة في التنمية، حيث جاء الربط بين الزكاة والفلاح في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُم بِالاْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[١]

وقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَـشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الَّلْغوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَـعِلُونَ "[٢]

وقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى "[٣]

والزكاة جاءت في اغلب الآيات ملازمة للصلاة، لذلك فهي مثل الصلاة، منها ما هو واجب لا يكتمل ايمان المسلم الا بأدائه بحسب فقهاء الاسلام الذين فهموا من صيغة الامر في الآيات المباركات وجوب الزكاة واعتبارها شأنا عباديا كالصلاة والصيام والحج، اضافة الى دورها الاجتماعي والاقتصادي الذي يشكل رافعة ضرورية لمشاريع التنمية بأبعادها المختلفة، ومنها ما هو مستحب حث الاسلام عليه تقربا الى الله عز وجل ومساهمة في رفع العوز عند بعض الفئات في المجتمع.

وقد اهتمت الدراسات التنموية التي كتبها مفكرون مسلمون بدور الزكاة التنموي بشكل كبير، وتعمقوا في مختلف جوانبها، بما لا يدع مجالا للشك انها تساهم بشكل فعال في قضايا التنمية وابعادها، فهي عندهم: " احد اركان الاسلام الخمسة وتعكس التصميم على تطهير المجتمع من آفة الفقر،

---

[١] لقمان / ٤-٥

[٢] المؤمنون / ١- ٢

[٣] الأعلى / ١٤

وتطهير ثروة الموسرين من ذنب عدم تلبية الاحتياجات الاساسية لكل انسان، وهي احدى سبل الاعراب عن الشكر لله على فضله الذي يتجلى في نماء الثروة والرفاهية الحقيقية للجميع"[1]

[1] شابرا، محمد عمر، الاسلام والتحدي الاقتصادي، ص ٣٣٠، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان، ١٩٩٦م

ويرى عبد الحميد براهمي ان: " أن العدالة الاجتماعية تشكل اهتماما دائما في الاسلام، والزكاة التي تمثل الركن الثالث في الاسلام، والتي فرضها القرآن نصا، ترمي الى تحقيق العدالة الاجتماعية، كما تنص على ذلك الكتب والمقالات التي تحدثت عن الزكاة، وهي في الوقت نفسه عبادة وحق لله على الناس وفرض عين، هي ضريبة يراد منها تفادي تكديس الثروات، تؤخذ من الأغنياء وتنفق من اجل تحسين ظروف الحياة للفئات المحرومة"[١]

بل فوق ذلك كما يرى اخرون:" يمكن ان تؤدى في صورة سلع انتاجية بجانب كونها سلعا استهلاكية، فالابل والغنم والبقر لم تكن سلعا استهلاكية فحسب، بل كانت سلعا انتاجية ايضا، وتمويل الفقير برأس مال نقدي يعمل فيه ولا يستهلكه، اي اعطاء الفقير المحترف ما يمكنه من الاعتماد على نفسه، وعدم الاحتياج الى الزكاة مرة اخرى، ويمكن الاستفادة من اموال الزكاة مباشرة للقيام بمشاريع استثمارية."[٢]

واذا كان القضاء على الفقر من ابرز هموم التنمية الاقتصادية فإننا نجد الاسلام يقدم بالزكاة حلولا لهذه المشكلة، وما ذلك الا احد الابعاد التي تساهم بها الزكاة في التنمية بمختلف ابعادها ومستوياتها، شخصية ام مجتمعية، فالذي يخرج الزكاة من ماله في مفهوم الاسلام ينمي نفسه ويطورها، وكذلك المجتمع المؤدي للزكاة ترتقي به الى مصاف الحضارات الكبرى، ويمكن الوقوع على المزيد من تفاصيل الدور التنموي للزكاة من خلال ما كتبه فقهاء المسلمين ومفكروهم عن الزكاة.

[١] براهمي، عبد الحميد، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، ص ٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م

[٢] عامر، باسم احمد حسن محمد، نظرية الانفاق في ضوء القرآن الكريم رؤية اقتصادية، ص ١٢٦، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٠م

المحور الرابع: دور فعل الخير والصالحات في الرؤية التنموية

وجدنا في آيات الفلاح تحريضا وحثا على العمل الصالح وفعل الخير، باعتبار ذلك قيمة تسعد القائم بها، وتساهم في تنميته وتنمية مجتمعه، فمن مجموع اربعين اية تتحدث ثلاث آيات عن فعل الخير والعمل الصالح، كما في قوله تعالى: " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[1] وقوله تعالى: " فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـلِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ "[2] وقوله تعالى: " يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[3]

والمتابع لآيات القرآن الكريم التي تحث على الإيمان يرى الربط الأكيد الذي يقيمه القرآن بين الإيمان والعمل الصالح، والعمل الصالح هو كل عمل يقوم به الإنسان لصالحه أو صالح الآخرين سواء أكانوا على قرابة منه أم لا، يشتركون معه في البلد أو الدين أو الأرومة أم لا يشتركون، والتدقيق في ألفاظ هذه الآيات المباركات يرى أن المقصود بالعمل الصالح هو ما شملت منفعته الآخرين. وبذلك نفهم أن الإيمان من دون العمل لصالح الناس لا يعد ذا قيمة في ميزان القرآن الكريم.

وردت كلمة الصالحات في القرآن الكريم ٦٢ مرة، وفي ٥٨ آية ذكرت فيها هذه اللفظة يربط القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح، وهذا ما يجعلنا نقول أن العمل التطوعي في الشأن العام، مما يعد صالحا في الدين والعرف عند الأسوياء من الناس، هو ما يعد من كمال الإيمان وتمامه. فلا إيمان إلا بالعمل الصالح.

وللتكامل بين الإيمان والعمل الصالح عواقب حسنة في الدنيا والآخرة، نستنبطها من خلال مجموعة من الآيات القرآنية المباركة.

اولا: يقول تعالى: "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها

---

[1] ال عمران / ١٠٤

[2] القصص / ٦٧

[3] الحج / ٧٧

أزواج مطهرة وهم فيها خالدون"[١] ، وهذه البشارة كفيلة بتحريك الدوافع الايجابية للمساهمة الخيرية في تنمية المجتمع.

ثانيا: ويؤدي الإيمان والعمل الصالح لخلق جو من المحبة والوئام بين المجتمع، إذ يقول تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا"[٢]

ثالثا: كذلك فان الإيمان والعمل الصالح، والذي منه العمل التطوعي لخدمة الناس، يسبب التوسعة في الرزق وتصحيح المسارات الخاطئة، يقول تعالى: "فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم"[٣]

رابعا: وترى بصورة دائمة أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم البديل الحضاري للمجتمعات التي يسود فيها الطغيان والفساد، يقول تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"[٤]

خامسا: بل أن المجتمع الذي يسوده الإيمان والعمل الصالح، تنساب أموره بشكل تلقائي لحصد أفضل النتائج، والانتهاء في أعمالهم بأحسن الأعمال، يقول تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولتجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون"[٥]

سادسا: ولا يمكن للمؤمنين والعاملين للصالحات إلا أن يكونوا من الصالحين، المؤهلين للريادة في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين"[٦] ويقول أيضا: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية"[٧]

---

[١] البقرة/ ٢٥

[٢] مريم/ ٩٦

[٣] الحج/ ٥٠

[٤] النور/ ٥٥

[٥] العنكبوت/ ٧

[٦] العنكبوت/ ٩

[٧] البينة/ ٧

ويعد باب الوقف من اكبر المشاريع الخيرية التي يقدمها الإنسان لمجتمعه سواء في حياته أو بعد مماته، وهناك تشريعات واسعة في القانون الإسلامي لمسألة الوقف ما يدل على أن الإسلام يعتبر الوقف عملا ملازما للمسلمين، وقد اهتمت الدراسات التنموية في البيئة الاسلامية كثيرا بموضوع الوقف وكشفت عن المساهمة التنموية التي يقدمها للمجتمع.

الفصل الخامس : النتائج والتوصيات

اولا : النتائج

اولا: لقد مر مفهوم التنمية المعاصر بسياق تاريخي لا يمكن اغفاله، حتى اصبح اليوم قضية حضارية تهم كل بلد ومجتمع يتطلع للتطور، وهي بذلك ينبغي ان تعالج استراتيجيا، فهي ليست مجرد تطور اقتصادي او سياسي او ثقافي، او تطور في بعد حياتي محدد، بل تطور في كافة الابعاد تعكس الاستجابة الحضارية للبلدان والمجتمعات في اللحظة التاريخية الراهنة.

ثانيا: في القرآن الكريم مجموعة من الالفاظ التي تقترب من مفهوم التنمية، غير ان اقرب الالفاظ للتنمية كعملية هي لفظة التزكية، والتزكية بحسب القرآن الكريم هي احد الوظائف الكبرى للأنبياء الذي ختموا بنبي الاسلام محمد (ص)، ومن بعد الانبياء سائر الناس باعتبارهم خلفاء لله في الأرض، وفي مقدمتهم قادة البلدان المعنيون بقضايا التنمية.

ثالثا: التنمية اي تنمية بحاجة الى رؤية تسبقها وتنطلق نحوها، وفي الاسلام تشكل لفظة الفلاح الرؤية التي تتوجه صوبها كافة برامج التنمية، وقد رسخها الاسلام في لاشعور اتباعه منذ الايام الاولى لظهور الاسلام، حيث كانت ولازالت تتكرر كل يوم في اذانهم وصلواتهم العديد من المرات.

رابعا: يعتبر الاسلام التخلف حالة جاهلية فيحاربه بكل الوسائل، ويعمل على صياغة افراد ومجتمعات المعرفة حيث تتراجع فيها حالات التخلف لصالح التنمية والتطور.

خامسا: السعي لبناء مجتمع منسجم ومتماسك وبعيد عن الحروب والصراعات مقدمة ضرورية لكل برامج وانشطة التنمية، وهو ما يتطلب الدعوة للسلم الاجتماعي، وهي الدعوة التي ينادي بها الاسلام سواء في العلاقات البينية في المجتمع او العلاقات الخارجية مع المجتمعات الأخرى.

سادسا: تمثل الصورة التي رسمها العلماء والمفكرون المسلمون للمجتمع الاسلامي، صورة مثالية لمجتمع التنمية، وهو ما يشكل تراثا تنمويا كبيرا يمكن استثماره لصالح قضايا التنمية وبرامجها وانشطتها.

سابعا: كما صنف علماء المسلمين في المجال الاقتصادي مبادئ وقيم وثقافة وتشريعات وطرائق اقتصادية يمكن من خلالها مواجهة مختلف الظروف الحياتية، و يمكن الاعتماد عليها في القيام بتنمية اقتصادية متجددة.

ثامنا: جعل الاسلام قيادة الاقتصاد الكلي بيد الدولة، مع ما منحه الافراد من حريات في النشاط الاقتصادي، وهو ما يحمل الدولة مسئولية التنمية الاقتصادية والتنمية بمفهومها العام.

تاسعا: بغض النظر عن شكل القيادة السياسية في البلدان الاسلامية، ومع عدم حسم الموقف من الديمقراطية كصيغة للحكم وادارة البلدان، فان الاسلام يلزم القيادة في اي بلد بالعمل على التنمية والتزام العدل والمساواة والشفافية.

عاشرا: هنالك علاقة وطيدة بين الامن والتنمية، وهو ما يدعمه الاسلام ويؤكد عليه، ويحارب الظواهر التي تهدد الامن في المجتمعات، كالإرهاب والمخدرات والجوائح وغيرها.

الحادى عشر: يشجع الاسلام على تحقيق النمو الاقتصادي من خلال الحث والحض على الانتاج والدعوة للمشاركة العامة فيه والدفع باتجاه الانفاق والادخار الاستثماري، وفي ذات الوقت ادان الكسب غير المنتج وعدم الاعتماد على الدين الذي تستتبعه فوائد او الادخار الذي يعطل التداول المالي في فترة زمنية قصيرة ام طويلة.

الثاني عشر: يدعم الاسلام التنمية الاقتصادية من خلال التأكيد على العدالة الاجتماعية في التوزيع، وزيادة الدخل الفردي عبر تحمل الفرد والدولة لذلك، واعتبار العلم فريضة، والحفاظ على الصحة، ومكافحة الفقر.

الثالث عشر: يهتم الاسلام بالتنمية السياسية من خلال التأكيد على تطوير عناصر السياسة من موارد بشرية ومؤسسات وتشريعات وبرامج، والزامه الدولة بقيادة برامج وانشطة التنمية، والزام الناس بالسمع والطاعة، و دعوته المستدامة للإصلاح ومكافحة الفساد.

الرابع عشر: يدعم الاسلام التنمية الاجتماعية من خلال دعوته لمؤسسات المجتمع المدني المبنية على البر والتقوى اضافة الى ما يلزم به الاسرة من تنشئة صالحة لأفرادها واعطاء المدرسة والمسجد دورا عباديا وتوعويا مستداما، و يجدد التذكير للمجتمع افرادا وجماعات بضرورة التعاون والتماسك.

الخمس عشر: وتتأكد التنمية الاجتماعية في الاسلام من خلال التنشئة للأفراد على اساس اجتماعي، فمن البداية يلزم الفرد المسلم المكلف بمسئوليات اجتماعية لا ينفك عنها، فأوجب عليه صلة الارحام، يضاف الى ذلك حبب اليه مشاركة الناس في الانشطة الاجتماعية التي تمنع عليه تضخم الفردية على حساب الأخرين.

السادس عشر: ويزداد تأكيد الاسلام على التنمية الاجتماعية من خلال اعتباره العلاقة بين افراد المجتمع المسلم علاقة اخوة، فالمؤمنون به اخوة، واهتم بإصلاح اي خلل في العلاقة بينهم وتداركها بالإصلاح اولا بأول.

السابع عشر: ان من ابرز خصائص التنمية في الاسلام تميزها بالشمولية، وهو ما يقتضي تحقيق الاحتياجات البشرية كافة، من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية وغيرها.

الثامن عشر: يدعم الاسلام التنمية المستدامة من خلال عنايته بالبيئة والتعامل الدقيق مع الموارد الاقتصادية بلا هدر ولا اسراف، وتشجيعه على المشاريع الوقفية التي تتجاوز الاستفادة منها الجيل المعاصر، وتبقى لصالح الاجيال القادمة.

التاسع عشر: تجد التنمية البشرية دعما واضحا من الاسلام، فكما تؤكد على مكافحة الفقر والمرض والمساواة والعدالة والمشاركة ومساواة المرأة بالرجل من حيث الفرص الحياتية وغيرها، تجد تعاليم واضحة في الاسلام بكل هذه القضايا وغيرها، بل فوق ذلك ان التنمية التي ينظر لها الاسلام كدين سماوي، هي تنمية بشرية بالدرجة الأولى.

العشرون: يشجع الاسلام على التنمية الثقافية، ويحبب التطور في انماط الحياة بما يثري الحياة البشرية بالذوق الرفيع والخلق الكريم، ولا نجد اعتراضا للإسلام على صنوف التنمية الثقافية الا اذا تعارضت بشكل واضح وصريح مع العلم والتعاليم الدينية الواضحة.

الواحد والعشرون: التنمية المستقلة بمعنى الاعتماد على الذات مطلوبة دينيا، غير ان هذا لا يعني الانغلاق عن المجتمعات البشرية، بل الدعوة للتعاون بين مكونات المجتمع الانساني مفتوحة بشكل دائم، لكل ما يعود بالنفع على الذات والأخرين.

الثاني والعشرون: ولان الاسلام يدعم كافة انواع التنميات ومجالاتها، فهو يدعم بشكل تلقائي الادارة التي تهتم بهذه التنميات مفردة او متعددة، وهو ما تقوم به التنمية الادارية، لتأتي التنمية بأفضل ثمارها، كما تهتم بمعالجة المسائل الاجرائية ودراسة الوقت والحركة والبناء الهيكلي للوظائف وتطوير قدرات صنع القرار والمشاركة فيه والانماط السلوكية وغيرها.

الثالث والعشرون: يهتم الاسلام بالتنمية الشخصية ويعتبرها مسئولية شخصية بالدرجة الأولى، ويضع من التشريعات وعوامل الاسناد بما يجعل الفرد امام فرص مفتوحة لتطوير شخصيته، بل يدعو الفرد لتطهير نفسه من كل المعوقات المادية والمعنوية التي تمنعه من الانطلاق في الرحب الواسع لتطوير ذاته وشخصيته.

الرابع والعشرون: ويعتبر الاسلام التنمية الاسرية المجال الوسط بين التنمية الشخصية والتنمية المجتمعية، فهي من ناحية تؤهل لتنمية شخصية سليمة، وتخدم التنمية المجتمعية ومختلف مجالات التنمية، برفدها بالموارد البشرية الصالحة، وتحتاج التنمية الأسرية الى عناية خاصة من قبل قادة التنمية في مختلف البلدان، سيما مع بروز عدد من الظواهر التي تثير القلق بشأن مستقبل الأسرة.

الخامس والعشرون: كل تنمية بحاجة الى رؤية تنطلق صوبها، والاسلام كدين سماوي يقدم للأفراد والأسر والمجتمعات والأمم رؤية واضحة ويرتب عليها مهام والتزامات تقود بالضرورة الى انجازها، و ما يحتاجه كل جيل، بناء استراتيجيات لتحقيق هذه الرؤية ورسم المهام وتحديد الرسالة والاهداف. والرؤية التي يقدمها الاسلام هي السعادة والنجاح في هذه الدنيا والفوز بالجنة في الأخرة، وهي ما تختصره الآيات القرآنية والتعاليم الاسلامية في لفظة الفلاح.

السادس والعشرون: الفلاح كرؤية تنموية يقدمها الاسلام للأفراد والاسر والمجتمعات والحضارات، بحاجة الى الكشف عن تفاصيلها في القرآن الكريم، وهي مسئولية يتحملها قادة البلدان والمعنيون بقضايا التنمية فيها.

السابع والعشرون: رؤية الفلاح تضع خطوطا حمراء لكي لا تفشل التنمية وتتبدد الطاقات، وهذه الخطوط الحمراء تتمثل في منع خمس فئات عن التصدي لمشاريع التنمية وقيادتها، وهم الكذابون والسحرة والمجرمون والكفار والظالمون، فكل واحدة من هذه الفئات تضر بالتنمية بأكثر من المساهمة في انجاحها.

الثامن والعشرون: تنطلق التنمية في ضوء هذه الرؤية، في ظل قيم ومبادئ وممارسات وسلوكيات والتزامات ومهارات، وهي ما نجدها في مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة، التي تنتهي بقوله تعالى " لعلكم تفلحون ".

التاسع والعشرون: كما تستمر التنمية وتستدام في حالة الالتزام المتواصل بما فرضه الله من التزامات وعدم التفريط بها، وهو ما نجده في الآيات الكريمات التي تنتهي بقوله تعالى " أولئك هم المفلحون ".

الثلاثون: يسجل القرآن الكريم لبعض المجموعات البشرية بانهم قد حققوا التنمية المطلوبة منهم، وسعدوا في هذه الدنيا، وأكدوا فوزهم بالجنة في الآخرة من خلال التزامهم العملي بمتطلبات التنمية والاصرار عليها، وهم الذي يجزم القرآن الكريم بتحقيقهم للفلاح، بقوله تعالى" قد افلح ".

الحادي والثلاثون: تمثل التقوى التزاما محوريا في تحقيق التنمية بحسب رؤية الفلاح، غير ان التقوى كفمهوم شوه في اذهان المسلمين، وهو ما يحتاج الى معالجة جادة، تصححه في اذهان الناس ليتحول الى طاقة محركة للتنمية في حياتهم.

الثاني والثلاثون: وبحسب رؤية الفلاح، تمثل الصلاة في اقامتها والفاظها والمحافظة على حدودها والمداومة عليها والالتزام بأوقاتها وكل جوانبها عناصر اسناد ونجاح للتنمية الشخصية والاسرية والمجتمعية، ينبغي العناية بها واستثمار ما توفره من طاقة روحية متجددة لصالح مشاريع التنمية.

الثالث والثلاثون: ومن خلال هذه الرؤية، تقدم الزكاة الواجبة على المسلمين حلولا عملية للتغلب على مشكلة الفقر وتساهم بشكل خاص في تحقيق اهداف التنمية الاقتصادية، ويمكن الوقوع على المزيد من تفاصيل دورها التنموي من خلال ما كتبه فقهاء المسلمين ومفكروهم عن الزكاة.

الرابع والثلاثون: تحث رؤية الفلاح على العمل الصالح وفعل الخير، كممارسة تسعد القائمين بها وتساهم في تنميتهم وتنمية مجتمعاتهم، وتكون ذخيرة لآخرتهم، ومن ذلك وقف بعض امكانياته للصالح العام، بما يؤدي الى تنمية مستدامة للأفراد والمجتمعات، وهو ما كشفت عنه الدراسات التنموية في البيئة الاسلامية.

ثانيا : التوصيات

التنمية حالة عملياتية، ومن غير المتصور لها ان تنجز من دون وجود جهة تعمل على رسم الخطط ووضع الاستراتيجيات والاهداف والبرامج والانشطة التي تحققها، وكل ما ورد في الدراسة من تصورات بالنسبة للدعم الذي يقدمه الاسلام للتنمية، بحاجة الى مرجعية دينية تعمل على المشاركة مع كافة الجهات في البلدان لصالح دعم قضايا التنمية، من خلال استثمار ما يقدمه الاسلام، والجهة التي تتوجه لها هذه الدراسة هي المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين، اذا هي بمثابة الجهة المرجعية على الصعيد الرسمي، وقد تأسس المجلس بموجب مرسوم أميري رقم (١٩) لسنة ١٩٩٦م، وقانون رقم(٢٠) لسنة ٢٠٠٥م، الصادر عن ملك مملكة البحرين، بعد أن اقر من قبل مجلس الشورى والنواب.

وقد جاء في هذا القانون: "يكون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الشخصية الاعتبارية، والاستقلال المالي، والإداري، ويخصص له مقر في إحدى مدن المملكة، ويتبع إدارياً وزير الشئون الإسلامية.

ويختص المجلس بوضع البرامج، والخطط اللازمة لتطوير الأنشطة الإسلامية، المتعلقة بالشأن العام في المملكة، بما يتفق وروح العصر مع الحفاظ على التراث الإسلامي العريق، وعلى استقلالية النشاط الأهلي وخصوصيته، كما يعمل على تدعيم وحدة الصف بين المسلمين، والمحافظة على القيم، والتقاليد الإسلامية السمحاء وترسيخها، وإبراز روح الإسلام السمحة، وتفرده بالوسطية والاعتدال."

وللمجلس في سبيل تحقيق أهدافه، أن يطلب من الجهات المختصة تزويده بالمعلومات اللازمة لإنجاز أعماله، وله الاستعانة بالمختصين من خارج المجلس لمعاونته في انجاز بعض الدراسات، والأبحاث متى اقتضت الحاجة ذلك.

وقد نص القانون ايضا على أن المجلس يشكل من رئيس ونائب للرئيس، وعضوية أربعة عشر عالما من العلماء في الشريعة الإسلامية، ممن يمثلون الطائفتين بالمملكة

وبحسب رئيس المجلس فان المجلس:" جزء لا يتجزأ من المشروع الاصلاحي.. الذي يهدف الى ايجاد مجتمع متحاب يقوم على دعائم دين الاسلام الحنيف " [١]

وعليه فان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين، يمثل الجهة الدينية التي يمكن لها تقديم تصورات استراتيجية لما يمكن للإسلام ان يقدمه من دعم للتنمية في المملكة، وبحسب ما تقدم من فصول في هذه الاطروحة، يمكن تصورها كما يلي:

اولا: المساهمة في بناء الرؤية التنموية.

تركزت رؤية مملكة البحرين للعام ٢٠٣٠ على البعد الاقتصادي، وحتى على صعيد التسمية، اطلق عليها الرؤية الاقتصادية حتى عام ٢٠٣٠، وهي صادرة عن مجلس التنمية الاقتصادية، ومع ان الرؤية تطرقت للطموح الاجتماعي، الا انها لم تلامس البعد الديني وما يوفره من امكانات لدعم هذه الرؤية، رغم مناقشة: " هذه الرؤية الاقتصادية بصورة مستفيضة مع قطاعات عريضة من قادة الرأي في القطاعين العام والخاص، ورجال السياسة والهيئات المتخصصة، بالإضافة الى بعض بيوت الخبرة الاستشارية والهيئات الدولية." [٢] ويمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ان يقدم اضافة للرؤية بان تكون اشمل من البعد الاقتصادي، بحسب رؤية الاسلام والتي تتمثل في تحقيق السعادة في الدنيا والفوز بالجنة في الأخرة، وهو اشمل من الاقتصار على بعد انساني واحد، ويتم ذلك عبر التوجه المباشر للإنسان كفرد ومجتمع ووطن، بان يرى سعيه للتطور والنماء عملا عباديا يسعده في الدنيا بإعمارها وفي الأخرة بضمان جنتها.

لقد قامت الرؤية الاقتصادية لمملكة البحرين ٢٠٣٠ على ثلاثة مبادئ وهي الاستدامة والتنافسية والعدالة، وهذه المبادئ يمكن لها ان تعمم على التنمية في الابعاد الأخرى، حين تكون في اطار رؤية الفلاح التي استنبطتها الاطروحة في فصولها، وكشفت عن خطوطها العريضة، وهو ما يمكن ان يسند الرؤية الاقتصادية، ويوفر لها طاقة دينية تعاظم من التفاعل الاجتماعي والحكومي والفردي معها، وهذا بحاجة لتصور عملي لدرجة من التنسيق بين مجلس التنمية الاقتصادية الذي صمم هذه الرؤية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

---

[١] ال خليفة، الشيخ عبد الله بن خالد، رئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين، مؤتمر الامن الاجتماعي، ص٩، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، ٢٠٠٧م

[٢] رؤية مملكة البحرين ٢٠٣٠ ، مجلس التنمية الاقتصادية في مملكة البحرين.

ثانيا: الخطاب التنموي.

في ضوء هذه الدراسة يمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ان يقدم صيغة خطاب ديني داعم للتنمية ومشجع عليها، الأمر الذي يتطلب منه حث الجهات الرسمية والأهلية على تبني هذا الخطاب، وتوجيه ما يقدم من خطاب عبر مختلف المنابر الدينية والاعلامية بما يؤدي الى شيوع ثقافة التنمية كمطلب ديني ومنفعة معاشية، سيما مع ما نلاحظه من بعد عن التوجيه التنموي على الخطاب السائد وتوظيفه احيانا لصالح ما يعوق المسارات التنموية.

وتكمن قيمة هذا الخطاب التنموي في اللحظة الراهنة، في اعتباره بديلا عما هو شائع على صعيد اممي من خطاب يتسم بالتحريض على العنف والكراهية، ويعمل على التفريق بين ابناء المجتمع الواحد، ويؤدي الى افرازات بالغة الخطورة على حياة الناس، فضلا عن مشاريعهم التنموية.

ولأن الجهة المعنية بالخطاب الديني، هي الشئون الدينية في وزارة العدل والشئون الإسلامية، والاوقافين، السني والجعفري، يحتاج المجلس لاعتماد وحدة تنسيق بين المجلس والجهات المشار اليها، لوضع خطط تحقق المرتجى من الخطاب.

ثالثا: التقريب بين المذاهب.

يتكون المجتمع البحريني في اغلبه من طائفتين مسلمتين، السنة والشيعة، وهذا التكوين تاريخي ليس بجديد، وقد اخذ قانون تأسيس المجلس بعين الاعتبار هذا التكوين، فقرر ان يتشكل المجلس بالإضافة الى رئيسه ونائبه، من اربعة عشر عضوا مناصفة بين الشيعة والسنة، وهو تمثيل واقعي، يخدم التقريب بين اتباع كلا المذهبين، لكن الحاجة تبقى لنزول هذا التقريب الى واقع المجتمع، وهذا ما يتطلب من المجلس رسم الخطط والبرامج التي يقوم بها المجلس او الجهات التنفيذية او الأهلية، لما يشكل التقريب والانسجام بين افراد المجتمع من انعكاس تلقائي على مشاريع التنمية، ويخلق حالة السلم الاجتماعي الذي بينته هذه الاطروحة في فصولها.

ويمكن هنا الاستفادة مما ورد في احد المؤتمرات التي نظمها المجلس، حيث جاءت احدى التوصيات " دعم استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية التي اعدتها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو)، التي اعتمدها المؤتمر الاسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثلاثين بطهران بتاريخ ٢٨- ٣٠ مايو ٢٠٠٣م "[١]

رابعا: الشراكة مع الجهات الرسمية.

الرؤية التنموية في الاسلام شاملة ومستدامة، كما وجدنا في الاطروحة، وشمولها يعني تدخلها في تفاصيل اي نشاط انساني، وهذا يعني من الناحية العملية، ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يمكن له المشاركة مع اي جهة حكومية رسمية في سبيل تدعيم خططها بما يمكن ان يوفره لها الدين الاسلامي من دعم يعطي هذه الخطط اضافة دينية بالغة التأثير على المنفذين لبرامج التنمية في اي بعد، اقتصادي او اجتماعي او سياسي او ثقافي واداري وغيره، ويمكن لنا ان نأتي بعدد من الأمثلة بهذا الصدد:

الف: التنمية الأسرية:

[١] بحوث وتوصيات مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية، الجزء الثاني، ص522، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، 2003م.

تقوم وزارة التنمية والشئون الاجتماعية برفع مستوى الأسر لمشاركة اجتماعية وتنموية اوسع، وهذا له قيمته التنموية التي لا يستهان بها، لكن هذه الوزارة غير مختصة في الشئون الدينية،

مما يجعل خططها في هذا السبيل غير متوفر على ما يمكن للعنصر الديني ان يقدمه من دعم على صعيد التخطيط والتنفيذ، واستراتيجية المشاركة مع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية سوف يسد هذا النقص، ويوفر للوزارة ضمانات افضل لتحقق خططها، حيث ان الأسر المسلمة تتفاعل بشكل تلقائي مع ما تجد فيه دعما من دينها.

باء: التفكك الأسري:

ارتفاع نسب الطلاق في اي مجتمع، يؤدي للتفكك الأسري، وهذا ينعكس سلبا على تماسك المجتمع ويؤدي الى شيوع الجرائم في اوساطه، سيما للنشء الذي يحرم من رعاية اسرية، وهي مسألة تقلق الجهات المعنية بقضايا الأسرة والجريمة والتنمية، مثل وزارة العدل والشئون الاسلامية ووزارة التنمية والشئون الاجتماعية ووزارة الداخلية، المجلس الأعلى للمرأة، وغيرها، وهو ما يتطلب تنسيقا بين كافة الجهات للتغلب على الافرازات السلبية لهذه المشكلة، وللإسلام تقديره الخاص للأسرة ووسائله في الحفاظ عليها وتدارك الأثار السلبية حين وقوع الطلاق، وهو ما يمكن لمختلف الجهات التعاون بصدده مع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، لتصميم برامج تخدم الحفاظ على تماسك الأسر، وتجنبها التفكك.

جيم: الارهاب:

يخطأ من يظن ان مشكلة الارهاب مشكلة امنية فيصمم البرامج الأمنية لمعالجتها، انها مشكلة تكوين نفسي وثقافي بالدرجة الاولى، ومعالجة مثل هذه المشكلة التي تمثل تهديدا للمجتمعات الاسلامية قاطبة في المرحلة الراهنة، وقد كانت مسيطرة على المجتمعات الاسلامية في بعض الفترات التاريخية، يحتاج الى تضافر الجهود من مختلف الجهات، والذي يمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية القيام به، توفير الدراسات الدينية والمشاركة مع الجهات ذات الاتصال بهذه المشكلة لوضع البرامج والخطط للتغلب عليها.

دال: الفساد:

الفساد افة تعوق التنمية في اغلب البلدان، وقد اتخذت مملكة البحرين خطوات عملية لمواجهة هذه الأفة بوجود جهة رقابية تصدر تقريرا سنويا عن الفساد المالي والاداري في مؤسسات الدولة، وقد كشفت التقارير تباعا حجم هذه الأفة، ومن دون شك ان الاعتراف باي مشكلة هي الخطوة الأولى في علاجها، لكن العلاج يحتاج الى اعتماد استراتيجيات تمنع وقوع الفساد من الاساس وتعالج نتائجه في حال وقوعه، وهذا الذي نجده لدى الاسلام في نظرته لآفة الفساد، وهو

الذي يمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية القيام به بالمشاركة مع مختلف الجهات، بالتخطيط والبرامج، وهو ما سيوفر للمملكة الكثير من الامكانيات التي تتسرب بسبب هذه الآفة.

كانت هذه امثلة لاستراتيجية الشراكة بين المجلس الأعلى للشئون الاسلامية والجهات الرسمية في سبيل دعم التنمية ومشاريعها. والى هذه الاستراتيجية اشارت احدى توصيات احد المؤتمر التي نظمها المجلس: " التأكيد المستمر على دوافع الالتزام بالتعاليم الأخلاقية الاسلامية سواء الدنيوية أو الأخروية بما يرتقي بالفرد والاسرة والمجتمع والوطن والأمة "[1]

خامسا: الشراكة مع الجهات الأهلية.

في مملكة البحرين العديد من المؤسسات الاهلية، في مختلف الجوانب، الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والاعلامي وغيرها، ومن دون شك ان اي مؤسسة يفترض فيها المساهمة بالارتقاء بالمجتمع في الجانب الذي تخصصت فيه، والاستراتيجية التي يمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية الاعتماد عليها لدعم التنمية من خلال المؤسسات الأهلية، ان تفتح باب المشاركة في رسم برامج وخطط هذه المؤسسات بما تسفيده من الاسلام في تحقيق تطلعاتها، اذ تبقى كافة هذه المؤسسات بمختلف تخصصاتها في فضاء اسلامي عام، وللحصول على تفاعل افضل من قبل الجمهور المستهدف تحتاج الى دعم خططها وبرامجها بما يقدمه الاسلام في مجال عملها.

كما ان هذه الاستراتيجية تساهم في تحقيق الاهداف التي انشأ من اجلها المجلس كالحفاظ على التراث الديني، وتحقيق الوحدة بين افراد المجتمع، وغيرها، و يمكن للمجلس بالمشاركة مع الجهات الاهلية ولو على مستوى التخطيط، وضع البرامج التي تتصدي للتحديات الكبرى التي تواجه المجتمع

[1] ابحاث مؤتمر اخلاقنا بين النظرية والسلوك.. اسباب ومعالجات، ص521، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، 2008م.

بين فترة واخرى، كالعنف والتطرف والتفكك الاسري والمخدرات وغيرها، عبر استنطاق الدين في معالجاته لمثل هذه التحديات.

سادسا: التعاون الاسلامي:

مملكة البحرين، من اوائل البلدان التي دخلت في الاسلام، وتربطها ببلدان العالم الاسلامي علاقات وثيقة، وهذه العلاقات تساهم في التنمية لصالح المملكة، وما يمكن للمجلس الأعلى استثماره لصالح التنمية من خلال هذه العلاقات، التأكيد على الاخوة الاسلامية في العلاقة مع مختلف البلدان وجعل هذه العلاقة فوق العلاقة السياسية التي تتأثر بالمستجدات وقد تهدم مشاريع استراتيجية في لحظة توتر سياسي، ما يعني ان يفعل المجلس الأعلى العلاقة الأخوية، وجعل اساس العلاقة، وتحسبا للحظات الضغط السياسي، يضاف الى ان العلاقة مع علماء المسلمين في مختلف البلدان، يمكن تسخيره لصالح الارتقاء بالدور الديني لصالح قضايا التنمية والتغلب على المشاكل المستجدة بالإفادة من خبرات وتجارب البلدان الأخرى التي مرت بمشاكل مشابهة.

ويمكن بهذا الصدد الافادة من انتاجات علماء المسلمين الفكرية في مختلف البلدان، لدعم المجالات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، وهي نتاجات غزيرة، يمكن للاستثمار الأمثل لها ان يقدم مساهمات جدية لصالح التنمية بوجه عام.

سابعا: استثمار المال الشرعي لصالح التنمية:

في الاسلام مجموعة من الاجراءات لتحصيل المال اما على وجه الوجوب او الاستحباب، وهذه الاموال تساهم بشكل كبير في سد حاجات الفئات الضعيفة في المجتمع، لكن المساهمة التنموية الجدية لهذه الاموال، وكذلك الاوقاف بمختلف تقسيماتها، بحاجة الى استراتيجية، او استراتيجيات تعتمدها الجهات التنفيذية، رسمية ام اهلية، لتوظيف هذه الاموال والامكانات لصالح التنمية بوجه عام، سيما ما يتصل بمكافحة الفقر، وهو ما يمكن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية العمل على التخطيط له، وتقديم المقترحات العملية لكل جهة، بما يساهم في المحصلة النهائية لصالح التنمية ومشاريعها.

ثامنا: تعميق التقوى في المجتمع.

كل الممارسات العبادية التي امر بها الاسلام، على سبيل الوجوب او الاستحباب، من صلاة وصوم وحج وزكاة وامر بالمعروف ونهي وعن المنكر وعمل الخير وغيرها، تعمق التقوى الفردية والمجتمعية، وربط هذه الممارسات بالحياة اليومية للمجتمع تساهم في تنميته، من هنا فان الاهتمام بما ينمي هذه الممارسات في المجتمع، يتم تحصيله في المخرجات النهائية للتنمية، وما يقوم به المجلس الأعلى للشئون الاسلامية من اعمار للمساجد[1]، ورعاية للأنشطة الدينية يصب في هذا السبيل، وهو ما يتطلب وجود استراتيجيات يرسمها المجلس بالنسبة لكل عبادة لتعظيم دورها التنموي.

[1] منجزات المجلس ٢٠٠٥- ٢٠٠٩، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، ٢٠٠٩.

الملاحق

الأول : قانون رقم (20) لسنة 2005

في شأن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الثاني : الرؤية الاقتصادية لمملكة البحرين 2030.

الأول: قانون رقم (20) لسنة 2005

في شأن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نحن حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين.

بعد الإطلاع على الدستور،

وعلى المرسوم رقم (19) لسنة 1996 بإنشاء مجلس أعلى للشئون الإسلامية،

أقر مجلس الشورى ومجلس النواب القانون الآتي نصه، وقد صدقنا عليه وأصدرناه:

المادة (1)

يكون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الشخصية الاعتبارية، والاستقلال المالي، والإداري، ويخصص له مقر في إحدى مدن المملكة، ويتبع إداريا وزير الشئون الإسلامية.

المادة (2)

يختص المجلس بوضع البرامج، والخطط اللازمة لتطوير الأنشطة الإسلامية، المتعلقة بالشأن العام في المملكة، بما يتفق وروح العصر مع الحفاظ على التراث الإسلامي العريق، وعلى استقلالية النشاط الأهلي وخصوصيته، كما يعمل على تدعيم وحدة الصف بين المسلمين، والمحافظة على القيم، والتقاليد الإسلامية السمحة وترسيخها، وإبراز روح الإسلام السمحة، وتفرده بالوسطية والاعتدال.

المادة (3)

للمجلس في سبيل تحقيق أهدافه أن يقوم بالآتي:

أولاً العمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية وتعزيز الوحدة بين المسلمين.

ثانياً إعداد البحوث والدراسات الإسلامية، والمشاركة في المؤتمرات والندوات الخاصة بذلك، وتنظيمها، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية بالسبل والتقنيات المناسبة وإبداء الملاحظات والاقتراحات، حول ما يبث في الإذاعة والتلفزيون والصحافة، وغيرها من وسائل الإعلام من برامج دينية وما يتناول الإسلام ومفاهيمه.

ثالثاً إصدار المؤلفات الإسلامية، وتبني طباعتها وتحقيق أمهات الكتب، والمؤلفات الإسلامية.

رابعاً الرقابة على الكتب الدينية، والإصدارات الإسلامية، للتأكد من انسجامها مع مبادىء الشريعة الغراء، وعدم مساسها بالوحدة الإسلامية، من دون تحكيم رأي مذهبي على آخر.

خامساً إبداء الرأي من الناحية الموضوعية في الطلبات المقدمة للترخيص للجمعيات، والمراكز، والمؤسسات، والهيئات الإسلامية، بالتنسيق مع الجهات المختصة.

سادساً إبداء الرأي في خطط وبرامج إدارتي الأوقاف، من الناحية الاستثمارية.

سابعاً إبداء الرأي في مناهج التربية الدينية في المدارس، والمعاهد الحكومية والخاصة المرخص لها من قبل وزارة التربية والتعليم، أو الخاضعة لإشرافها، عند الطلب من الجهة المختصة.

ثامناً تقديم الدعم للراغبين من طلاب العلوم الشرعية، لمواصلة دراساتهم في الداخل والخارج وفقا للموارد المتاحة لدى المجلس.

تاسعاً دراسة ما يحال إليه من الجهات المختصة من القضايا المتعلقة بالشئون الإسلامية، وإبداء الرأي فيها، بما يعود بالفائدة على الإسلام والمسلمين.

عاشراً إبداء الرأي في الأنظمة، واللوائح التي تنظم العمل في الأمور ذات الصلة باختصاصات المجلس.

حادي عشر اقتراح أسس ومتابعة الحوار بين الإسلام، والديانات السماوية الأخرى، وتعزيز التواصل بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

ثاني عشر وضع اللوائح الداخلية للمجلس، وتحديد مكافآت المساهمين في أنشطته، من غير أعضائه، ويصدر بذلك قرار من رئيس المجلس.

وللمجلس في سبيل تحقيق أهدافه، أن يطلب من الجهات المختصة تزويده بالمعلومات اللازمة لإنجاز أعماله، و له الاستعانة بالمختصين من خارج المجلس لمعاونته في إنجاز بعض الدراسات، والأبحاث متى اقتضت الحاجة ذلك.

المادة (4)

يشكل المجلس من رئيس ونائب للرئيس، وعضوية أربعة عشر عالما من العلماء في الشريعة الإسلامية، ممن يمثلون الطائفتين بالمملكة، ويصدر بتعيينهم، وتحديد مكافآتهم أمر ملكي.

ويتولى رئيس المجلس تمثيله أمام القضاء، وفي مواجهة الغير.

المادة (5)

يشترط في عضو المجلس ما يلي:

أولاً أن يكون بحرينيا.

ثانياً أن يكون من العلماء ذوي المشاركة في الحياة العلمية بالتأليف، أو البحث، وإلقاء المحاضرات، أو التدريس، أو النشاط الملحوظ في ميدان الدعوة الإسلامية، ومشهودا له بالصلاح والاستقامة.

ثالثاً ألا يكون منتميا لإحدى الجمعيات السياسية، أو يجمد عضويته فيها طوال فترة عضويته في المجلس.

المادة (6)

تكون مدة العضوية في المجلس أربع سنوات قابلة للتجديد مدة، أو مدداً أخرى مماثلة، وعند خلو مكان أحد الأعضاء لأي سبب من الأسباب، قبل انتهاء مدته، يعين بدلا منه عضو آخر، وتكون مدة عضوية العضو الجديد لنهاية مدة سلفه.

المادة (7)

يجتمع المجلس بدعوة من رئيسه، ولا يكون انعقاده صحيحا إلا بحضور أغلبية أعضائه، على أن يكون من بينهم رئيس المجلس، أو من ينوب عنه.

المادة (8)

تعقد اجتماعات المجلس في مقره، وتصدر قرارات وتوصيات المجلس بأغلبية ثلثي عدد الأعضاء الحاضرين.

المادة (9)

يكون للمجلس أمانة عامة تتكون من أمين عام، وأمينين مساعدين، يرشحهم المجلس، ويصدر بتعيينهم وتحديد درجاتهم الوظيفية أمر ملكي، وتضم الأمانة عدداً مناسباً من الوحدات الإدارية، والباحثين والإداريين، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس المجلس بناء على ترشيح الأمين العام.

وتتولى الأمانة العامة إعداد جداول أعمال اجتماعات المجلس، واخطار أعضائه قبل موعد عقد الاجتماعات بوقت كاف، وإعداد البحوث، والدراسات التي يكلفها المجلس القيام بها، كما تتولى الأعمال الإدارية والمالية للمجلس، ومتابعة تنفيذ قراراته وتوصياته مع الجهات المختصة، وذلك كله تحت إشراف رئيسه وأمينه العام.

المادة (10)

يكون للمجلس ميزانية ملحقة بميزانية وزارة الشئون الإسلامية، وتدرج فيها رقما واحدا، ويتولى إعدادها أمينه العام تحت إشراف رئيس المجلس، ويتولى المجلس إقرارها.

وينشأ حساب خاص في أحد المصارف الإسلامية تودع فيه هذه الميزانية، ويراعى ترحيل الفائض من هذا الحساب في نهاية كل سنة مالية إلى ميزانية السنة التالية.

المادة (11)

يصدر رئيس المجلس – بعد أخذ رأي المجلس – القرارات اللازمة لتنفيذ أحكام هذا القانون، كما يصدر اللوائح الإدارية، والمالية الخاصة بالعاملين بالمجلس، وتسري على هؤلاء العاملين فيما لم يرد في شأنه نص خاص باللوائح المذكورة أنظمة الخدمة المدنية، كما تسري في شأنهم أنظمة التقاعد للعاملين المدنيين بالدولة.

المادة (12)

على الجهات المختصة تنفيذ أحكام هذا القانون، ويعمل به اعتباراً من اليوم التالي لتاريخ نشره في الجريدة الرسمية، ويلغى كل ما يتعارض مع ما ورد فيه من أحكام.

ملك مملكة البحرين

حمد بن عيسى آل خليفة

صدر في قصر الرفاع

بتاريخ : 7 جمادى الآخرة 1426 هـ

الموافق : 13 يوليو 2005 م

الثاني:الرؤية الاقتصادية لمملكة البحرين عام 2030

تمثل وثيقة رؤية مملكة البحرين ٢٠٣٠ عرضا متكاملا لرؤية مملكة البحرين الاقتصادية والتي تضع تصورا بعيد المدى للمسارات المستقبلية للاقتصاد الوطني خلال فترة زمنية تمتد حتى عام ٢٠٣٠.

وقد تمت مناقشة هذه الرؤية الاقتصادية بصورة مستفيضة مع قطاعات عريضة من قادة الرأي في القطاعين العام والخاص، ورجال السياسة والهيئات المتخصصة، بالإضافة الى بعض بيوت الخبرة الاستشارية والهيئات الدولية، حيث روعي أن تعكس هذه الوثيقة حصاد ما قاموا بطرحه من آراء، واسهامات قيمة في هذا الشأن.

توجز رؤية مملكة البحرين الاقتصادية حتى العام ٢٠٣٠ دوافع الاصلاح والتطوير، وطموحاتنا المحددة اقتصاديا وحكومتنا ومجتمعنا، وفقا للمبادئ الاساسية المتمثلة في الاستدامة والتنافسية والعدالة، وسوف تقوم الحكومة بعد التنسيق مع السلطة التشريعية والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني، بوضع خطط استراتيجية مفصلة، وخطط تنفيذية كفيلة بتحويل هذه الطموحات الى واقع يحقق تطلعات القيادة والمجتمع البحريني، وبشكل خاص سيتم ترجمة الرؤية الاقتصادية الى استراتيجية وطنية متناسقة يتم الالتزام بها من قبل مختلف الوزارات والهيئات الحكومية.

اننا كمملكة نطمح في الانتقال من اقتصاد قائم على الثروة النفطية الى اقتصاد منتج قادر على المنافسة عالميا، ترسم الحكومة معالمة، ويتولى القطاع الخاص الرائد عجلة تنميته بشكل يوسع الطبقة الوسطى من المواطنين البحرينيين الذين ينعمون بمستويات معيشية عالية جراء زيادة معدلات الانتاجية والوظائف ذات الاجور العالية.

سوف يعتمد كل من مجتمعنا وحكومتنا مبادئ الاستدامة، والتنافسية، والعدالة، لكي تتهيأ لكل مواطن بحريني السبل التي تمكنه من تجسيد قدراته الكاملة، وعيش حياة كريمة وآمنة.[1]

[1] هذه صورة من مقدمة رؤية مملكة البحرين ٢٠٣٠ ويمكن للتفصيل الاطلاع عليها من خلال الموقع الالكتروني لمجلس التنمية الاقتصادية في المملكة http://www.bahrainedb.com/ar/about/Pages/vision2030.aspx

مراجع الاطروحة

1/ القرآن الكريم.

٢/ ابي جعفر محمد بن جرير، الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٣/ ابو زيد ، ابو الحسن عبد الموجود ابراهيم ، التنمية الاجتماعية وحقوق الانسان ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩م.

٤/ ابو بكر، مصطفى محمود / النعيم، فهد بن عبد الله، الادارة الاستراتيجية وجودة التفكير والقرارات، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٨م.

٥/ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق احمد فارس، دار صادر،بيروت،١٩٩٣م.

٦/ ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م.

٧/ الألوسي، تفسير الألوسي،http://www.altafsir.com/.

٨/ الأمين، عبد الوهاب، التنمية الاقتصادية المشكلات والسياسات المقترحة، دار الحافظ للنشر والتوزيع،السعودية،٢٠٠٠م.

٩/ الأمين ، عبد الوهاب ، التنمية الاقتصادية ، الطبعة الأولى ، دار الحافظ للنشر والتوزيع ، الأردن ،٢٠٠٠ م.

١٠/ الامين، عبد الوهاب / طاهر، فريد بشير ، مبادئ الاقتصاد الجزئي والكلي، مركز المعرفة للاستشارات والخدمات التعليمية ، مملكة البحرين ، المنامة ، ٢٠٠٥م.

١١/ الامين ، عبد الوهاب/ طاهر، فريد بشير ، اقتصاديات التنمية والتخطيط ، منشورات مركز المعرفة للاستشارات والخدمات التعليمية ، المنامة ، مملكة البحرين ، ٢٠٠٧م.

١٢/ الاعرجي، السيد زهير، النظام العائلي ودور الاسرة في البناء الاجتماعي الاسلامي، الطبعة الاولى، قم ، ايران ، ١٤١٥ه، منشور على موقعه الرسمي.

١٣/ أركون، محمد ، تحديد موضع المجتمع المدني في السياقات الإسلامية، منشور في كتاب المجتمع المدني في العالم الإسلامي منظورات معاصرة، تحقيق أمين ب. صاجو، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، ٢٠٠٧ م.

١٤/ الاصفهاني، الراغب، مفردات الفاظ القرآن في غريب القرآن، المكتبة المرتضوية، قم، ايران، ١٣٧٣ه.

١٥/ ادارة الحكم لخدمة التنمية البشرية ، وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الامم المتحدة الإنمائي ، برنامج الامم المتحدة الإنمائي ، كنون الثاني/ يناير ١٩٩٧.

١٦/ بركات ، حليم ، المجتمع العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٩١م.

١٧/ براهيمي، عبد الحميد، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م.

١٨/ البلاذري ، احمد بن يحي بن جابر ، انساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، الطبعة الأولى ، ص ١٦٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٣٩٤هـ.

١٩/ بلقزيز، عبد الاله، تكوين المجال السياسي الاسلامي النبوة والسياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٠/ بسيوني، سعيد أبو الفتوح محمد، الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٢١/ البياتي، فارس رشيد، التنمية الاقتصادية سياسيا في الوطن العربي، دار ايلة للنشر والتوزيع،الأردن،٢٠٠٨م.

٢٢/ البهي، محمد، المجتمع الاسلامي واهدافه ، من كتب مكتبة الإسكندرية ، غير معروف سنة الطبعة ولا دار النشر.

٢٣/ البوعينين، علي بن فضل، دور مؤسسات المجتمع المدني في ارساء الأمن الاجتماعي، مؤتمر الامن الاجتماعي، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، ٢٠٠٧م.

٢٤/ التخطيط الاجتماعي لرصد وتلبية احتياجات الاسرة بين الاسس العلمية والتطبيقات العملية ، بمناسبة السنة الدولية لأسرة ١٩٩٤، اصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية (٢٧) ، الطبعة الاولى ، المنامة ، ١٩٩٤م.

٢٥/ تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة.

٢٦/ تقارير التنمية الانسانية الصادرة عن برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.

٢٧/ الثعالبي ، جواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، من دون تاريخ.

٢٨/ الجابري ، محمد عابد ، الروافد الفكرية العربية والاسلامية لمفهوم التنمية البشرية ، بحث منشور في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥م.

٢٩/ الجابري، محمد عابد، ومحمد محمود الإمام، التنمية البشرية في الوطن العربي: الأبعاد الثقافية والمجتمعية، سلسلة التنمية البشرية، الصادرة عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا(الاسكوا)،١٩٩٦م.

٣٠/ جابر ، سامية محمد ، علم الاجتماع المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٩ م.

٣١/ جابر ، سامية محمد ، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٢/ حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الطبعة التاسعة، الدار البيضاء،المغرب،٢٠٠٥م.

٣٣/ الحمد ، تركي ، التنمية السياسية في المنظور الاسلامي ، بحث منشور على الموقع ، http://www.jadalonline.net/vb/archive/index.php?t-563.html.

٣٤/ حنفي، عبد الغفار، السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية،٢٠٠٢م.

٣٥/ الحوراني، ياسر عبد الكريم، الوقف والتنمية في الأردن، مجدلاولي، الطبعة الأولى،٢٠٠٢م.

٣٦/ الحيالي ، وليد ناجي ، دراسات في المشاكل المحاسبية المعاصرة، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م.

٣٧/ ال خليفة، مريم بنت حسن، الاسلام والامن الاجتماعي، مؤتمر الامن الاجتماعي، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، مملكة البحرين، ٢٠٠٧م.

٣٨/ خورشيد ، أحمد، رئيس معهد الدراسات السياسية في اسلام اباد ، استراتيجية التنمية في مفهوم اسلامي ، ورقة عمل مقدمة لندوة بجنيف عام ١٩٨٠ ، بعنوان الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد ، منشورة ضمن اوراق الندوة الصادرة عن منظمة المؤتمر الاسلامية، دار سراس ، تونس.

٣٩/ الدعمة، إبراهيم، التنمية البشرية والنمو الاقتصادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،٢٠٠٢م.

٤٠/ رشوان ، حسين عبد الحميد احمد ، التنمية اجتماعيا – ثقافيا – اقتصاديا – سياسيا – اداريا - بشريا، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩م.

٤١/ رشيد، صالح عبد الرضا / جلاب، احسان دهش، الادارة الاستراتيجية مدخل تكاملي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٨م.

٤٢/ رضوان، سمير عبد الحميد، أسواق الأوراق المالية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م،القاهرة.

٤٣/ رؤية مملكة البحرين ٢٠٣٠، اصدار مجلس التنمية الاقتصادية في مملكة البحرين، منشورة على موقع مجلس التنمية الاقتصادية في مملكة البحرين، http://www.bahrainedb.com/ar/about/Pages/vision2030.aspx

٤٤/ الزبيدي ، عبد الرضا عبد الأمير ، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام ، دراسة في ضوء نهج البلاغة ، انتشارات باقيات ، الطبعة الأولى ، قم ، إيران ، ٢٠٠٥ م.

٤٥/ الزمخشري ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف، مكتبة المعارف، الرياض، من دون تاريخ.

٤٦/ زهران، عبد العزيز، السلام والحرب في الإسلام، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٤٧/ زويلف ، مهدي حسن/ اللوزي ، سليمان احمد ، التنمية الادارية والدول النامية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ١٩٩٣م.

٤٨/ الستراوي، عبد الشهيد، الوعي السياسي بين الاسلام والديمقراطية، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢م.

٤٩/ السيد ، عبد الحليم محمود / فرج ، طريف شوقي/ يوسف ، جمعة سيد/ خليفة ، عبد اللطيف محمد/ محمود ، عبد المنعم شحاته ، الاسس النفسية لتنمية الشخصية الايجابية للمسلم المعاصر، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، اتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م.

٥٠/ شابرا، عمر، الاسلام والتحدي الاقتصادي ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٩٦م.

٥١/ الشامي، علي، الحضارة والنظام العالمي الجديد أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، دار الإنسانية،بيروت،١٩٩٥م.

٥٢/ شريف، علي / مسلم، علي عبد الهادي / منير، محمد، الادارة المعاصرة، دار الفكر الاجتماعي، الاسكندرية، ٢٠٠٨م.

٥٣/ شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، بين الجاهلية والإسلام، الطبعة الرابعة، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،١٩٩٥م.

٥٤/ شمس الدين، محمد مهدي، فقه العنف المسلح في الاسلام، الطبعة الاولى، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١م.

٥٥/ شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، في الاجتماع السياسي الاسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٩٩٤م.

٥٦/ شهاب، السيد عباس هاشم علوي، معالم الفكر التنموي الإسلامي – الإمام علي بن أبي طالب نموذجا -،دار العصمة، مملكة البحرين،٢٠٠٧م.

٥٧/ شهاب، السيد عباس هاشم علوي، التنمية الاقتصادية في ضوء الفكر الإسلامي دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه ،كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان،٢٠١٠م.

٥٨/ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار احياء التراث العربي، بيروت، من دون تاريخ.

٥٩/ الشيرازي، السيد محمد مهدي، الموسوعة الفقهية، دار العلوم للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٦٠/ الشيرازي ، محمد مهدي الحسيني ، فقه السلم و السلام ، الفصل الأول ، http://alshirazi.com

٦١/ الشيرازي، محمد الحسيني، اللاعنف ، النسخة المنشورة على موقع، www.alshirazi.com.

٦٢/ الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦٣/ الصبيحي، احمد شكر، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٤/ الصدر، محمد باقر، البنك اللاربوي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٦٥/ الصدر ، السيد محمد باقر ، اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة العشرون ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٦٦/ الصفار ، حسن موسى ، في التنمية الاسرية، الطبعة الاولى ، اطياف للنشر والتوزيع ، القطيف ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢م.

٦٧/ صقر ، محمد أحمد ، دور الدولة في الاقتصاد الاسلامي ، منشورات الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي في جدة ، دار سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٠م.

٦٨/ الصيرفي، محمد، الادارة الاستراتيجية، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٨م.

٦٩/ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

٧٠/ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ه.

٧١/ الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان،http://www.hodaalquran.com/.

٧٢/ الظاهر، نعيم ابراهيم، الادارة الاستراتيجية المفهوم الأهمية التحديات، عالم الكتب الحديثة، اربد، الاردن، ٢٠٠٩م.

٧٣/ عارف، نصر محمد: نظرية التنمية السياسية المعاصرة، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢م.

٧٤/ عامر ، باسم احمد ، نظرية الانفاق في ضوء القرآن الكريم رؤية اقتصادية، الطبعة الاولى ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠١٠م.

٧٥/ العاني، أسامة عبد المجيد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٧٦/ العبد الله، يوسف إبراهيم، قضايا التنمية المستدامة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، مملكة البحرين،٢٠٠٦م.

٧٧/ عبد الرحمن، أسامة، البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية،ص١٨،دار الشباب، قبرص ،الطبعة الثانية،١٩٨٧م.

٧٨/ عبد الحميد ، عبد المطلب ، النظرية الاقتصادية تحليل جزئي وكلي، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م.

٧٩/ عباس، د. سهيلة محمد و علي، د. علي حسين، إدارة الموارد البشرية، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، الأردن

٨٠/ عجيمة ، محمد عبد العزيز و العقاد ، مدحت محمد ، الموارد الاقتصادية، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٠ م.

٨١/ عربي، محمد ياسين ، تأملات في بناء المجتمع الاسلامي ، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، الطبعة الاولى ، طرابلس ، ليبيا ، من دون تاريخ.

٨٢/ العسل، إبراهيم: التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.

٨٣/ عطية، عبد القادر محمد عبد القادر، اتجاهات حديثة في التنمية، الدار الجامعية،مصر،٢٠٠٣م.

٨٤/ العقاد، عباس محمود، الانسان في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

٨٥/ عكاشة ، تاريخ الحكم في الاسلام، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م.

٨٦/ العلي، عبد الستار- قنديلجي، عامر إبراهيم- العمري، غسان، المدخل إلى ادارة المعرفة، دار المسيرة، الطبعة الأولى،عمان،الأردن،٢٠٠٦.

٨٧/ علي ، حيدر ابراهيم ، التيارات الاسلامية وقضية الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٦م.

٨٨/ عمارة، محمد، الاسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٩م.

٨٩/ العيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٩٠/ عيسى ، ريم/ سمينة ، نعيمة/ العائبي ، سعيدة ، التنمية السياسية قراءة في الآليات والمداخل والنظريات الحديثة ، دراسة منشورة على موقع النور للدراسات ، www.alnoor.se//extra/1/61.pdf.

٩١/ غانم ، السيد عبد المطلب ، ادارة التنمية المستقلة ابعاد وتخوم جديدة ، بحث منشور في كتاب صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان : دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٨م.

٩٢/ الغزالي، عبد الحميد، الإنسان أساس المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، مركز الاقتصاد الإسلامي،مصر،١٩٨٨م.

٩٣/ الغزالي، عبد الحميد، حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،المنصورة،١٩٨٩م.

٩٤/ الغنوشي، راشد، الحريات العامة في الدولة الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٣م.

٩٥/ الغندور، سماح احمد، التنمية البشرية في السنة النبوية دراسة موضوعية، الجامعة الاسلامية - غزة ، ٢٠١١م.

٩٦/ فتح الله ، سعد حسين ، التنمية المستقلة المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٥م.

٩٧/ فخر الدين، محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي، مفاتح الغيب او التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٩٨/ فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، الطبعة الثانية، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٩/ الفقي، مصطفى، الرؤية الغائبة، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٠٠/ الفنجري ، محمد شوقي ، المذهب الاقتصادي في الاسلام ، الاقتصاد الاسلامي ، منشورات جامعة الملك عبد العزيز ، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي ، بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي ، الطبعة الاولى ، جدة ، ١٩٨٠م.

١٠١/ قانون رقم (٢٠) لسنة ٢٠٠٥ في شأن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وقرار رقم (١) لسنة ٢٠٠٧ بإصدار اللائحة الداخلية لتنظيم عمل المجلس، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين، مملكة البحرين، ٢٠٠٧م.

١٠٢/ قرعونس، كابد – البياني، طاهر – السرطاوي، فؤاد – عبده، جمال، النظام الاقتصادي في الإسلام، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة،٢٠١٠ م.

١٠٣/ القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثالثة، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

١٠٤/ القرضاوي ، يوسف ، غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٢م.

١٠٥/ القرضاوي، يوسف، من فقه الدولة في الاسلام، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة ، ٢٠٠١م.

١٠٦/ قرص الكتروني يحتوي اهم المصادر الحديثية والتاريخية، صادر عن الحرس الوطني بمملكة البحرين،٢٠٠٩م.

١٠٧/ القصبي ، عبد الغفار رشاد ، التطور السياسي والتحول الديمقراطي ، الكتاب الاول التنمية السياسية وبناء الامة، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٦م.

١٠٨/ القصيفي ، جورج ، التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون ، بحث منشور في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٩٥م.

١٠٩/ قطب، سيد، السلام العالمي والإسلام، الطبعة الثالثة عشر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ م.

١١٠/ قطب، سيد، نحو مجتمع اسلامي، دار الشروق، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٩٩٣م.

١١١/ القيمي، محمد طلعت، قانون السلام في الإسلام دراسة مقارنة، مؤسسة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

١١٢/ الكاشاني، الشيخ محسن الفيض، تفسير الصافي، http://www.hodaalquran.com/.

١١٣/ كاظم، حسين رمزي، محاضرات في الإدارة العلمية المعاصرة، مذكرة مكتوبة، ٢٠٠٦م.

١١٤/ ماهر، الدكتور أحمد، السلوك التنظيمي مدخل بناء المهارات، الطبعة السادسة، مركز التنمية الإدارية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م.

١١٥/ المبارك ، محمد ، تدخل الدولة الاقتصادي في الاسلام ، بحث منشور ضمن بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي ، الاقتصاد الاسلامي، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي ، الطبعة الاولى ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٩٨٠م.

١١٦/ مجموعة من الباحثين الأكاديميين، الموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة،٤ مجلدات، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى،بيروت،٢٠٠٧م.

١١٧/ مجموعة باحثين، ندوة تحديات التنمية البشرية في الوطن العربي – الواقع والأفاق، مركز البحرين للدراسات والبحوث، مملكة البحرين،٢٠٠٤م.

١١٨/ مجموعة من الباحثين، ابحاث مؤتمر اخلاقنا بين النظرية والتطبيق، اصدار المجلس الأعلى لشئون الاسلامية، المنامة، مملكة البحرين، ٢٠٠٨م.

١١٩/ مجموعة من الباحثين، مؤتمر الامن الاجتماعي، اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، المنامة، مملكة البحرين، ٢٠٠٧م.

١٢٠/ مجموعة من الباحثين، بحوث وتوصيات مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية، المنامة، مملكة البحرين، ٢٠٠٣م.

١٢١/ محمد علي، فرهاد، التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي،ص١٠٦،مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٤م.

١٢٢/ محمد ، حسن محمد حسن ، علم اجتماع السكان وتنمية الموارد البشرية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م.

١٢٣/ محمد ، عبد الرحيم ، التنمية البشرية ومقومات التنمية المستدامة في الوطن العربي ، بحث منشور في اعمال المؤتمر العربي السادس للإدارة والبيئة ، المنظمة العربية للتنمية الادارية ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠٠٧م.

١٢٤/ محمد ، عبد الرحيم ، تنمية الذات بداية طريق النجاح ، الموقع الرسمي للدكتور عبد الرحيم محمد ، http://dr-ama.com/?p=687.

١٢٥/ محفوظ، محمد، نظريات التخلف في الفكر العربي المعاصر: قراءة نقدية، ملف التنمية قراءات وابعاد، مجلة الكلمة، العدد ١١، السنة الثالثة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والابحاث، ربيع ١٩٩٦/١٤١٦.

١٢٦/ المدرسي، محمد تقي، المجتمع الاسلامي، الموقع الرسمي للمرجع المدرسي، http://almodarresi.com

١٢٧/ المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، الطبعة الأولى، دار الهدى، طهران،١٤٠٦ه .

١٢٨/ مرسي ، كمال ابراهيم ، الاسرة والتوافق الأسري، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.

١٢٩/ مسعود، عبد المجيد، أزمة القيم وإشكالية التخلف الحضاري أسباب ومظاهر الأزمة، منشورة على الموقع الكتروني: (www.islamweb.net).

١٣٠/ المطعني ، عبد العظيم إبراهيم ، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة ، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

١٣١/ مغنية، الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف، دار الكتاب الاسلامي، مجهول مكان الطبع والتاريخ.

١٣٢/ مكافحة الفساد لتحسين ادارة الحكم، شعبة التطوير الاداري وادارة الحكم ، مكتب السياسات الانمائية في الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٨م.

١٣٣/ الملاح، نادر، النظام الإداري الإسلامي، قراءة في عهد الإمام علي بن أبي طالب(ع)لمالك بن الحارث الأشتر المعروف ب"عهد الأشتر "أطروحة دكتوراه، الطبعة الأولى، نشر الباحث نفسه،٢٠٠٨م.

١٣٤/ منجزات المجلس ٢٠٠٥- ٢٠٠٩، اصدار المجلس الأعلى لشئون الاسلامية في مملكة البحرين، مملكة البحرين، ٢٠٠٩م.

١٣٥/ موسى، فرح، الدين والدولة والامة عند الامام محمد مهدي شمس الدين، دار الهادي، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٣٦/ نقي، سيد نواب حيدر، وجهة نظر حول التنمية في الاسلام ، ورقة عمل مقدمة لندوة بجنيف عام ١٩٨٠ ، بعنوان الاسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد ، منشورة ضمن اوراق الندوة الصادرة عن منظمة المؤتمر الاسلامية، دار سراس ، تونس.

١٣٧/ هويدي، فهمي، الاسلام والديمقراطية، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.

١٣٨/ هيجورت، ريتشارد ، نظرية التنمية السياسية، المركز العالمي للدراسات السياسية، عمان ، الاردن ، 2001م.